الجامعة الاردنيـــــة
كلية الدراسات العليـا

السياسة وأثرها في روايات تيسير سبول وجمال ناجي ومؤنس الرزاز

عوني صبحي العلي الفاعوري

إشراف
الدكتور سمير قطامي

عميد كلية الدراسات العليا
أ.د. ...

قدمت هذه الرسالة استكمالا" لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية.

نيسان/١٩٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٧ / ٤ / ١٩٩٥ واجيزت .

أعضاء اللجنة

التوقيع

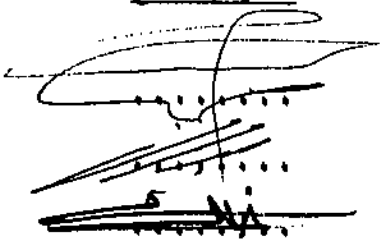

١. الدكتور سمير قطامي (مشرفـا")
٢. الاستاذ الدكتور ابراهيم السعافين (عضـوا")
٣. الدكتور خالد الكركي (عضـوا")

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

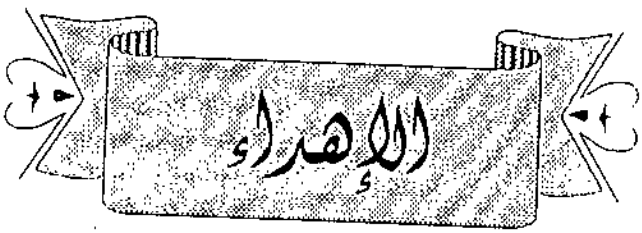

... إلى والـــــدي بعضا" مـن غرسهمـــــا

... إلى زوجتـــي شريكتي فـــــي القلـــق

... إلى تالا وراما مصدر سعادتي وامتـدادي

... إلـــى شقيقـي الأكبر صالـح لتشجيعـه ودعمه المستمرين

... إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمـل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

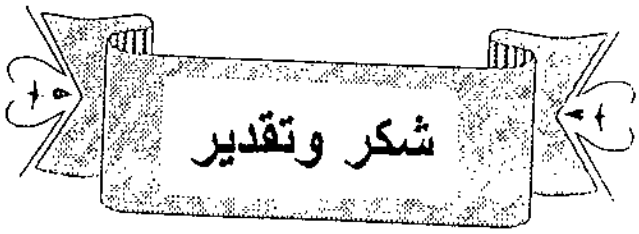

شكر وتقدير

أتقـدّمُ بأخلص الشكـر وأعظـمَ التقديـــر لأستاذي العزيـز الدكتــور سمير قطامي الذي منحني مــن علمـــه ووقتـه الشـيء الكثير ممـا أعاننـي علـى إنجاز هذه الرسالة ٠

كما أتقدّمُ بالشكر والامتنان إلى أستاذيّ الفاضليْن الدكتــور ابراهيم السعافين والدكتور خالد الكركي لتفضلهما بقراءة هـذه الرسالة وتوجيهي الوجهة الصحيحة ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهـــــــــداء	جـ
شكـــــر وتقديـــر	د
قائمـــة المحتويات	هـ
الملخص باللغة العربية	ز
تقديـــــــــم	ط
المدخـــــــــل	١
□ *الفصل الأول :* العوامل السياسة المؤثرة في الرواية فـــي الأردن من عام ١٩٦٧ الـــى عام ١٩٩٢ .	١٧
- تمهيد	١٨
- مفهوم السياسة	١٩
- مناهج دراسة السياسة	١٩
- محطات في المسيرة السياسية الأردنية	٢١
- المسيرة الحزبية في الأردن	٣١
- العوامل السياسية المؤثرة في الرواية :	٣٨
٠١ حرب حزيران ١٩٦٧	٣٨
٠٢ الصراع العربي الإسرائيلي	٤٧
٠٣ حرب تشرين / اكتوبر ١٩٧٣	٥٦
٠٤ اجتياح بيروت ١٩٨٢	٥٧
٠٥ الحرية والديمقراطية	٥٩
□ *الفصل الثاني :* المضامين الروائية	٦٣
- تمهيد	٦٤
- أنت منذ اليوم - تيسير سبول	٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضـــــــــــوع **الصفحـة**

- الطريق الى بلحارث - جمال ناجي ٧١
- وقت - جمال ناجي ٧٤
- مخلفات الزوابع الأخيرة - جمال ناجي ٧٦
- أحياء في البحر الميت - مؤنس الرزاز ٧٨
- اعترافات كاتم صوت - مؤنس الرزاز ٨٠
- متاهة الأعراب في ناطحات السراب - مؤنس الرزاز ٨٢
- جمعة القفاري : يوميات نكرة - مؤنس الرزاز ٩٠

□ ***الفصل الثالث :*** الدراسة الفنية ٩٣
- تمهيـــد ٩٤
- أنت منذ اليوم ٩٥
- الخلاصة ١٠٧
- الطريق إلى بلحارث ١٠٨
- وقـــت ١١١
- مخلفات الزوابع الأخيرة ١١٤
- الخلاصة ١١٧
- أحياء في البحر الميت ١١٨
- اعترافات كاتم صوت ١٢٧
- متاهة الأعراب في ناطحات السراب ١٣٥
- جمعة القفاري : يوميات نكرة ١٤٨
- الخلاصـــة ١٥٢

□ **الخاتمـــة** ١٥٤
- **قائمـة المصادر والمراجع** ١٥٨
- **الملخص باللغة الانجليزية** ١٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخـــص

السياسة وأثرها في روايات تيسير سبول وجمال ناجي ومؤنس الرزاز

عوني صبحي العلي الفاعوري

إشراف

الدكتور سمير قطامي

يهدف هذا البحث إلى دراسة السياسة وأثرها في روايات : تيسير سبول، وجمال ناجي ، ومؤنس الرزاز في الفترة ما بين ١٩٦٧ - ١٩٩٢ ، إضافة إلى دراسة الروائي نفسه والشكل الفني للرواية ٠

يتكون هذا البحث من مدخل وثلاثة فصول وخاتمة ، تحدثت في المدخل عن مستوى الرواية الأردنية من حيث نشأتها وتأثرها بحركة الترجمة والصحافة والرواية العربية والعالمية واحتفاظها بالشكل الروائي التقليدي ٠

وجاء الفصل الأول في قسمين رئيسيين : قسم تناولت فيه مفهوم السياسة ومناهج بحثها ، والمحطات البارزة في المسيرة السياسية الأردنية منذ استقلال المملكة عام ١٩٤٦ وحتى صدور قانون الأحزاب عام ١٩٩٠ ، وأثر ذلك كله في تطور الرواية من حيث بروز الصحافة الحزبية ، وانتقال كثير من السياسيين إلى ساحة الابداع الروائي الذي ظهر بارزا" في خطابهم الروائي ٠ وقسم تناول العوامل السياسية المؤثرة في الرواية ٠ مثل حرب حزيران ١٩٦٧ ، والصراع العربي الإسرائيلي ،وحرب تشرين ١٩٧٣ ،واجتياح بيروت ١٩٨٢ ، وغياب الحرية والديمقراطية ، إضافة إلى الغربة والمشروع القومي الوحدوي ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتناولت في الفصل الثاني عبر الدراسة النّصيّة المضامين الروائية ، وما تضمنته من طروحات فكرية ومقولات أيدولوجية ورؤى تعبر عن الواقع الراهن في روايات : أنت منذ اليوم ، الطريق إلى بلحارث ، وقت ، مخلفات الزوابع الأخيرة ، أحياء في البحر الميت ، اعترافات كاتم صوت ، متاهة الأعراب في ناطحات السراب ، وجمعة القفاري ٠ وقد بدأ الخط السياسي واضح المعالم في هذه الروايات مضمونا" ومحركا" للشخوص وبخاصة لدى تيسير سبول ومؤنس الرزاز ٠

وفي الفصل الثالث تمت دراسة هذه الروايات دراسة فنية من حيث الشخوص وشبكة العلاقات ، واشتباكها باللغة والزمان والمكان والفضاء الروائي مبينا" تموضع الرواية الأردنية وتطورها مقارنة بالرواية العربية والعالمية ٠

أما الخاتمة ، فقد أظهرت مدى التحام الرواية الأردنية بالسياسة والهم الجماهيري ؛ إذ لم يعد الشكل الروائي التقليدي قادرا" على استيعاب الخطاب الروائي ، الأمر الذي جعلها تبحث عن شكل روائي حداثي جديد مستفيدة بذلك من التقنيات الفنية الحديثة كالقطع السينمائي ، والتداعي ، وتيار الوعي ، والأحلام والكوابيس محققة بذلك نضوجا" فنيا" ملحوظا" وخطابا" روائيا" متقدما" من خلال التأثر الواضح بأعمال جيمس جويس ، وكافكا ، وكامو ، وسارتر ، وأصول علم النفس التحليلي لدى ألدر يونغ ٠

ومما لا شك فيه أن الرواية الأردنية وبخاصة في عقدي الثمانينيات والتسعينيات حققت حضورا" لا يستهان به ؛ إذ أصبح من غير الممكن القفز أو غض النظر عن الحركة الإبداعية الأردنية لا سيما في مجال الإبداع الروائي عبر المحيط الإبداعي العربي ٠

* * *

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التقديـــم :

تتناول هذه الدراسة السياسة وأثرها في روايات تيسير سبول وجمال ناجي ومؤنس الرزاز في الفترة ما بين ١٩٦٧- ١٩٩٢ ٠

ومما حفزني إلى كتابة هذا الموضوع عدم وجود دراسة تعنى بالسياسة وتبين أثرها في التشكيل الروائي الأردني ، لا سيما ونحن بصدد ثلاثة روائيين كان لهم باع طويل في ميدان العمل السياسي وبخاصة تيسير سبول ومؤنس الرزاز ، إذ خاض هؤلاء الروائيون معترك العمل السياسي من جهة ، وتبنوا فكرا" سياسيا" مؤطرا" في ضوء تراكم الأحداث وحاجة الأمة إلى بناء مشروع نهضوي قادر على تحمل هموم الجماهير ٠ فقد انعكس هذا التوجه في الفضاء الروائي لهؤلاء الكتاب ، وأصبح القارىء في مواجهة مع خطاب سياسي واضح المعالم ، الأمر الذي دفعني إلى تتبع أثر العوامل السياسية والخطاب السياسي في بناء الرواية فنيا" وتأثيرها على حركة الشخوص ومواقفهم إزاء ما يطرحون من أفكار ٠

كما شجعني الدكتور سمير قطامي على المضي في هذه الدراسة ، وبين لي أنها ستكشف جوانب مضيئة متعددة فكرية وفنية ٠

كل تلك الأسباب جعلتني أتناول هذا الموضوع في هذه الرسالة التي تقع في مدخل وثلاثة فصول وخاتمة ٠

تحدثت في المدخل عن مستوى الرواية الأردنية قبل عام ١٩٦٧ ، وبينت أنها لم ترق إلى مستوى الرواية العربية في تلك الفترة لا شكلا" ولا مضمونا" ، في معظمها ، وثمة محاولات قليلة حققت نضجا" متواضعا" ٠

وجاء الفصل الأول في قسمين : قسم تناولت فيه مفهوم السياسة ومناهج بحثها ، والمحطات البارزة في المسيرة السياسية الأردنية منذ استقلال المملكة عام ١٩٤٦ ، حتى صدور قانون الأحزاب عام ١٩٩٠ ، وأثر ذلك كله في تطور الرواية من حيث ظهور الصحافة الحزبية ، وانتقال كثير من السياسيين إلى ساحة الابداع الروائي الذي ظهر بارزا" في خطابهم الروائي ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقسم تناول العوامل السياسية المؤثرة في الرواية ، مثل حرب حزيران ١٩٦٧ ، والصراع العربي الاسرائيلي ، وحرب اكتوبر ١٩٧٣ ، واجتياح بيروت ١٩٨٢ ، وغياب الحرية والديمقراطية إضافة إلى الغربة ، وأثر المشروع القومي الوحدوي ٠

وتناولت في الفصل الثاني المضامين الروائية ، وما تضمنته من طروحات فكرية ورؤى تعبر عن الواقع الراهن في روايات :أنت منذ اليوم لتيسير سبول ، وجمال ناجي في الطريق إلى بلحارث ، وقت ، ومخلفات الزوابع الأخيرة، وأحياء في البحر الميت ، اعترافات كاتم صوت ، متاهة الأعراب في ناطحات السراب وجمعة القفاري لمؤنس الرزاز ٠

وفي الفصل الثالث قمت بدراسة هذه الروايات دراسة فنية من حيث الشخوص وشبكة العلاقات واشتباكها باللغة والزمان والمكان والفضاء الروائي مبينا" تموضع الرواية الأردنية وتطورها مقارنة بالرواية العربية والعالمية ٠

أما الخاتمة ، فقد أظهرت مدى التحام الرواية الأردنية بالسياسة والهم الجماهيري ، إذ لم يعد الشكل الروائي التقليدي قادرا" على استيعاب الخطاب الروائي ، الأمر الذي جعلها - الرواية - تبحث عن شكل روائي حداثي جديد مستفيدة بذلك من التقنيات الفنية الحديثة كالقطع السينمائي والتداعي وتيار الوعي والأحلام والكوابيس والأسطورة محققة بذلك نضوجا" فنيا" ملحوظا" وخطابا" روائيا" متقدما" من خلال التأثر الواضح بأعمال جيمس جويس وكافكا وكامو وسارتر وأصول علم النفس التحليلي لدى ألدر يونغ ٠

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على مصادر أساسية هي أعمال تيسير سبول وجمال ناجي ومؤنس الرزاز ، كما أفدت من المقابلات والشهادات الروائية التي نشرتها الكتب والمجلات والندوات والملاحق الثقافية أو الوسائل الإعلامية الأخرى إضافة إلى معاصرة هؤلاء الروائيين وحداثة إبداعهم الروائي ووجود العديد من الأشخاص الذين يعرفونهم عن كثب ، ومعرفتي الشخصية بعدد غير قليل من النقاد الذين حاوروا هؤلاء الروائيين ، وتوافر المصادر والمراجع والدراسات ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتزمت في كل ما كتبت القراءة النقدية للنص من الداخل ، دون أن أحصر ذاتي فيه ، فقد انتفعت بالمنهج التاريخي في الترتيب والتقديم للأعمال الروائية ، وكذلك لمسيرة حياة الروائيين ، والتزمت بالمنهج التكاملي كي يتيح لي حرية التناول والبحث في مجال النقد الفني ، وبيان مدى صنعة الكاتب في التحول بالواقع من واقع معرفي إلى واقع فني من خلال علاقات جدلية بين الزمان والمكان والانسان واللغة في شبكة علاقات فنية .

إن هذا البحث محاولة جادة لدراسة السياسة وأثرها في أعمال تيسير سبول وجمال ناجي ومؤنس الرزاز ، فإن كان فيه ما يرضي فتوفيق من الله وبفضل إرشادات أستاذي المشرف وتوجيهاته المستمرة ، فإنه لم يبخل علي بوقت أو جهد ، وأحاطني بلطفه وصبره ، وإن كان في البحث عيب أو تقصير فلأنني لم أتمكن من تحقيق الكثير مما أرشدني إليه ، وحسبي في ذلك اني اجتهدت ، ولكل مجتهد نصيب .

وبعد ، فاني أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور سمير قطامي ، كما أتقدم بالشكر والامتنان لأستاذي : الدكتور إبراهيم السعافين والدكتور خالد الكركي لتفضلهما بقبول قراءة هذا البحث ومناقشته ، والشكر موصول إلى كل من أتاح لي فرصة إنجاز هذا البحث .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدخـــــــل

" مستوى الرواية الأردنيـــة قبل عام ١٩٦٧ "

تتناول هذه الدراسة الوقوف على مستوى الرواية الأردنية قبل عام ١٩٦٧ ، ليكون منطلقا" مناسبا" لدراسة السياسة وأثرها على الرواية الأردنية منذ عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٩٢ ، وبخاصة لدى عدد محدد من الروائيين الأردنيين، وهم : تيسير سبول ، وجمال ناجي ، ومؤنس الرزاز ٠

تكشف الرواية – كما هو الحال بالنسبة للفنون – التحولات في المجتمع، ومعوقات هذه التحولات ؛ إذ إن الرواية هي العالم الحقيقي للناس بشخوصهم وعلاقاتهم ورؤاهم وانكساراتهم ، لا سيما اذا كانت الرواية متصلة بالحياة نفسها ، يكتبها روائيون أصحاب قضايا ومواقف ورؤى ٠

واذا كانت الرواية فنا" جديدا ظهر في الآداب الأوروبية في القرن الثامن عشر ، فهو فن وافد في الأدب العربي أخذناه عن الآداب الأجنبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وبدأ ينمو في مطلع القرن العشرين (١) ٠ على الرغم من وجود أنواع من السرد والحكايات في الأدب العربي منذ القدم ٠

إن الرواية تعبير عن الحياة بتفصيلاتها وجزئياتها وشبكة علاقاتها ، وهي تجربة إنسانية يصور فيها الروائي الجوانب الإنسانية والنفسية في بيئة ما خلال حقبة زمنية ، ويطرحها بشكل مقنع ومبرر من خلال حركة الشخوص وصراعاتهم ، وتطور الأحداث ، وأسلوب التناول والعرض (٢) ٠

---

١٠ سمير قطامي ، الحركة الأدبية في الأردن ١٩٤٨ –١٩٦٧ ، وزارة الثقافة والتراث القومي ، عمان ، ١٩٨٩ ، ص ١٦٩ ٠

٢٠ محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث، ص ٤٩١ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالرواية قصص نثري واقعي ، كامل بذاته ، وذو طول معين ؛ وهي أطول من حدوثة ، وأطول من حادثة . أما صفة الواقعي فتعني الارتباط بالحياة مقابل الكلمتين " رومانس " و " رومنتيكي " اللتين أشير بهما إلى الهروبية والتمني واللاواقعية (١) .

لقد سار الفن القصصي في عصر النهضة في اتجاهين : اتجاه سعى إلى بعث الأشكال القصصية القديمة كالمقامات والسير ، واتجاه رأى أن تلك الأشكال لا تستطيع الوقوف أمام الأشكال القصصية الجديدة ، التي بدأت تنتشر في البيئة العربية بفضل الترجمة . وقد بدأ هذا الفن بالذيوع على أيدي عدد من الكتّاب الذين استوعبوا هذا الشكل – الفن الجديد – من أمثال : محمد تيمور ، ومحمود تيمور ، ومحمد حسنين هيكل ، وجبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمه ، ومحمود طاهر لاشين ، وطه حسين ، وابراهيم المازني ، وعباس العقاد وغيرهم(٢) .

لعبت الصحافة ، ونشوء الطبقة الوسطى ، والتحول الجديد في التركيب الاجتماعي والانفتاح على المجتمع الأوروبي الحديث وثقافته ، ووجود المدارس والمطابع دورا" كبيرا" في نشوء الرواية العربية وتطورها في جميع مراحلها التي مرت بها وحتى يومنا هذا ترجمة وتأليفا" واقتباسا" (٣) . وفي هذا السياق ، لا بد أن نعترف أننا أمام أزمة مصطلح فيما يتعلق بمفهوم الرواية من حيث حدودها وأشكالها ومفهومها ، ومما ساعد في حدوث هذه الأزمة – المصطلح – الترجمات الكثيرة التي تبناها النقد الأدبي العربي ، إذ لم تخضع للمقاييس الفنية العالمية لبنية الرواية التي طبقت على أعمال بلزاك وديكنز وتولستوي . ورسخها قبلهم روائيون مثل ريتشاردسون وسويفت ودانيال وديفو وغيرهم (٤) .

---

١. أرنولد كيتل ، مدخل إلى الرواية الانجليزية ، ترجمة هاني الراهب ، المجلد الأول وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٧٧ ، ص ٣٥ .
٢. سمير قطامي ، الحركة الأدبية ، ص ١٦٩ .
٣. عبدالرحمن ياغي ، الجهود الروائية من سليم البستاني إلى نجيب محفوظ ، دار العودة بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٣٦ .
٤. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، عمان ، ١٩٨٦ ، ص ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشير الدكتور خالد الكركي إلى تأسيس رواية أردنية جديدة بعد عام ١٩٦٧ ، خرجت على عيوب الشكل ، ودخلت في عالم الرواية العربية بنجاح ؛ لأنها حققت في إطار الشكل والمضمون ما يؤهلها لاحتلال موقعها الجديد (١) ، إذ لا تكاد الرواية في الأردن تتميز بخصوصية في الذوق أو في الاتجاه عن غيرها في الأقطار العربية الأخرى ، فهي جزء من مسيرة الرواية العربية الحديثة تخضع لما تخضع له هذه الرواية من مؤثرات ، وتتأثر بما تتأثر به من تيارات واتجاهات (٢) .

لقد نشأت الرواية في الأردن في أعقاب ظهورها في أقطار الوطن العربي وبخاصة مصر والعراق ولبنان وسوريا . ولذلك ، فإن البدايات لا تحمل مصطلح الرواية إلا إذا تجوزنا كثيرا" في هذا التناول (٣) ، فعند الحديث عن الرواية في الأردن لا بد من ربطها بالرواية العربية التي بدت هي كذلك حديثة العهد ، ثم حققت الرواية العربية – منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين – تطورا" ملحوظا" . وبذلك ، لا نستطيع أن نتحدث عن رواية أردنية – اصطلاحا" – في هذه الفترة إلا إشارة إلى المحاولات الجادة في هذا المجال .

لقد تأخرت حركة التأليف في الأردن ، ولم تؤت ثمارها إلا بعد الحرب العالمية الثانية ، ولم تنطلق بشكل ملموس الا بعد تأسيس الجامعة الأردنية عام ١٩٦٢ وغيرها من المؤسسات الثقافية والعلمية ، وظهور دور للطباعة والنشر والتوزيع ، إضافة إلى حركة تعليمية واسعة الأمر الذي أدى إلى حدوث تطورات كبيرة وبخاصة بعد وحدة الضفتين ، وانفتاح الأردن على العالم الخارجي. وقد ساعد في إيجاد فئات ذات مستوى عالٍ من التعليم ، والطموح الكبير لدخول العصر الجديد ومواكبة حضارته بأشكالها المختلفة (٤) .

---

١. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٨ .
٢. إبراهيم السعافين ، البدايات ، أوراق ملتقى عمان الثقافي الأول ، منشورات وزارة الثقافة ، عمان ١٩٩٤ ، ص ٢١ .
٣. ابراهيم السعافين ، البدايات ، ص ٢١ .
٤. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن بذرة الرواية الأردنية التي وضعها عقيل أبو الشعر كانت بذرة سياسية ، وكان همها الأول والأخير هما" وطنيا" خالصا" ، فقد كتب روايته " الفتاة الأرمنية في قصر يلدز " سنة ١٩١٢ ، التي تصدت في موضوعها للحكم العثماني ومظالمه ، فحكمت عليه السلطات العثمانية جراء ذلك بالإعدام(١) .

ويشير الدكتور خالد الكركي إلى المحاولة الأولى في القص التاريخي الذي يراوح ما بين القصة القصيرة والرواية ، إذ لم ترق إلى مستوى الرواية الطويلة التاريخية وهي " أبناء الغساسنة وابراهيم باشا " لـ روكس العزيزي ، وقد صدرت عام ١٩٣٧ ، فهذا العمل جاء إعادة صياغة تاريخية لقصة حقيقية وقعت سنة ١٨٣٢ ، عندما غزا ابراهيم باشا (ابن محمد علي) بلاد الشام في ثلاثينات هذا القرن (٢) .

كما يشير إلى أن تيسير ظبيان كتب روايته " أين حماة الفضيلة ؟" سنة ١٩٤٠ على صفحات جريدته " الجزيرة " ،ونسبها إلى فتاة بتوقيع " أبجد " ويعد ظبيان أول روائي أردني في هذه الحقبة (٣) وأن كانت روايته تعليمية موعظية(٤).وفي عام ١٩٤٥ ، جاءت رواية " ذكريات " لشكري شعشاعة ، وهذه الرواية أقرب إلى السيرة الذاتية ، فهي ليست قصة بالمفهوم الفني ، بل صورة عامة من الحياة ، وفيها تأثر واضح بأسلوب طه حسين في " الأيام " ، ويبقى هذا العمل قصا" رومانسيا" ، يخلو من الأبعاد السياسية وغير ناضج فنيا" (٥) .

---

١. شاكر النابلسي ، كيف عبّرت الرواية الأردنية عن الواقع المحلي والعربي؟ أوراق ملتقى عمان الثقافي الأول ، منشورات وزارة الثقافة ، عمان ، ١٩٩٤ ، ص ١٤٠ .

٢. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ١٧ .

٣. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ١٩ .

٤. شاكر النابلسي ، كيف عبرت الرواية ، ص ١٤١ .

٥. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي مذكرات صبي عن فترة الطفولة والصبا ، وعن حياته في أسرته ومدرسته ، وعرّج من خلالها على بعض صور المجتمع بما فيه من نفاق وتخلف واستبداد ، ولعله في كثير من صوره يحاكي أيام طه حسين وبخاصة صورة شيخ الكتّاب (١) .

ويمكن النظر إلى روايتي أين حماة الفضيلة " و"ذكريات " كمحاولتين أوليتين وإن لم يكتمل بناؤهما فنيا" ، ولكن تبقى قيمتهما في كونهما وثيقتين عن فساد المجتمع ورسم بعض جوانبه ، وهما أقرب إلى الفن القصصي الروائي من أي فن أدبي آخر ، وتبقيان فاتحة تأليفية متنامية بحكم روح العصر (٢) ، إذ لم تشر الدراسات الأدبية في عهد الإمارة إلى وجود قصة طويلة بالمعنى الفني ، عدا قصتي " ذكريات " و " أين حماة الفضيلة "(٣) .

ويعد الدكتور خالد الكركي رواية عبدالحليم عباس " فتاة من فلسطين " التي نشرها عام ١٩٤٩ القصة الأولى في الأردن ، إذ تتوافر فيها شروط المعمار الفني دون أن ترقى إلى مصاف الأعمال الناضجة وهي تصوير لشريحة من الشعب الفلسطيني في الفترة السابقة لأحداث ١٩٤٨ ، وأثر النكبة عليها ، وهجرة هذه الشريحة من فلسطين إلى الأردن (٤) . ويغلب على هذه القصة تأثرها بالعناصر القصصية التقليدية مثل التراث الشعبي ، دون أن تغلق الباب أمام التيارات الأخرى مثل الرومنتيكية التي كانت سائدة في تلك الفترة . وتعد هذه الرواية رائدة لما تتميز به من ملامح تبشر بشيء من النضج ، لا تدانيها المحاولات السابقة (٥) ، وهذا شأن روايته الأخرى " فتى من دير ياسين " التي تصور الفاجعة التي ألمت بالشعب الفلسطيني ، وظهور الخطر اليهودي ، إذ تتضح أهميتها من خلال ربط القضية السياسية والقومية والمسألة الاجتماعية في عمل روائي ناضج تتحرك فيه الشخوص وتتنامى فيه الأحداث بشكل مقنع .

---

١. ابراهيم السعافين ، البدايات ، ص ٢٢ .
٢. محمد عطيات ، القصة الطويلة في الأدب الأردني ، ص ٢٩ .
٣. محمد عطيات ، القصة الطويلة ، ص ٣٧ .
٤. خالد الكركي : الرواية في الأردن ، ص ٢٩ .
٥. ابراهيم السعافين ، البدايات ، ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعد محمد عطيات هذه الرواية من القصص الواقعية التسجيلية التي تتجه إلى سرد القصص على غرار الحياة الإنسانية الطبيعية التفصيلية من غير تشويق غالبا" ، فهو يتلمس رؤى جديدة يتحول التاريخ في ماضيه وحاضره إلى زمان إنساني ويرسم فيها الحركة الاجتماعية للشخصيات (١) ، وقد تكون مقتبسة من الحياة دون الاعتناء بصقلها ، وهي أقرب إلى الواقع اليومي ، وتبنى على فكرة واحدة أو صفة لا تتغير طوال العمل القصصي ،(٢) أو تعطي الجوانب النفسية المرتبة الثابتة مهتمة بالجوانب الحسية أولا" .

إن الرواية الأردنية في عقود العشرينات والثلاثينات والأربعينات لم تستطع التعامل مع التشكيل الروائي بصورة فنية ؛ فلم تشكل العلاقات بين الشخوص والأزمنة والأمكنة واللغة علاقات جدلية ممتدة ، بل كان الزمان فيها أحداثا" وبعدا" تاريخيا" ، ولم يكن بُعدا" فلسفيا" اجتماعيا" ، وقد بدا واضحا" فيها انفصال هذه العناصر بعضها عن بعض ، أو سهولة انفصال أحد هذه الأبعاد عن العناصر الأخرى ، وكان الواقع الاجتماعي فيها ساكنا" ، وكان بعض الكتاب يظهرون قدراتهم البلاغية في الإنشاء الأدبي دون اهتمامهم بالتشكيل الفني الروائي "(٣) .

ولقد كانت مرحلة الخمسينات في الأردن مرحلة مهمة ، إذ شهد الأردن فيها تغيرات جذرية على المستوى الاجتماعي ، والاقتصادي ، والسياسي ، والثقافي نتيجة للهجرة الفلسطينية عام ١٩٤٨ من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية ، ونتيجة لإعلان وحدة الضفتين عام ١٩٥٠ .

فقد حدثت تغيرات اجتماعية كبيرة في ضوء انتقال عناصر من الطبقة الوسطى في فلسطين المحتلة كفئة التجار ، وصغار الصناع والمعلمين ... فأصبحت البنية الاجتماعية الأردنية البسيطة بنية معقدة التركيب إلى حد ما . وبداية ظهور الطبقة البرجوازية .

---

١. انظر عبدالرحمن ياغي ، الجهود الروائية ، حول المصطلح النقدي .
٢. محمد عطيات ، القصة الطويلة ، ص ١١٩ .
٣. عبدالرحمن ياغي ، الرواية الأردنية ، أوراق ملتقى عمان الثقافي الأول ، ص ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحدث تغير في البنية السياسية ، فقد كانت البنية السياسية قائمة على عدد محدود من الأحزاب السياسية ذات الصبغة المحلية ، ثم تعمقت إلى بنية سياسية تتمثل فيها التعددية الحزبية بشكل أوسع واكثر من ذي قبل ، وأصبحت هناك فروع واضحة لأحزاب عربية قومية وأحزاب أممية ٠ ورافق ذلك تغير كبير وبين في البنية الثقافية على امتداد الساحة العربية ، فانتشر التعليم على نطاق واسع ، وظهرت الدوريات الصحافية الحزبية وغير الحزبية ، وازداد عدد إصدارات الكتّاب والمثقفين ، وبرزت اسهاماتهم في شتى الميادين (١) ٠

وفي هذا السياق ، يشير محمد عطيات إلى الأعمال القصصية الإبداعية التي تمثل عددا" من الاتجاهات الأدبية ومنها الاتجاه الرومانسي في الخمسينات والستينات ، ومن هذه القصص (٢) :

سبيل الخلاص (١٩٥٣) لسليمان المشيني ، وهي رواية أخلاقية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، من خلال خطاب اجتماعي ساذج ، ورؤية اجتماعية بسيطة ، وبناء روائي هش ٠ وكأن المشيني كان غائبا" عن الساحة الأردنية في هذه الفترة الملأى بالتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية (٣) ٠ ولعل النابلسي يقصد بغياب المشيني بسبب عدم معايشته الظروف الصعبة التي كانت تعيشها المنطقة العربية وبخاصة الأردن وفلسطين ٠

ورواية " مارس يحرق معداته ، ١٩٥٥ " لعيسى الناعوري ، وقد استلهمها الناعوري من الفكر الأسطوري ، وفكرتها تقوم على تقبيح الحرب وتحبيب السلام ، إذ جعل إله الحرب عند الرومان " مارس " يندم على أفعاله في إثارة الحرب (٤) ٠

---

٠١ شاكر النابلسي ، كيف عبّرت الرواية ، ص ١٤٢ ٠

٠٢ محمد عطيات ، القصة الطويلة ، ص ٧٦ -١١٢ ٠

٠٣ شاكر النابلسي ، كيف عبرت الرواية ، ص ١٤٣ ٠

٠٤ إبراهيم السعافين ، البدايات ، ص ٣٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعد القصة من الناحية الفنية جيدة وناضحة إلى حد كبير ، بخيطها القصصي ، وأسلوبها التشويقي وتطور أحداثها ، وهي تعد من أقرب المحاولات القصصية الأردنية للكمال (١) .

أما محمد عطيات فيصفها بأنها قصة رومانسية ؛ إذ إنها من أغنى القصص الأردنية بالقيم والمضامين الوطنية والإنسانية ، والقصة مستوحاة من عالم أساطير الرومان وظّفها لحل مشكلات الإنسان ، وعلى الرغم من ذلك فللناعوري فضل الريادة القصصية (٢) . وصنفها الدكتور خالد الكركي في القصص الرمزي ذات المستوى الجيد (٣) . في حين يرى شاكر النابلسي أن الناعوري رحل الآف السنين إلى الوراء ، إلى التاريخ الروماني ، يدعو إلى السلام الساذج ، فلم يكن بذلك شاهدا" على عصره (٤) .

ويذهب الباحث إلى ما ذهب اليه قطامي وعطيات والكركي في اعتقادهم بجودة هذا العمل ، وتوظيف التراث الإنساني لخدمة الواقع الذي يعيشه الإنسان أيا" كان ، واينما وجد ؛ فالتراث الإنساني ملك لكل الشعوب تنهل منه لخدمة ما تصبو إليه ، وترغب بالتعبير عنه .

ونشر محمد سعيد الجنيدي " الدوار الثاني " عام ١٩٥٦ ، ورواية شمس الغروب عام ١٩٥٧ ، وهي وصف للبؤس الذي كان يعيشه الإنسان العربي ، الأمر الذي جعل الناس يتحركون ويثورون من أجل الخبز ونور الشمس والحرية وطرد المستعمر ، إضافة إلى وصف الطبيعة الرومانسي (٥) . ولو استمر الجنيدي على مسار الرواية لكان ذا شأن واضح في مسيرة الرواية كما أشار إلى ذلك محمود سيف الدين الإيراني (٦) .

---

١. سمير قطامي ، الحركة الأدبية في الأردن ، ص ١٧٦ .
٢. محمد عطيات ، القصة الطويلة ، ص ٨٢ .
٣. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٤٠ .
٤. شاكر النابلسي ، كيف عبرت الرواية ، ص ١٤٣ .
٥. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٣٦ .
٦. محمود سيف الدين الإيراني ، ثقافتنا في خمسين عاما" ، ص ١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعد الجنيدي في روايته أول شاهد روائي على عصر الخمسينات في الأردن ، وأول من وثّق للواقع الاجتماعي في هذه الفترة توثيقا" روائيا" (١) .

ونشر شكري شعشاعة قصته " في طريق الزمان " عام ١٩٥٧ ، ونشرت مريم مشعل روايتها الوحيدة " فتاة النكبة " عام ١٩٥٧ ، وهي تتحدث عن نكبة الشعب الفلسطيني أرضا" وإنسانا" ، وهي تصور بطولة فتاة فلسطينية قاومت اغتصاب الأرض في مضمون وطني واضح ، وبناء فني غير ناضج يقوم على تقديم الشخوص والأحداث بشكل مباشر . ولكن تبقى قيمتها التاريخية الشاهدة على تلك الحقبة (٢) . والقصة كذلك تعبر عن الهم الوطني والهم الاجتماعي بجرأة وشجاعة كبيرتين (٣) .

٤٤٦٧٧٧

ونشر عيسى الناعوري روايته " بيت وراء الحدود " عام ١٩٥٩ ، وقد أثار الناعوري فيها الإحساس بالفاجعة تجاه مأساة فلسطين من خلال الانخراط بالعمل الفدائي ، أو الانضمام إلى الجيش العربي الأردني ، وتنتهي الرواية بإبداء الملاحظات والدروس والعبر ، وتوظيف الملاحظات ، وفرض الآراء والتعليقات كل ذلك من خلال ثوب رومانسي يلفّها (٤) .

وتبين الرواية صورة الهجرة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني والويلات التي كابدها (٥) ، وفيها نقد اجتماعي لأولئك الذين تركوا وطن اللأمن ، وهاجروا حيث الأمن بلا وطن . فكانت روايته بذلك امتدادا" لرواية عبدالحليم عباس " فتاة من فلسطين " ، ومشاركة في الهم الفلسطيني الذي عالجته مريم مشعل في روايتها " فتاة النكبة " (٦) .

---

١. شاكر النابلسي ، كيف عبرت الرواية ، ص ١٤٤ .
٢. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٤٥ .
٣. شاكر النابلسي ، كيف عبرت الرواية ، ص ١٤٥ .
٤. إبراهيم السعافين ، البدايات ، ص ٣٥ .
٥. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٤٤ .
٦. شاكر النابلسي ، كيف عبرت الرواية ، ص ١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونشر حسني فريز روايته " مغامرات تائبة " عام ١٩٥٩، وهي تعكس خطرات المؤلف ونظرته إلى الحياة والوجود سياسة واجتماعا" ، واقعا" ومثالا" (١).

ويرى ابراهيم السعافين أن الحكاية تقوم على قصص الحب والغرام بغض النظر عن نهاية رواياته ، فنراها تعج بالتعليم والعظة المباشرة ، والاستشهاد بالشعر (٢) ، الا إن القصة تعد ناضجة من حيث اللغة والوعي والمعمار الفني (٣).

ونشر محمود عويضه روايته " صراع في القلب ، في الخمسينات من هذا القرن ، وتقوم فكرتها على إقامة علاقات عاطفية غير ناضجة تجمع بين شخوص العمل ، ووجود صراع هائل بين الحقد والحب ، ولكن لم يوفق الكاتب في المقالة على مستويات العمل لغة ومعمارا" ومضامين (٤) .

لقد انطلقت القصة الطويلة في خمسينات هذا القرن وغلب عليها طابع القص الخارجي ، وسرد الوقائع من خلال رؤية ساذجة ، وهي تميل إلى الخطابة والوعظ ، ولغتها مباشرة تتميز بالوصف ، وجملتها القصصية رتيبة (٥) ، وتبين سقوط المرأة في الرذيلة والخيانة الزوجية (٦) ، وتركز على طبقات اجتماعية متباينة ، وعلى دور الفقر في المجتمع ، كل ذلك بأسلوب رومانسي وفكرة قصصية ساذجة ؛ فالقاص الرومانسي يبرز عضلاته في البيان والبديع والصور الشعرية ليغطي الفراغ الذي ينخر مضمون قصته (٧) .

---

١. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٣٨ .
٢. ابراهيم السعافين ، البدايات ، ص ٣٠ .
٣. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٣٨ .
٤. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٥٤ .
٥. محمد عطيات ، القصة الطويلة ، ٦٩ .
٦. محمد عطيات ، القصة الطويلة ، ص ٩١ .
٧. عبدالرحمن ياغي ، الجهود الروائية ، ص ١٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فثمة تفاوت في الموقف والرؤى والطرح ، إذ تغلب الحماسة والانفعال والسطحية على معظم هذه الروايات (١) ، ولعل ذلك يقابل المرحلة الأولى في تطور الرواية العربية التي اتسمت بالإسراف في العواطف ، والمبالغات في تصرفات الشخوص ، وغرابة الأحداث ، والاستفاضة بالوصف ، والابتعاد في تنقلاتهم المكانية والزمانية ، فيستفيضون بالأحاديث التي لا رابط بينها ، ولا ينتظمها منطق الأحداث (٢) ٠ وقد يعود السبب كذلك إلى محدودية ثقافة روائيي هذه المرحلة ، وتأثرهم بسمات القصة العربية في الأربعينات والخمسينات في مصر ولبنان وسورية (ذات المضامين الرومانسية والواقعية) وعدم مقدرتهم-أي الروائيين-على النفاذ إلى أعماق الشخصيات ، وإبراز شبكة العلاقات من خلال رؤية جديدة وعميقة (٣) ٠

وقد شهدت هذه المرحلة – الخمسينات – عدة محاولات روائية لم تتكرر، مثلها مثل أية حقبة أخرى في أنحاء كثيرة من الوطن العربي ، ومن هؤلاء الروائيين : صبحي المصري ، ومريم مشعل ، وكامل ملكاوي ، ومحمود عويضة، ومحمود فريحات ٠ وكأنهم جاءوا ليلقوا السلام الروائي وينصرفوا بعد أن سجلوا أسماءهم في دفتر الحضور الروائي الأردني ٠

وفي مرحلة الستينات ١٩٦٠ – ١٩٧٠ التي تعد بمثابة الغصن الأول لشجرة الرواية العربية ، صدر في الأردن حوالي اثنتي عشرة رواية ، وهو الكم الروائي نفسه الذي صدر في الفترة السابقة (٤) ٠

فقد نشر كامل ملكاوي روايته " عبرة القدر" ، عام ١٩٥٩ ، وروايته " من زوايا العدم " عام ١٩٦٠ ، وقد عبرت هذه الرواية – الثانية – عن نكبة ١٩٤٨ ، غير أنها وُظّفت لبيان موقف أخلاقي يبين حقيقة النفس ، وعدم قهر

---

١٠ سمير قطامي ، الحركة الأدبية ، ص ١٧١ ٠
٢٠ عبدالرحمن ياغي ، الجهود الروائية ، ص ١٤١ ٠
٣٠ سمير قطامي ، الحركة الأدبية ، ص ١٩٢ ٠
٤٠ شاكر النابلسي ، كيف عبرت ، ص ١٤٦ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليتيم وعابر السبيل وبذلك فقدت القصة كثيرا" من جوانبها الفنية ؛ لأن المؤلف يريد تحقيق الفكرة الأخلاقية دون الاهتمام بالشكل الفني (١) ، فأصبحت مقالات صحافية حماسية ، أو خطبا" سياسية مهرجانية ، لا تلبث أن تلمع في السماء حتى تختفي ٠

وأصدر محمود فريحات روايته " أجنحة الأمل " عام ١٩٦٠ ، وكان موضوعها الهم الفلسطيني الناجم عن نكبة ١٩٤٨ ، وعلى الرغم من قداسة الموضوع وأهميته ، إلا انها سقطت من الناحية الفنية (٢) ، إذ تفتقد الرواية للمعمار الفني والخيط الروائي بين الشخوص واللغة والأحداث (٣) ٠

وفي عام ١٩٦١ ، أصدر نعمان أبو عيشة روايته " واهيفاء " ، وفيها حكاية حب عاصف تجمع بين شاب مسلم وفتاة مسيحية ، وعلاقات عاطفية أخرى٠ وقد اتصفت القصة بالسرد والبعد عن الواقعية ، وضعف بنائها الفني(٤)٠وهي رواية لا تختلف في مستواها الفني عن روايات من سبقه ٠

ونشر ميشيل الحاج قصته " الرجل الذي وجد نصفه " عام ١٩٦٢ ، وهي قصة رومانسية تصور علاقات غرامية بين أبطال القصة دون تحقيق لأي موقف اجتماعي أو إنساني ٠ ولم ترق إلى بناء فني روائي ناضج (٥) ؛ فالكاتب لا يملك الأدوات الفنية التي تؤهله للحديث عن الهم الروائي ٠

وأصدر عطية عبدالله عطية سنة ١٩٦٦ قصته " متى تورق الأشجار؟"، وهي مجموعة من المواعظ والخطب المنبرية ، في أسلوب الأحاديث

---

١٠ خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٥٥ ٠

٢٠ شاكر النابلسي ، كيف عبرت الرواية ، ص ١٤٦ ٠

٣٠ خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٤٩ ٠

٤٠ ابراهيم السعافين ، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ،١٨٧٠ – ١٩٦٧ ، ص ٥٦٩ ٠

٥٠ خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٥٧ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسية التي سيطرت على الإعلام العربي في الستينات من هذا القرن ، ويصب الكاتب فيها جام غضبه على الانجليز والاستعمار والصهيونية والدول الكبرى ، وهي ضعيفة من الناحية الفنية (١) .

وفي الأعوام ١٩٦٢ - ١٩٦٧ ، نلاحظ قلة الأعمال الروائية في الأردن الا من رواية واحدة لعيسى الناعوري بعنوان " جراح جديدة " ، التي جاءت عقب هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ مباشرة ، فكانت رائحة الدماء ، ودخان بنادق المقاتلين يملأن السماء ، وتحجبان الرؤية الفنية ، فجاءت هذه الرواية ناقصة النمو ، إذ تنتهي الرواية بإبداء الملاحظات ، والدروس ، والعبر ، وتوظيف الملاحظات ، وفرض الآراء والتعليقات ، وتعد هذه الرواية من الأعمال المتأثرة بالاتجاه الرومانسي (٢) .

ولذا ، لا تشكل البدايات الأولى للرواية الأردنية لبنة بنى عليها الروائيون الأردنيون في فترة لاحقة ؛ لأن الروائيين الأردنيين انفتحوا على النتاج الروائي العربي ، وعلى النتاج العالمي (٣) .

وبعد عام ١٩٦٧ ، شهدت هذه المرحلة التي تعد بمثابة المرحلة التأسيسية الحقيقية للرواية الجادة بمفهومها الحديث شكلا" ومضمونا" ، ميلاد أربعة روائيين مجودين ، هم : تيسير سبول في روايته " أنت منذ اليوم ، ١٩٦٨ " ، وأمين شنار في روايته " الكابوس ، ١٩٦٨ " ، وسالم النحاس في روايته " أوراق عاقر ، ١٩٦٨ " ، وغالب هلسا في روايته " الضحك ، ١٩٧٠ " . وتعتبر هذه الروايات الأربع الأساس الحقيقي الذي تم عليه بناء الرواية العربية في الأردن .

---

١. محمد عطيات ، القصة الطويلة في الأردن ، ص ٦٢ .

٢. ابراهيم السعافين ، البدايات ، ص ٣٥ .

٣. ابراهيم السعافين ، البدايات ، ص ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولـذا ، سيكـون تركيز الدراسة في الفصـول القادمـة علـى الروايـة الأردنيـة فـي مرحلـة التأسيـس لـدى تيسير سبـول ، وعلـى روائييـن مـن روائيـي الثمانينـات البـارزين علـى السـاحة الأردنيـة ، وهمـا : جمـال نـاجي ، ومؤنس الرزاز ٠

ففي مرحلة الستينات وبخاصة بعد عام ١٩٦٧ ، تميز العمل الروائي عن المرحلة السابقة ؛ اذ اختمرت القضايا ، وتقدمت رؤية الفنان الفكرية نحو الأعمق والأشمل ، ونضج حكمه على الأمور بعد المد الوطني والقومي والوحدوي، ومارس الكاتب القراءة والتثقيف الذاتي ، واطلع على النتاج العربي والنتاج العالمي (١) ٠ واتجه العمل الروائي نحو الواقعية التسجيلية والنقدية ٠ وقد شهدت هذه المرحلة تطورا" وازدهارا" كبيرين على ماهية العمل الروائي على الساحة العربية وبخاصة على صعيد البناء الفني الذي تحقق بعيدا" عن الخطابة والمباشرة والسرد والنفخ في المضامين ، والهروب من الواقع (٢) ٠

وتقدم العمل الروائي على الساحة العربية كثيرا" عن سابقه ، فأصبحت شبكة علاقاته موازية لشبكة علاقات الواقع القائم ، وحاولت أن تقيم تشكيلا" روائيا" مشوقا" ، وقصا" روائيا" قائما" على الحالة الجدلية (٣) ٠

اهتمت هذه المرحلة بإبراز الهم القومي والوطني بالدرجة الأولى ؛ فكانت النسبة الكبيرة من مضامين روايات هذه المرحلة تصب في هذا الاتجاه ، وهذا يوضح مدى الاستجابة الأدبية للشهادة على اللحظة التاريخية ، واهتمامهم بالمضامين على حساب الناحية الفنية ، لا سيما وأن معظم الروائيين الجيدين في

---

١٠ محمد عطيات ، القصة الطويلة في الأردن ، ص ٧٠ ٠

٢٠ عبدالرحمن ياغي ، الجهود الروائية ، ص ١٤١ ٠

٣٠ عبدالرحمن ياغي ، الرواية الأردنية ، ص ٩٧ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الفترة كانوا سياسيين سابقين ، جاءوا من السياسة إلى الأدب . بعد أن ضاقت خطاباتهم السياسية بأفكارهم ، وكانت خلفياتهم الأيدولوجية ، وثقافتهم السياسية العميقة ، ووعيهم الثقافي العميق للتاريخ ، وحركة المجتمع وتطوره ، من العناصر التي ساعدت على نجاحاتهم الروائية البارزة ومنهم : تيسير سبول ، وأمين شنار ، وغالب هلسا ، وسالم النحاس (١) .

لقد كان هؤلاء الروائيون قلقين على حاضر الأمة ومستقبلها ، وامتازوا وبخاصة بعد هزيمة ١٩٦٧ ، بوعي كبير للصراع السياسي والاجتماعي والفكري الذي كان قائما" في المجتمع ، ومما يدل على ذلك عناوين الأعمال الروائية في تلك الفترة ، التي اختيرت بدقة ووعي ، وهي ذات دلالات كبيرة (اخلاص ، النكبة ، الغروب ، الكابوس ، جراح ، العدم ...الخ) . وهذا يؤكد مدى انشغال الروائيين بالهم الاجتماعي والهم الوطني ، والصراع المحتدم بين العرب والمستعمرين الجدد من اليهود ، وإيجاد صياغات جديدة ، وخطابات متنورة تشكل تصورا" واضحا" لما سيكون (٢) .

وفي هذا الاطار ، وفي ضوء المتغيرات الجديدة – في الخمسينات – اعتنوا بهموم المرأة ، فكان حضورها الإنساني كبيرا" في عدد كبير من الروايات بغض النظر عن الرؤى التي انطلقوا منها .

كما استطاع روائيو هذه المرحلة – أواخر الستينات – تخطي لغة العصر الملتزمة بالصيغ البلاغية والتدبيج ، المشبعة بالألفاظ الجزلة ، فجاءت لغة الروايات في مرحلة التأسيس تحاكي لغة الشعب ولغة الشارع العربي ، الذي يعبر عن روح الأمة ورؤاها ، فانتقل الأدب ولغته من أدب الخاصة ولغتهم إلى أدب العامة ولغتهم (٣) .

---

١. شاكر النابلسي ، كيف عبّرت الرواية ، ص ١٤٨ .

٢. شاكر النابلسي ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

٣. شاكر النابلسي ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما لوحظ في هذه المرحلة غياب النقد الأدبي الموجّه للرواية ، وانصراف النقد إلى الفن العربي الأول المتمثل بالشعر ، الأمر الذي أدى إلى انصراف عدد من الروائيين عن كتابة الرواية بعد المحاولة الأولى ، وإعتقادهم بأنهم يكتبون في فراغ ، أو أنهم يكتبون لأنفسهم لا سيما وأن النقد الأدبي هو الذي يطور العمل الإبداعي ؛ فهو كالوقود بالنسبة للآلة .

وفي ضوء ما تقدم ، أعتقد أن الرواية الأردنية قد أدت دورا" مهما" منذ تأسيس الإمارة وحتى هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ ، لأن أية عملية إبداعية لدى الكاتب أو المبدع لا تخلق ناضجة ، إذ لا بد من محاولات عديدة حتى يستوعب العملية الإبداعية ، ويمتلك الأدوات الفنية التي تمكنه من تنفيذ عمليات إبداعية روائية جيدة ، وما التطور الذي حققه روائيو الثمانينات إلا نتيجة محاولات جيل الستينات من رواد مرحلة التأسيس لرواية أردنية حديثة قادرة على أخذ موقع لها على خريطة الرواية العربية ، التي حققت أعمالا" روائية منسمة قائمة على علاقات جدلية بين العناصر الرئيسية الزمان والمكان واللغة والإنسان ، فتطرح رؤى متقدمة ، ومعمارا" فنيا" ناضجا" بشكل لافت للنظر ، فمن أعمال تيسير سبول إلى أمين شنار ، وسالم النحاس ، وغالب هلسا ، وعيسى الناعوري ، وفؤاد قسوس وليانا بدر ، وجمال ناجي ، ومؤنس الرزاز ، وقاسم توفيق ، وابراهيم نصر الله ، وطاهر العدوان ...

وسوف تتناول الدراسة في الفصول القادمة ثلاثة من الروائيين البارزين في مسيرة الرواية الأردنية ، وهم يمثلون مرحلة التأسيس في الستينات (تيسير سبول) ، ومرحلة نضج الرواية الأردنية وتألقها ممثلة بـ مؤنس الرزاز وجمال ناجي في الثمانينات .ولعل هؤلاء الروائيين متأثرون إلى حد كبير بالعمل السياسي والوعي القومي والأيدولوجي ، إذ يعد هؤلاء الروائيون من أدبائنا الذين يتسمون بالقلق وروح الرفض للواقع العربي المرير ، ويرسمون الانكسارات التي عاشوها على طول الوطن العربي ، فيعبرون عن تجربتهم وأفكارهم من خلال أعمالهم الروائية الناجحة على صعيد المضمون والتكنيك الفني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

العوامل السياسية المؤثرة في الرواية في الأردن
من ١٩٦٧ إلى ١٩٩٢

المحتويات

- ☐ تمهيـــــــــد
- ☐ مفهوم السياسة
- ☐ مناهج دراسة السياسة
- ☐ محطات في مسيرة السياسة الأردنية
- ☐ المسيرة الحزبية في الأردن
- ☐ العوامل السياسية المؤثرة في الرواية :
  - ٠١ حرب حزيران ١٩٦٧
  - ٠٢ الصراع العربي الاسرائيلي
  - ٠٣ حرب تشرين /اكتوبر ١٩٧٣
  - ٠٤ اجتياح بيروت ١٩٨٢
  - ٠٥ الحرية والديمقراطيـة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

العوامل السياسة المؤثرة في الرواية الأردنية
من ١٩٦٧ الى ١٩٩٢

تمهيـــد :

يتناول الفصل الأول من هذه الدراسة العوامل السياسية المؤثرة في الرواية في الأردن ٠ ومن هنا ، أجد من المناسب الحديث – وبشيء من الاختصار – عن مفهوم السياسة أولا" ، وما يرتبط بها من مناهج ومفاهيم كالأيدولوجيا والحرية والديمقراطية ، وانعكاس هذه العناصر على تشكيل العمل الإبداعي وطروحاته ورؤاه ، إذ سأقف عند أبرز هذه العناصر قبل الدخول في موضوع البحث ، الذي يعنى بدراسة السياسة وأثرها في روايات عدد محدد من الروائيين الأردنيين ٠٠٠ وعذري في عدم التوسع أن ذلك سيأخذ بالدراسة منحى يبتعد كثيرا عن موضوعي الرئيسي ، كما أن الموضوع بحد ذاته يحتاج إلى بحث مستقل ، وبحاجة إلى عمل طويل شاق ومضن ٠٠٠ وبذلك لعلّي أفسح طريقا" أمام غيري من الباحثين للولوج إلى هذا الموضوع المهم ، لا سيما وأن مفهوم السياسة بدأ يغزو كل مناحي الحياة المعاصرة من اقتصاد وآداب واجتماع ورياضة وفنون٠٠٠

كما أجد من المناسب الوقوف عند أبرز المحطات والمنعطفات السياسية التي عصفت بمنطقتنا – أعني الأردن – منذ الاستقلال وحتى مطلع التسعينات ، ولا شك في أن هذه المرحلة غنيّة وزاخرة بالأحداث ٠ وقد لمست بصمات واضحة لهذه العوامل على تطور الرواية الأردنية وخطابها وبخاصة في ثمانينات هذا القرن ٠ ولذلك ، سوف اتحدث عن أهم العوامل السياسة المؤثرة في الرواية الأردنية شكلا ومضمونا" ، وسوف أمثل لهذه العوامل السياسية بأبرز الأعمال الروائية لمبدعينا الأردنيين ، التي تخدم موضوعنا وتغنيه دون الوقوف على جميعها ، ولا سيما وأن كثيرا" من الأعمال الروائية في مطلع التسعينات ، وما انطوت عليه هذه الفترة من ولادة ديمقراطية وتوافر قسط من الحرية ما زال في طور النمو ، وما زال الحكم عليها أو لها مبكرا" وموسوما" بالتعجل واللاموضوعية ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفهوم السياسة :

يعرف مفهوم السياسة بأنه " طريقة يمكننا من خلالها أن نفهم وننظم شؤوننا الاجتماعية ، ولا سيما ما يتعلق بتخصيص الموارد الشحيحة ، والمبادئ التي نضعها لهذا الغرض ، وكذلك الوسائل التي تستطيع من خلالها بعض الجماعات أو الأفراد السيطرة على الوضع اكثر من الأخرين " (١) ٠

فالسياسة وثيقة الصلة بحقول أخرى كالاقتصاد (العلاقات المادية) والاجتماع (العلاقات الاجتماعية) ، والجغرافيا (البعد المكاني) ، والتاريخ (البعد الزمني) ٠ وهذا يعني أن السياسة قبل كل شيء هي نشاط اجتماعي يتعلق بالعلاقات المادية والاجتماعية بين الناس ، ويختلف التعبير عنه بين منطقة وأخرى ، ويتغير من حين لآخر ٠٠٠ انه نشاط اجتماعي ديناميكي (٢) ٠

اذا ، فالسياسة مفهوم نستخدمه كجزء من النماذج والأطر الذهنية التي تفسر من خلالها ، أو نحاول أن نفهم العالم من حولنا ٠ وبناء عليه ، فإن فهمنا هذا انما يعتمد ، على الأقل ، على كيفية تعريفنا للسياسة وللنشاط السياسي ، فليس هناك تعريف صحيح وكامل للسياسة ؛ إذ إن التعريفات العديدة للمصطلح التي تقابلنا يمكن أن نعتبرها في ضوء الأغراض المختلفة التي وضعت من أجلها(٣)٠

مناهج دراسة السياسة :

لقد استخدمت عدة مناهج في دراسة علم السياسة ، كالمنهج الوصفي ، والمنهج التاريخي ، والمنهج التأملي ، والمنهج السلوكي الذي يحاول أصحابه تطبيق بعض المناهج الكمية في العلوم الطبيعية ٠ كما أن هناك مدخلين رئيسيين يستخدمان في دراسة علم السياسة ، هما :

١٠ المدخل الفلسفي أو المنطقي

٢٠ المدخل العلمي

---

١٠ بيتر غيل وجيفري يونتون ، مقدمة في علم السياسة ، ترجمة محمد مصالحة ، ١٩٩١، ص ١٧ ٠

٢٠ محمد مصالحة ، مقدمة في علم السياسة ، ص١٧

٣٠ محمد مصالحة ، مقدمة في علم السياسة ، ص٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمدخل الأول تأملي ومعياري ، وهـو يبحث في كيفية توضيح مفاهيم كالعدالة والحرية والديمقراطية ، وكيفية تحقيقها عمليا ٠

أما المدخل الثاني فيرى وجوب تحليل السياسة كميا واستقرائيا كما في العلوم الطبيعية (١) ٠

يدرس المدخل الأول أهمية " العقلنة " ، وتفسير ما يبرر أهمية السياسة ويجعلها ذات معنى بالنسبة لأولئك الذين ينغمسون فيها بنشاط ، وكذلك يدرس كيف يمكن للمجتمعات أن تنسجم بنجاح مع مطالبها الكثيرة والمتكررة ٠

أما المدخل الثاني فقد تطور في القرن العشرين ، وجاء ردا على المدخل الفلسفي التأملي ٠ فقد حث على ضرورة فصل التحصيل السياسي وتحريره من القيم باستخدام أدوات كمية ومناهج العلوم التطبيقية التي أصبحت ميسرة جدا نتيجة التطور السريع للحاسبات الالكترونية " الحاسوب" (٢) ٠

ولعلي لا أجانب الصواب اذا قلت – وفي ضوء التعريف السابق – إن السياسة لا ترتبط بالأخلاق أو بمعنى أدق لا تعنى بالأخلاق ولا بالمسائل الإنسانية، وهذا ما نشهده في العقد الأخير من القرن العشرين ، وما قهر الإنسان الضعيف واستباحة دمه وماله وإنسانيته إلا دليل على المفهوم السياسي الحديث ، وهذا يقودنا بصورة أو بأخرى إلى ما يسمى بالديمقراطية الحديثة ، وما يعاني الإنسان في ظلالها ؛ فالديمقراطية يعرفها الأدب السياسي بأنها حكم الشعب ، اذ لا يمكن دراسة الديمقراطية بمعزل عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تعمل في ظلها (٣) وهذا يقودنا إلى ضرورة تبني مجموعة أفكار متماسكة تقدم لنا دليلا للعمل السياسي أو ما يطلق عليه بـ " الأيدولوجيا (٤) ؛ إذ إن الايدولوجياعملية

---

٠١ محمد مصالحة ، مقدمة في علم السياسة ، ص ٢٨

٠٢ محمد مصالحة ، مقدمة في علم السياسة ، ص ٢٩

٠٣ محمد مصالحة ، مقدمة في علم السياسة ، ص ٤٦

٠٤ محمد مصالحة ، مقدمة في علم السياسة ، ص ٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عقلنة العمل السياسي وترشيده نحو المتعاطفين معها ، كما تعد عاملا" تجميعيا" مهما" وعربة للمعارضة ، وتلك الجماعات التي تناوىء العمل السياسي أو الشكل السياسي العام السائد في منطقة معينة (١) .

وفي ضوء ما سبق ، فإن مفاهيم الديمقراطية والحرية والايدولوجيا السياسية أو العقائدية ومناهج العمل السياسي والتعددية والحزبية تختلف من المجتمع الغربي إلى المجتمع الشرقي أو حتى المجتمع الإسلامي مثلا" . وبذلك ، تبرز المعارضة أو جماعات مناوئة لمجموع متعاطي العمل السياسي ، وهذا بالضرورة ، يفرز نتائج مختلفة ومتفاوتة ترمي بظلالها على الإنسان الفرد أولا" وأخيرا" .

محطات في مسيرة الأردن السياسية :

شهد الأردن منذ استقلاله في ٢٥ آيار عام ١٩٤٦ مشكلات متعددة برز أهمها في الأوضاع السياسية والاقتصادية ، الأمر الذي اضطر الأمير عبدالله أن يعقد اتفاقيات ومعاهدات مع بريطانيا لتأمين المساعدات الاقتصادية والفنية التي كان الأردن بحاجة ماسة اليها . وقد أدى ذلك إلى وجود حركة معارضة في أوساط الجماهير ضد هذه القيود والمعاهدات انعكست في الصحف والمجلات التي كانت تصدر آنذاك (٢) .

لقد حاول الأمير عبدالله - المعروف بذكائه - أن يحافظ على التوازن بين التيارات المتعددة في المجتمع الأردني ، وحاول جاهدا في الوقت نفسه الحصول على الاستقلال بالوسائل الدبلوماسية ، ففي ٢٢ آذار سنة ١٩٤٦ أُبرمت بين الإمارة في شرقي الأردن وبريطانيا معاهدة صداقة وتعاون ، تحولت بعدها الإمارة إلى مملكة . ونودي بالأمير عبدالله ملكا على المملكة الأردنية الهاشمية ، وذلك في ٢٥ آذار عام ١٩٤٦ (٣) .

---

١. محمد مصالحة ، مقدمة في علم السياسة، ٩٤.

٢. سمير قطامي ، الحركة الأدبية في شرقي الأردن ، عمان ، ١٩٨٩ ، ص ٩ .

٣. سمير قطامي ، الحركة الأدبية ، ص ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تُرضِ المعاهدة الشعب الأردني ، فشرعت حكومة المملكة في مفاوضات جديدة مع بريطانيا انتهت بالتوقيع على معاهدة جديدة في ١٥ آذار عام ١٩٤٨ ، تعطي الحق لبريطانيا بالاحتفاظ بقاعدتين للطيران في عمان والمفرق ، وأن تمنح لهاتين القاعدتين جميع التسهيلات العسكرية ، وتأليف مجلس دفاع مشترك أردني بريطاني ،شريطة أن تقوم بريطانيا بدفع نفقات الجيش الأردني (١)

وفي الفترة التي كانت المفاوضات قائمة بين الأردن وبريطانيا ، كانت فلسطين تتعرض إلى مؤامرة استيطانية خطيرة من قبل العصابات اليهودية والمشروع الصهيوني بمساعدة من بريطانيا ، وقد عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعا" في بلودان في حزيران سنة ١٩٤٦ ،اتخذ فيه قرارات سرية وعلنية تؤكد تصميم العرب على التدخل بصورة مباشرة لتأييد حق العرب في فلسطين (٢) ٠

وقد أدركت الحكومات العربية أن الأمر أكبر وأخطر مما كانوا يتصورون ، ولم يستطع العرب تنفيذ قرار لجنة التحقيق الدولية المنبثقة عن الجمعية العامة ٠

وفي شهر أيلول سنة ١٩٤٧ نشر تقرير اللجنة الذي يقترح تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وأشار إلى إدارة دولية خاصة بالقدس ٠ وبعد ذلك ، أعلن وزير المستعمرات البريطاني أن الحكومة توافق على إنهاء الانتداب وقد حددت الخامس عشر من آيار سنة ١٩٤٨ موعدا لتنفيذ ذلك (٣) ٠

بعد قرار التقسيم ، اجتمع مجلس الجامعة العربية في ٨ كانون الأول سنة ١٩٤٧ في القاهرة ، وقد قرر المجتمعون اعتبار قرار التقسيم باطلا ، واتخذوا التدابير لإنشاء جيش الانقاذ ، وقد تحركت سرايا من هذا الجيش إلى فلسطين في مطلع عام ١٩٤٨ لحماية السكان من اعتداءات العصابات اليهودية ٠

---

٠١ سمير قطامي ، الحركة الأدبية ، ص ٩ ٠

٠٢ منيب الماضي وسليمان الموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين ص٤٦٤ ٠

٠٣ سمير قطامي ، الحركة الأدبية ، ص ١١ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن نظرا" للفارق التسليحي والتدريبي والتنظيمي والعددي بين جيش الانقاذ من جهة وبين المنظمات اليهودية (الهاجانا) وشتيرن والأرغون من جهة أخرى لم يفلح جيش الانقاذ بالوقوف في وجه العصابات اليهودية ، فاحتلت الأخيرة المزيد من الأرض حتى بلغت نسبة الأراضي التي احتلتها ٧٧٪ بدلا من ٥٦٪ حسب قرارات التقسيم الأمر الذي أدى إلى نزوح مئات الالاف من المواطنين الفلسطينين وهجرتهم إلى الأردن والبلاد العربية ٠

لقد اهتم الأردن بشؤون الفلسطينيين منذ اللحظة الأولى ، واعتبر كل من يقيم على أرض الأردن مساويا" للأردني في الحقوق والواجبات ، ونظرا" للعلاقة المتميزة بين الشعبين الأردني والفلسطيني ، فقد أدرك الفلسطينيون عمق العلاقة والأخوة مع الأردن ، ففي الأول من كانون الأول سنة ١٩٤٨ عقد مؤتمر فلسطيني في عمان برئاسة الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ، وحضره عدد كبير من زعماء فلسطين ووجهائها ٠ وجاء في قراراته الرغبة بتوحيد الضفتين ٠ كما عقد مؤتمر كبير في أريحا ضم عددا" كبيرا" من زعماء ووجهاء القدس والخليل وبيت لحم ورام الله والأقضية التابعة لها ٠٠٠ واتخذ المؤتمرون عددا" من القرارات كان من أبرزها الوحدة مع شرقي الأردن ، ومبايعة الأمير عبدالله ملكا" على الضفتين ٠ فشكلت أو حكومة أردنية برئاسة توفيق أبو الهدى في ٧ آيار سنة ١٩٤٩ ، ثم أعيد توحيد مجلس الأمة ، وأعيدت انتخابات النواب في الضفتين، واستقالت حكومة توفيق أبو الهدى ٠ وبعد انتخاب النواب ، عهد الملك لسعيد المفتي بتشكيل الحكومة ، التي كان من أول أعمالها عرض مشروع توحيد الضفتين على البرلمان، وذلك في ٢٤ نيسان سنة ١٩٥٠ ، فحظي المشروع بالموافقة عليه بالإجماع (١)

وبعد قيام الوحدة بين الضفتين ، تعرض الأردن إلى حملة شرسة وهجوم ضار من بعض المسؤولين العرب ، والصحف العربية وبخاصة في مصر، وقد حاولوا طرد الأردن من الجامعة العربية على خلفية قرار الوحدة ٠

---

١٠ الماضي وموسى ، تاريخ الأردن ، ص ٥٣٧ - ٥٤٣ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما شهد الأردن حادثة اغتيال الملك عبدالله على باب المسجد الأقصى في العشرين من تموز سنة ١٩٥١ ... وتم تعيين الأمير نايف وصيا" على العرش إلى أن عاد الأمير طلال من سويسرا من رحلة علاج ، حيث نودي به ملكا على البلاد في أيلول سنة ١٩٥١ ، كما عين الأمير حسين وليا للعهد .

لم تطل المدة التي حكم فيها الملك طلال بسبب تردي حالته الصحية ، فاضطر مجلس الأمة في ١١ آب ١٩٥٢ إلى إنهاء ولايته ، والمناداة بالأمير حسين ملكا دستوريا للبلاد ، ولم يكن آنذاك قد بلغ سن الرشد ، فتقرر تعيين مجلس وصاية على العرش ... وفي تلك الفترة حصلت مشادات بين مجلس النواب وحكومة توفيق أبي الهدى ، واستمر الحال إلى أن عاد الملك حسين وتسلم سلطاته الدستورية في الثاني من آيار سنة ١٩٥٣ ، عندما أتم الثامنة عشرة من عمره (١).

أوكل الملك حسين رئاسة الحكومة إلى فوزي الملقي الذي أشاعت حكومته أجواء" من الديمقراطية والحرية (٢) ، وعدلت عددا" من القوانين والأنظمة استجابة لطلبات مجلس النواب والتي تحد من سلطات الحكومة ، وأفسحت المجال لعدد من الصحف العقائدية ، وقد استغلت الفئات السياسية هذه الظروف مما خلق جوا من البلبلة والصراع بين الفئات المحافظة والفئات التقدمية . ولا شك في أن هذه العوامل إضافة إلى عوامل خارجية كان لها الأثر الكبير في استقالة حكومة الملقي سنة ١٩٥٤ ، ليخلفه توفيق أبو الهدى الذي تبين أن حكومته لن تستطيع الحصول على ثقة مجلس النواب ، فلجأ الى حله ، ودعا إلى انتخابات نيابية جديدة في العام نفسه ، ثم تقوم الحكومة بإلغاء بعض إجراءات الحكومة السابقة وقراراتها، فتوقف الصحف الحزبية والسياسية وتعطلها ، وهي :
الرأي (القوميون العرب) ، اليقظة (البعث) ، الكفاح الإسلامي (الاخوان المسلمون) ، الجبهة (الشيوعيون) ، الوطن (ابراهيم بكر ويحيى حمودة) ، العهد الجديد ، صوت الشعب (٣) .

---

١. سمير قطامي ، الحركة الأدبية ، ص ١٦ .
٢. غلوب باشا ، جندي مع العرب ، ص٢١٣ .
٣. سمير قطامي ، مرجع سابق ، ص ١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما حدثت مظاهرات عنيفة في عمان وبعض المدن الأردنية نظرا لتشكيل كتلة سعيد المفتي بالانتخابات ، فتدخل الجيش في تلك الاثناء ٠٠٠ وجاءت حكومة أبي الهدى لتقضي على الفوضى والشيوعية ، وتعيد للحكم هيبته٠ وقد رافق ذلك إعتداءات إسرائيلية على الحدود الأردنية ، وفي ظل هذه الظروف والأحوال الاقتصادية المتردية ، اتخذت بعض الدول العربية من الأردن مواقف عدائية ، وفي الوقت نفسه ضغطت بريطانيا على الأردن لتوقيع اتفاق ثنائي بين الأردن واسرائيل ٠٠٠ وفي شباط سنة ١٩٥٥ قام حلف بغداد بين العراق وتركيا، وزار رئيس وزراء تركيا جلال بايار الأردن لحثه على الدخول في الحلف ، الذي كان يتعرض لهجوم حاد من قبل كل من مصر والسعودية ٠

ولما جاءت حكومة هزاع المجالي سنة ١٩٥٥ ، وكان الرأي أن يدخل الأردن حلف بغداد ٠٠٠ قامت المظاهرات في البلاد ، وفرض منع التجول ، واستمرت الفوضى إلى أن استقالت حكومة المجالي ، ثم حل مجلس النواب ، وفي ٨ كانون الثاني سنة ١٩٥٦ شكل سمير الرفاعي الحكومة ، واستمرت البلاد بالغليان بسبب استمرار رغبة الحكومة بدخول حلف بغداد ، فقامت المظاهرات في المدن الأردنية ، وكان هم الحكومة الأول فرض النظام ، فاعتقلت عددا" من المواطنين ، واقتنعت الحكومة أخيرا بأنها ليست بحاجة الى الدخول في الأحلاف لا سيما في ظل رفض الجماهير المحتشدة والقوى الوطنية (١) ٠

وفي الأول من آذار عام ١٩٥٦ طلب الملك حسين عقد مجلس الوزراء، وأبلغهم رغبته بإنهاء خدمات رئيس الأركان كلوب باشا وعدد من الضباط الانجليز، وعيّن راضي عناب رئيسا" للأركان ٠٠٠ وفي ضوء ذلك تعهدت الدول العربية بدفع معونات إلى الأردن ، اذ قطعت بريطانيا المعونة عن الأردن ، وقد تزامن ذلك مع تزايد الإعتداءات الإسرائيلية على الأردن (٢) ٠ كما استمرت المظاهرات الصاخبة التي كانت تقودها القوى الوطنية التي نادت بطرد بريطانيا ورحيلها عن البلاد وكذلك رحيل الضباط الانجليز (٣) ٠

---

١٠ سمير قطامي ، الحركة الأدبية ، ص ٢٠ ٠
٢٠ سمير قطامي ، الحركة الأدبية ، ص ٢١ ٠
٣٠ غلوب باشا ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي ٢١ آذار سنة ١٩٥٦ أجرت حكومة ابراهيم هاشم انتخابات مجلس النواب ، وقد كانت الانتخابات نزيهة ، وفازت فيها الاتجاهات الوطنية والقومية والتقدمية بنصيب وافر ، وكان الحزب الوطني قد فاز بأحد عشر مقعدا ٠ فعهد الملك إلى سليمان النابلسي الأمين العام للحزب الوطني ، بتشكيل الحكومة ، فشكلها في ٢٩ كانون الأول عام ١٩٥٦ (١) ٠

شهد عام ١٩٥٦ عددا" كبيرا" من الاعتداءات الإسرائيلية على الأردن ومصر وسورية ؛ لأن الأردن طرد كلوب باشا ؛ ولأن مصر اشترت أسلحة تشيكية ؛ ولأن سوريا أقامت معاهدات واتفاقات مع مصر والأردن ٠ وقد أعلنت إسرائيل عن نواياها التوسعية لأنها لا تملك حدودا" استراتيجية مع الدّول العربية الأمر الذي سيجعلها تشن حربا" على الدول العربية للاستيلاء على نقاط استراتيجية على طول الحدود ٠

وبعد تشكيل حكومة النابلسي ببضع ساعات ، بدأ العدوان الثلاثي على مصر ٠ فعقدت الحكومة اجتماعات متعددة ، وطلبت المساعدة من سوريا والعراق والسعودية اذا تعرض الأردن لهجوم إسرائيلي ٠

وقد اتفقت سورية ومصر في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٥٧ على دفع اثني عشر مليونا" ونصف المليون من الجنيهات المصرية في السنة ولمدة عشر سنوات للحكومة الأردنية ٠

وبعد تكشف حقيقة بريطانيا في أثناء العدوان الثلاثي ، قرر الأردن في ١٣ آذار ١٩٥٧ إنهاء المعاهدة مع بريطانيا ، ليبدأ الانجليز بالجلاء عن مطار المفرق في ٣١ آذار ، ومن ميناء العقبة في ٧ تموز من العام نفسه ٠ وبذلك ، انتهت العلاقة التعاقدية مع بريطانيا التي ابتدأت منذ عام ١٩٢١ ٠

لقد كانت حكومة النابلسي تسير على نهج يخالف رغبة الملك ، فقد اعترفت الحكومة بالاتحاد السوفياتي ، وكانت تنوي الاعتراف بالصين الشعبية ،

---

١٠ سمير قطامي ، مرجع سابق ، ص ٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبدا لحكومة النابلسي سيطرتها على الجيش ، وعلى الشارع الأردني ٠ وفي ١٠ نيسان سنة ١٩٥٧ طلب الملك من النابلسي تقديم استقالة حكومته (١) ٠

وتسارعت الأحداث في البلاد ، وطلب الملك تشكيل حكومة برئاسة حسين الخالدي شارك فيها عدد من رؤساء الوزارات السابقين حفاظا على الكيان الدستوري ، ولتهدئة الأطراف الأخرى ٠ وقد جاءت إلى الملك رسائل تأييد من الملك فيصل والملك سعود يعدانه فيها بالتأييد المطلق ، وكذلك ظل الإخوان المسلمون على ولائهم للملك ، وكذلك فعل زعماء البلاد (٢) ٠

وفي هذه الظروف عقدت الأحزاب مؤتمرا" عاما" في نابلس أُطلق عليه المؤتمر الوطني حضره ٢٣ نائبا ، وقد دعوا إلى إضراب عام ومظاهرات شاملة الأمر الذي أدى إلى استقالة الحكومة ، وتكليف ابراهيم هاشم بتأليف حكومة أعلنت الأحكام العرفية في جميع أنحاء المملكة ، وفرضت منع التجول في المدن ، وحلت الأحزاب ، وأوقفت صدور الصحف ، واعتقلت الشيوعيين والبعثيين (٣) ٠ وتأزمت العلاقات بين الأردن وكل من مصر وسورية ، فأوقفتا الدعم المخصص للأردن ، وشنتا حملات عنيفة في الصحف والإذاعات ٠ وقد وصل الأمر إلى سحب السفراء ٠ فتدخلت أمريكا ، وعقدت مع الأردن اتفاقية في حزيران عام ١٩٥٧ منحت بموجبها الأردن معونة عسكرية واقتصادية قيمتها ثلاثون مليون دولار (٤) ٠

بعد ذلك ، ألغيت الأحكام العرفية بعد استتباب الأمن ، وقدم عدد من نواب الحزب الوطني الاشتراكي والبعثيين والشيوعيين استقالاتهم ٠ كما شهدت سنة الوحدة بين مصر وسورية (شباط ، ١٩٥٨) محاولة لخنق الأردن ، وإغلاق حدوده ، ومنع طيران الأردن من المرور في سماء سورية ٠

---

١٠ تشارلز جونستون ، الأردن على الحافة ، ص ٣٩ ٠

٢٠ تشارلز جونستون ، الأردن على الحافة ، ص ٧٢ ٠

٣٠ غلوب باشا ، جندي مع العرب ، ص ٢٦ ٠

٤٠ تشارلز جونستون ، الأردن على الحافة ، ص ٩٠ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الأول من تموز سنة ١٩٥٨ ، تألفت حكومة اتحاد مع العراق ، ولكن في تلك الأثناء حدثت ثورة ١٤ تموز ، فقتل الملك فيصل وعبدالإله ومعظم أفراد العائلة المالكة . فلجأ الأردن إلى طلب المعونة من بريطانيا ، فأنزلت قوات المظليين في مطار عمان يوم ١٦ تموز ، وجاءت قوات أخرى إلى العقبة (١) .

ساءت العلاقات بين الأردن وسورية بعد اغتيال هزاع المجالي في مكتبه وذلك في ١٩٦٠/٨/٢٨ ، وقد كانت لدى الملك نية الهجوم على سورية للانتقام لمقتله . ولكن السفير البريطاني نصحه باللجوء إلى هيئة الأمم (٢) فكلف الملك بهجت التلهوني لتشكيل الحكومة خلفا" لهزاع المجالي وذلك بتاريخ ١٩٦٠/٩/٢٩ ، وفي أثناء ذلك تدهورت العلاقات مع العراق بسبب اعتراف الأردن باستقلال الكويت عام ١٩٦١ ، ودخول الأردن في القوة العربية لحماية استقلال الكويت ، وعدم اعتداء العراق عليه . فغضب العراق ، وسحب سفيره من عمان ، وعاد وصفي التل من بغداد لتشكيل حكومة جديدة في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٦٢ (٣) .

بعد ذلك ، تسارعت الأحداث ، فحدثت ثورة في اليمن في ٢٧ أيلول ١٩٦٢ ، وكان الأردن إلى جانب السعودية في دعمهم نظام الإمام . وفي شباط وآذار سنة ١٩٦٣ تسلم حزب البعث زمام الحكم في كل من سورية والعراق . وكان الأردن يرغب بتحسين علاقاته مع القطرين المجاورين سورية والعراق ، وفي الوقت نفسه كانت الاضطرابات محتدمة في الأردن فسقطت حكومة سمير الرفاعي ، وحل البرلمان ، ثم هدأت الأحوال إثر نشوب الخلافات بين الناصريين والبعثيين بعد شهر من اتفاقهما .

وفي آذار ١٩٦٥ ، أصدر الملك أمرا" بإحراق أكثر من عشرين ألف ملف من ملفات المخابرات العامة ، ثم صدر قانون العفو العام ، وألغيت الأحكام العرفية التي كانت تصدرها المحاكم على السياسيين ، فعاد معظمهم إلى الأردن ، وتسلم كثير منهم مناصب رفيعة .

---

١. سمير قطامي ، الحركة الأدبية ، ص ٢٦ .
٢. تشارلز جونستون ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ .
٣. سمير قطامي ، الحركة الأدبية ، ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم استمرت العلاقات بين الأنظمة العربية والنزاعات والثورات وحملات التشكيك والمزايدات والانقلابات ٠ وقد انجرت منظمة التحرير إلى هذه اللعبة المأساة ٠ وقد جر هذا كله إلى تهيئة الجو الملائم لتشن إسرائيل حربا" على البلاد العربية ٠٠٠ وفي أواخر آيار سنة ١٩٦٧ توقفت الحملات بين الدول العربية ٠ وعقد اتفاق للدفاع المشترك بين مصر والأردن في ٣٠ آيار عام ١٩٦٧ ، وبين الأردن والعراق في ٤ حزيران ، واستقبل الأردن وفدا" عسكريا" مصريا" قبل ساعات من الحرب ٠ ولكن الحرب فاجأت الدول العربية في الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ ، فدمرت الجيوش والأسلحة العربية ، وضاعت الأرض الفلسطينية ، والجولان وسيناء ، وتشرد مئات الآلاف من أبناء فلسطين مرة أخرى٠

وبعد أقل من عام ، وإثر نشاط العمل الفدائي عبر نهر الأردن ، وإعادة ترتيب صفوف الجيش الأردني ٠ شنت إسرائيل حربا" خاطفة لاحتلال مناطق جديدة من الأردن ، ولتدمير قواعد المنظمات الفلسطينية في مناطق الأغوار ومرتفعات السلط وفرض قيود جديدة وسياسة أمر واقع جديدة على الأردن ٠ وقد استطاع الأردن في معركة الكرامة ٢١ آذار ١٩٦٨ الوقوف في وجه الآلة الإسرائيلية ، وتمكن من طرد المعتدين خارج حدود النهر ، وأعاد للإنسان العربي شيئا" من الكرامة في ظل الهزائم المتلاحقة ، وعقدة التفوق الإسرائيلي ٠

وفي تشرين عام ١٩٧٣ ، استطاعت الدول العربية على جبهة سورية ومصر وبمساعدة عربية واستخدام سلاح النفط ورقة سياسية ضاغطة ، استطاعوا أن يشنوا حربا" على إسرائيل ، وقد أدت إلى فرض واقع جديد على ساحة النزاع العربي الإسرائيلي على الرغم من عدم تمكن العرب من تحقيق نصر حقيقي على أرض الواقع ٠

وفي غضون العقدين التاليين لحرب تشرين ، استطاعت إسرائيل – وبدعم لا محدود من أمريكا والغرب – أن تثبت للأمة العربية والعالم أنها قوة عسكرية متفوقة على جميع الصعد ، كما استطاعت أن تقضم أجزاء" من الوطن العربي في غير دولة واحدة ، وبخاصة في غزوها لجنوب لبنان ، وإقامة كيان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عميل لها يشكل شوكة في خاصرة الوطن العربي ، وطريقاً للهجوم على المنظمات الفلسطينية واللبنانية التي اتخذت من فلسفة طرد إسرائيل من الجنوب شعاراً تناضل من أجله ، مما دفع إسرائيل لاجتياح بيروت عام ١٩٨٢ .

ومن جهة أخرى تدور الحرب العراقية الإيرانية على الجناح الشرقي للأمة العربية ويتخذ الأردن موقفاً تاريخياً في دعم العراق ، إذ يقف الأردن طيلة سنوات الحرب الثماني إلى جانب العراق إيماناً بدوره القومي ، فكانت الحرب شرسة ، ومؤلمة على المستويات كافة . ولم تلبث الأمة أن تلملم جراحها حتى تدخل كابوس حرب الخليج سنة ١٩٩١ ، فتقسم الأمة إلى معسكرين متناحرين ، ويقف احدهما إلى جانب الهجمة الاستعمارية الجديدة ضد العراق . فيدخل الأردن من جديد – جراء مواقفه القومية – في نفق مظلم ، ليعاني من الظلم والكراهية والحصار وعداوة ذوي القربى . وتنشأ القطيعة العربية في أبشع صورها ، فتعيش الأمة ليلاً مظلماً ، وتدهوراً على كافة الصعد الاقتصادية والسياسية والعسكرية والفكرية والإنسانية ، في الوقت الذي يشيد العالم مشروعاً حضارياً ضخماً وتقدماً تكنولوجياً متسارعاً .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسيرة الحزبية في الأردن :

ترتبط نشأة الأحزاب بوجود أزمات التنمية السياسية ، كأزمة الشرعية التي تنجم عن انعدام المشاركة السياسية ، مما يؤدي إلى تكوين اتجاهات معينة ، وبالتالي وجود أحزاب تنشط في كسب التأييد الجماهيري لمعارضة الحكم القائم ٠ وأما أزمة المشاركة السياسية نفسها التي تنشأ نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية الكبرى ؛ فإنها تؤدي إلى إحداث تغييرات مهمة في نظم التدرج الاجتماعي القائمة بما يسمح ببروز نخب وجماعات جديدة تتسبب في إضعاف سلطة القوى الحاكمة التقليدية وتنافسها في توجيه الجماهير ، وتكوين إرادة عامة باتجاه التحديث السياسي الذي يعتمد على المؤسسة بما تتضمن من تعبئة اجتماعية ومشاركة سياسية قد تسبب في تحلل النظام السياسي ، وانعدام الاستقرار ٠ ولذلك ، لابد من تحقيق توازن ما باستيعاب التعبئة الاجتماعية والمشاركة السياسية عبر مؤسسات سياسية قوية تؤدي إلى التمايز البنيوي والتكامل القومي(١)

وتعد الأحزاب السياسية في الوطن العربي مجندة لكسب الحقوق ، واسترجاع الحريات الأساسية ، ورفع مبادىء الديمقراطية ، وتطهير الحياة السياسية من الانحرافات الفردية ٠ في حين وجدت الأحزاب في الغرب للحفاظ على تلك الحقوق ، ولصون الحريات ، وترسيخ مبادىء الديمقراطية ، ومن ثم ممارسة هذه الديمقراطية في المجتمع ٠ ولذلك ، يعمل الحزب السياسي في الغرب في كنف النظام وتحت رعايته ، بينما نجده في الوطن العربي يعيش حالة نضالية مع النظام ٠ ولذلك ، فهو يعيش على هامش ذلك النظام ، وهو في حالة صدام مستمر معه (٢) ٠

لقد تعددت تعريفات الأحزاب السياسية ، مثلها مثل أية مفاهيم اجتماعية يؤثر تطورها على صياغة تعريفاتها دون الوصول إلى تحديد علمي دقيق ، إذ

---

١٠ عبدالله نقرش ، التجربة الحزبية في الأردن ، منشورات لجنة تاريخ الأردن ، ط٢ ، عمان ، ١٩٩٢ ، ص ١٦ ٠

٢٠ رناد عياد ، التيارات السياسية في الأردن ، الجزء الثاني ، عمان ،١٩٩٢ ، ص١٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرتبط عند موريس دوفرجيه بالمجموعات من الأفراد ؛ إذ إن الحزب ليس طائفة، بل مجموعة طوائف أو اجتماع مجموعات صغيرة تنتشر في البلاد ، ترتبط فيما بينها بنظم تنسق عملها للوصول إلى الحكم عن طريق الانتخابات (١) .

ويرى اديمون بيرك أن الحزب هيئة من مجموعة من الأفراد تهدف للعمل معا" لتحقيق الصالح القومي بناء" على مبادىء محددة ومتفق عليها (٢) .

أما التعريف الماركسي للحزب السياسي فهو يستند إلى مؤدى النظرية الماركسية وموقفها من البنى البرجوازية والطبقية ؛ فالحزب عند ماركس هو تعبير عن المصلحة الاقتصادية لطبقة ما ، وعند لينين هو القطاع الطليعي لهذه الطبقة . وفي المجتمع الماركسي اللاطبقي يكون الحزب هو حزب الغالبية العظمى من الشعب " البروليتاريا " . أما وصول الحزب إلى السلطة فسيكون عن طريق التغيير والثورة وليس بالوسائل السلمية والحوار الديمقراطي (٣) .

فالحزب تنظيم اجتماعي لفئة من الناس لها رؤية خاصة تجاه مصالح متشابهة (٤) ؛ إذ إن حرية تكوين الحزب السياسي ومباشرة نشاطه في مجتمع ترقى إلى مستوى الحق " الطبيعي " قبل أن تكون حقا" دستوريا" ، وهي مسألة ترتبط بالحريات العامة للشعب ، مثل : حرية الرأي ، والتجمع . كما أنها تعبير عن روح المجتمع القانوني الذي يقوم على التعاون والائتلاف (٥) .

يشير الدكتور عبدالله نقرش إلى وجود سبعة أحزاب سياسية جاءت بعد حصول الإمارة على الاستقلال عام ١٩٤٦ ، وإعلان الدستور الثاني للدولة الأردنية الجديدة (٦) .

---

١. عبدالله نقرش ، التجربة الحزبية ، ص ١٨ .
٢. عبدالله نقرش ، التجربة الحزبية ، ص ١٨ .
٣. عبدالله نقرش ، التجربة الحزبية ، ص ١٨ .
٤. عبدالله نقرش ، التجربة الحزبية ، ص ١٣ .
٥. عبدالله نقرش ، التجربة الحزبية ، ١٧ .
٦. عبدالله نقرش ، التجربة الحزبية ، ص ٤٤ – ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حزب البعث العربي :

تأسس حزب البعث العربي عام ١٩٤٦ في سوريا على يدي ميشيل عفلق وصلاح البيطار ٠ وفي عام ١٩٥٠ اندمج الحزب مع حزب الشباب الذي أسسه أكرم الحوراني ليكونا حزب البعث العربي الاشتراكي ٠وفي عام ١٩٥٣ وعن طريق عدد من الطلاب الذين تخرجوا من الجامعات السورية ، تشكلت أول قيادة قطرية في الأردن من : أمين شقير ، ومنيف الرزاز ، وعبدالله الريماوي ، وسليمان الحديدي ، وعبدالله نعواس ، وبهجت أبو غربيبة ، وحسني الخفش ٠ وقد حاول هؤلاء في عام ١٩٥٤ الحصول على ترخيص لكنهم فشلوا ، وكرروا ذلك عام ١٩٥٥ ، حين أصدرت محكمة العدل العليا قرارا في ١٩٥٥/٨/٢٨ لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي في الأردن (١) ٠

وفي عام ١٩٦٧ عاد الحزب للعمل دون ترخيص ، وبدأ نشاطه بتعاونه مع منظمة فتح ، ثم حدثت انقسامات كبيرة في صفوفه إثر الانقلاب العسكري الذي قام به حافظ الأسد عام ١٩٧٠ ٠ وظل الحزب يمارس نشاطه دون فاعلية حقيقية منادياً" بشعار(وحدة ، حرية ، اشتراكية ، أمة عربية ذات رسالة خالدة)٠ ولم يؤد الدور المطلوب منه على المستوى القطري وبناء دولة الوحدة ٠

الحزب السوري القومي الاجتماعي :

وفي عام ١٩٣٢ ، أسس انطون سعادة الحزب السوري القومي الاجتماعي من عدد من الطلاب الدارسين في الجامعة الأمريكية ، وبقي الحزب يعمل بصورة سرية حتى عام ١٩٣٥ ، عندما بدأ بالانتشار حتى وصل إلى الساحة الأردنية في الخمسينات ٠

يدعو الحزب إلى وحدة الأمة السورية ، ومصلحة الشعب السوري الممتد في الهلال الخصيب ، حيث يشمل جزءا" من العراق والسعودية إضافة إلى الأردن وسوريا الكبرى ٠ ويعمل الحزب على فصل الدين عن السياسة ، ويدعو إلى بعث نهضة سورية قومية اجتماعية (٢) ٠

---

٠١ رناد عياد ، التيارات السياسية ، ص ٦٢ ٠

٠٢ رناد عياد ، التيارات السياسية ، ص ٦٢ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زار انطون سعادة الأردن عام ١٩٣٨ ، واجتمع بالأمير عبدالله ، كما اجتمع بعدد من الشباب محاولا" نشر مبادىء الحزب الذي بدأ بالانتشار في الأردن عام ١٩٤٣ ٠ ومن أعضائه في تلك الفترة على الساحة الأردنية : نمر الحمود ، وفرح أبو جابر ، ونايف قعوار ، وجمال الشاعر ، وجميعهم من السلط ، وحافظ عبدالهادي ووصفي التل الذي كان من أبرز أعضائه في الأردن (١) ٠

اختفى الحزب عن الساحة الأردنية مدة طويلة ، حتى بدأ يعيد تنظيم صفوفه بعد عام ١٩٨٨ ، وهو العام الذي شهد كثيرا" من التحولات الديمقراطية والتعددية السياسية ٠ لقد نبه الحزب الى خطورة الصهيونية التي تهدف إلى الاسيتلاء على المنطقة العربية في سوريا والعراق ولبنان ؛ لأن فلسطين لن تستطيع استيعاب ملايين اليهود المهاجرين إليها من شتى بقاع العالم ٠

الحزب الشيوعي الأردني :

تأسس الحزب الشيوعي الأردني عام ١٩٥١ نتيجة انتقال عدد من أعضاء الحزب الشيوعي في فلسطين إلى الأردن إثر نكبة ١٩٤٨ على الرغم من إعلان الحكومة الأردنية عام ١٩٥٠ إعلان قانون مكافحة الشيوعية ٠وقد شارك الحزب في تشكيل جبهة وطنية إلى جانب حزب البعث وحركة القوميين العرب ٠

وفي انتخابات عام ١٩٥٦ ، حصل الحزب على مقعدين في المجلس النيابي ضمن الجبهة الوطنية (يعقوب زيادين ، وفائق وراد) (٢) ، وقد تعرض الحزب للوأد اكثر من مرة (عام ١٩٥٧ ، وعام ١٩٧٠) ٠ وفي عام ١٩٨٩ بدا الحزب ينشط ليشارك في الانتخابات البرلمانية ، وحصل على مقعد واحد (عيسى مدانات) ٠ وقد بدأ هذا الحزب بالانحسار نظرا" للظروف الدولية ، وانهيار الشيوعية العالمية ، وتخلي الاتحاد السوفيتي السابق عن هذا المعتقد ٠

---

١٠ رناد عياد ، التيارات السياسية ، ص ٦٦ ٠

٢٠ رناد عياد ، التيارات السياسية ، ص ٥٨ – ٥٩ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإخـوان المسلمـون :

أما جماعة الإخوان المسلمين ، فقد أسسها الشيخ حسن البنـا عـام ١٩٢٨ في مصر ، وكان مقرها مدينة الإسماعيلية ، وكـان الهـدف مـن تأسيسـها فـي ذلـك الوقت ردة فعل للأفكار العلمانية التي بدأت بالظهور في مصر (١) ٠

لقد دخل الإخوان المسلمون إلى الأردن بعد اضطهـادهم فـي مصـر عـام ١٩٤٣ ، وتأسست أول خلية في الأردن ، ولكنها بقيت دون تأثير حتى عام ١٩٥٣٠ خاضت الجماعة الانتخابات النيابية عام ١٩٥٦ وحصلوا على عدد من المقاعد ، وفي عام ١٩٨٩ شاركت الجماعـة فـي الانتخابـات ، وحققوا نصـرا" كبـيرا" علـى امتداد الساحة الأردنية ، إذ حصلوا على ربع مقاعد المجلس البالغة (٨٠) مقعدا" ٠

ومن الأحزاب الدينية التي تأسست على الساحة الأردنية حـزب التحريـر الذي وجد معارضة كبـيرة مـن قبـل الحكومـات الأردنيـة المتعاقبـة نظـرا" لأهدافـه الرامية إلى تغيير نظـام الحكـم فـي الأردن ، واللجـوء إلـى الوسـائل غـير السـلمية لتحقيق مبادئه وأهدافه ٠

لقد لعبت الأحزاب السياسية العقائدية دورا" مهمـا" فـي الحالـة السياسـية العربية بعامة ، والأردنية بخاصة ، إذ تمثلت هذه الأهداف بالأطر التالية (٢) :

١٠ مقاومة الصهيونية والاستعمار والرجعية بشتى صورها ، والمحافظة على الاستقلال الوطني ٠
٢٠ العمل من أجل الوحدة العربية ، وتحرير فلسطين ٠
٣٠ تحقيق العدالة الاجتماعية والحرية ٠
٤٠ التنمية الاقتصادية ، وعدم التبعية ٠
٥٠ المشاركة السياسية ، والوصول إلى الحكم ٠

---

١٠ عبدالله نقرش ، التجربة الحزبية ، ص ٧٣ ٠
٢٠ عبدالله نقرش ، التجربة الحزبية ، ص ٨٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإثر صدور قرار حل الأحزاب السياسية في ٢٥ نيسان سنة ١٩٥٧ ، الذي اعتبر الأحزاب السياسية خارج النظام السياسي الأردني ، أصبح العمل السياسي الحزبي محظورا" ، وظل يُمارس في الخفاء حتى عودة الحياة النيابية في الأردن عام ١٩٨٨ ٠ إذ بدأ الحديث عن التعددية السياسية ، والانفتاح على الأفكار والطروحات السياسية ، والحرية والديمقراطية ٠ فأعيد العمل الحزبي في مطلع التسعينات ضمن أصول وقواعد جديدة نص عليها الدستور والميثاق الوطني لتتناسب ومرحلة الانفراج الديمقراطي الذي يشهده الأردن ٠

وقد أكد جلالة الملك الحسين أهمية المشاركة الشعبية في إطار المؤسسات الديمقراطية ، إذ يرى جلالته أن تبني النهج الديمقراطي حماية للأمة من السقوط والانزلاق إلى مهاوي النزاع والاقتتال (١) ، وأن الخيار الديمقراطي والتعددية السياسية قرار لا رجعة عنه ٠

ويشير جلالة الملك الحسين إلى خطورة استخدام دور الأمم المتحدة لتنفيذ الشرعية الدولية لقهر الشعوب وإذلالهم ن وانتزاع حقوقهم تلك التي كفلتها شرائع الله وكل المبادىء والقيم والمواثيق التي تستند اليها الأمم المتحدة ، فقد لجأت الأمم المتحدة إلى تنفيذ هذه القرارات على الأمة العربية في غضون خمسة شهور ، في حين لم تنفذ أي قرار بشأن القضية الفلسطينية (٢) ٠

نلاحظ أن الخارطة السياسية الأردنية ومنذ بدايتها الأولى في العشرينات وحتى صدور قانون الأحزاب الأردني سنة ١٩٩٢ قد تأثرت مّدا" وجْزرا" بعدة عوامل أساسية ، مثل : الوضع الاقتصادي الذي يسود المجتمع الأردني ، واستمرار الديمقراطية والحرية والتعددية السياسية التي حرصت قيادة هذا البلد على رعايتها ، والانتقال إلى بناء دولة المؤسسات ، وسيادة القانون كما أن نتائج مؤتمر السلام وإرهاصاته ، والنظام الدولي الجديد من العوامل المؤثرة سلبا" أو إيجابا" على تشكيل الخارطة السياسية الأردنية ٠

---

١٠ الكتاب الأبيض ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، ١٩٩١ ، ص ٢٦ ٠

٢٠ من خطاب جلالة الملك للأمة يوم ١٩٩١/٢/١ ، الكتاب الأبيض ، وثيقة رقم ١٢ ، ص ٣ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتشكل التكتلات والتحالفات الدولية ، وانهيار الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية إلى تغير واضح على طروحات عدد من الأحزاب وأيدولوجياتها ، وقدرة الإنسان الأردني على التكيف في ضوء الظروف المتسارعة .

ولقد شرع نظام الأحزاب حرية النشاط السياسي ، وجاء تعريف الحزب ليتألف من جماعة من الأردنيين وفقا" لأحكام الدستور وأحكام القانون بقصد المشاركة في الحياة السياسية ، وتحقيق أهداف محددة تتعلق بالشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والعمل بوسائل مشروعة وسلمية (١) .

وفي ضوء صدور قانون الأحزاب تشكل في الأردن في بداية التسعينات أكثر من عشرين حزبا" منها ما كان قديما" فأعيد تشكيله ، ومنها ما تأسس بطروحات جديدة (٢) .

نلاحظ أن معظم المشاريع الحزبية المطروحة تكاد تكون متشابهة أو متقاربة ، لا سيما أحزاب الوسط أو التيار التقليدي ؛ لأن هذه الأحزاب تنبع في كثير من الأحيان من داخل مؤسسي هذه الأحزاب ، بينما نجد الأحزاب الأخرى كاليسار المتشدد أو اليمين أو الإخوان المسلمين أو القوميين قد نمت وترعرعت خارج الأردن ، أي أن جذورها نمت خارج الوطن ، وبالتالي فإن لها ارتباطات لا تستطيع الانفكاك عنها .

وأيا كان الأمر ، فإن الحكم على التجربة الحزبية الجديدة في الأردن ما زال مبكرا" ، ولكن الشيء المهم هو عودة الحياة السياسية إلى البلاد ، وهذا يعني قبول مبدأ مشاركة الشعب في إدارة دفة الحكم ، ومراقبة أعمال السلطة التنفيذية على أدائها من خلال وجود السلطة التشريعية المتمثلة بالبرلمان ، وعدم الانفراد باتخاذ القرارات نيابة عن الشعب .

---

١. المادة (٣) ، قانون الأحزاب ، وزارة الداخلية ، عمان ، ١٩٩٢ .

٢. لمزيد من التفاصل : انظر عبدالله نقرش ، التجربة الحزبية في الأردن ، ورناد عياد ، التيارات السياسية في الأردن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العوامل السياسية المؤثرة في الرواية في الأردن :

سنتناول في هذا الفصل العوامل السياسية المؤثرة في مسيرة الرواية الأردنية ابتداء" من نكبة حزيران سنة ١٩٦٧ وحتى سنة ١٩٩٢ ، الأمر الذي يبين مدى تأثر المثقف والكاتب الأردني بهذه العوامل وانعكاساتها على العمل الإبداعي بشكل خاص ٠ ومن أبرز هذه العوامل وأهمها :

هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، الصراع العربي الإسرائيلي (الغربة والمشروع القومي الوحدوي) ، حرب تشرين ١٩٧٣ ، اجتياح بيروت ١٩٨٢ ، والحرية والديمقراطية ٠

وأود أن أشير إلى اننا سنختار نماذج من الأعمال الروائية ؛ لتكون دليلا على تأثر الروائي الأردني بالهم السياسي بشكل عام ٠

هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧ :

إن الظروف والأحداث الكبرى تهز الإنسان ، وتغير كثيرا" من القيم والمفاهيم السائدة ٠ ولما كانت الرواية جزءا" من الإبداع الإنساني ، فقد تأثرت بتلك الأحداث ، فأفرزت مضامين جديدة ، الأمر الذي تطلب وجود أشكال فنية جديدة ، تكون إطارا" ملائما" لهذه المضامين ٠ ولذلك ، فثمة علاقة قوية بين الأعمال الأدبية والتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وإن لم تكن على درجة واحدة ؛ فالرواية فنّ متطور يلعب دورا" مهما" في نقد المجتمعات وصناعة فن الواقع ٠

والسؤال المطروح ، كيف انعكست هزيمة حزيران على الرواية ؟ وماذا فرضت طبيعة الموضوع من ردود فعل ؟ وهل غيّرت في الشكل الروائي ، أعني هل غيّرت من الشكل التقليدي والعناصر الرئيسية للمعمار الفني ؟

هزت هزيمة حزيران الوجدان العربي بعامة والأدباء بخاصة ، فقد كشفت الهزيمة عن الخلل القائل في البنى الاجتماعية والسياسية والعسكرية ، مما فجّر كثيرا" من المشكلات ما زالت الشعوب العربية تكتوي بنارها حتى الآن ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد أثرت الهزيمة في أعمال الروائيين العرب ، ولم يستطع أي منهم أن يتجاوز هذه الكارثة على امتداد الساحة العربية ، إلا أن روائيي مصر وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن تأثروا بها كثيرا" في أعمالهم ، وأشاعت أجواء" متباينة وفقا للرؤية السياسية العميقة التي يتمتع بها كل روائي مثل : نجيب محفوظ (حب تحت المطر) ، وعبدالرحمن منيف (الأشجار واغتيال مرزوق) ، وحيدر حيدر (الزمن الموحش) ، وحنا مينة (الشمس في يوم غائم) ، وغسان كنفاني (أم سعد) ، وإميل حبيبي (سداسية الأيام الستة) ، وأمين شنار (الكابوس) ٠٠٠ ٠ فقد كانت الصورة بكائية قبل الهزيمة ، وذات مناخ مأساوي ٠ وبعد الهزيمة ومجيء المقاومة انطلقت إلى التفاؤل والكفاح والتمسك بالأرض (١) ٠ فتغيرت المفاهيم والقيم ، وبرزت مفاهيم جديدة ، وتراجعت أفكار ، وسقطت أنظمة ، وتعرى المجتمع العربي أمام واقعه المر ٠ والأدب شأنه شأن الإنسان ، فقد حدثت تغيرات كبيرة في مضامينه وأشكاله ورؤاه جراء ما أحدثته الهزيمة من تغيرات كبيرة في البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية ٠

وعلى صعيد الرواية ، فقد زاد الإنتاج الروائي بسبب هذه الهزيمة زيادة لافتة للنظر على الصعيد العربي بعامة او على صعيد الأردن وفلسطين بخاصة لارتباطهما مباشرة بالكارثة ، إذ ارتفع الإنتاج الروائي العربي من اثنتين وتسعين رواية للأعوام ١٩٦١ – ١٩٦٦ إلى (١٦٧) مائة وسبع وستين رواية للأعوام ١٩٦٨ – ١٩٧٣ ، أي مدة ست سنوات ٠ بينما بلغ عدد الروايات في الأردن وفلسطين من سنة ١٩٤٨ –١٩٦٦ تسع روايات أي في ثمانية عشر عاما"، في حين ارتفع العدد خلال ست سنوات ١٩٦٨ –١٩٧٣ ليصل إلى ثلاث وعشرين رواية ٠ وبشكل عام ، فإن هذا يعد تطورا" على صعيد الرواية العربية؛ إذ إن ما معدله خمس عشرة رواية كل سنة قبل الهزيمة ليصل إلى (٢٧) سبع وعشرين رواية كل سنة بعد الهزيمة (٢) ٠

---

١٠ شكري عزيز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية ،الطبعة الأولى، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٣٢ ٠

٢٠ المرجع السابق ، ص ٧ –١٠ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد تناولت الرواية الأردنية منذ نشأتها أبعاد الفكر الوطني الذي يدعو إلى حب الأرض والتمسك بها في ضوء الهجمة الاستعمارية التي شهدتها المنطقة منذ بواكير هذا القرن وبخاصة الهجمة الاستيطانية الصهيونية،وعرضت فكرة الدفاع عن الوطن ، ومناوأة الاستعمار الجديد ، ورسم صورة الويلات الناجمة عن الحروب العربية مع الدولة العبرية ، كما ركزت على فكرة الانتماء الوطني والقومي عقيدة وسلوكا" ، فقد انخرط الشباب في التنظيمات السياسية التي رأوا فيها طريقا" للخلاص سواء أكانت يسارية أم قومية أم وطنية أم دينية ٠

ولعل الدارس لمضامين الإبداع الروائي خلال العقود الخمسة الماضية للروائيين الأردنيين يلحظ ذلك بصورة جلية ؛ إذ إن الكاتب الأردني يعكس رؤاه وطروحاته عبر ابداعاته التي ينتمي إليها سعيا" إلى تشريح الواقع المأساوي الذي حل بالإنسان العربي ، والويلات التي يلاقيها سواء من الداخل أو من قوى الظلم والاستعمار ٠

لقد أوقفت الصدمة الحزيرانية وعي الأديب ؛ فدخل في مرحلة الضياع والضبابية ، وتجريح الذات ، ولكنه ارتقى بأدواته الفنية ومعالجته القصصية كما هو الحال عند تيسير مسبول وسالم النحاس اللذين يشكلان بداية مرحلة ناضجة وخصبة للقصة الأردنية (١) ٠

يصوّر عيسى الناعوري في (جراح جديدة ، ١٩٦٧) الخسارة والكارثة التي ألمت بالإنسان العربي ، وغياب التخطيط ، وسوء الإدارة العسكرية، وفتك الطائرات الإسرائيلية بالجندي العربي ، وكيف تحترق الأرض ويذوب الحديد جراء قنابل النابالم ، فتنتشر رائحة الشواء الآدمي ، وتندلع الحرائق في كل مكان ، ويهيم الإنسان على وجهه دون هدف ٠

---

١٠ محمد عطيات ، القصة الطويلة في الأدب الأردني من بدء الإمارة ١٩٢١ – ١٩٧٧ ، عمان ، ١٩٨٥ ، ص ٧١ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد رأى " عربي " في " أنت منذ اليوم " الفاجعة الحزيرانية ، فوقف على نهر الأردن ، وشاهد الحطام والدمار واللاجئين يجتازون النهر ، فكثرت مخيمات اللاجئين ، وازدحم الأطفال في الأزقة ويكثر صياحهم حيث مراكز توزيع المؤن ... إنها صورة الكارثة .

إن رواية " أنت منذ اليوم " تعبير عن هزيمة حزيران ؛ إذ تجيء الرواية صورة سديمية لما خلفته الحرب ، وذلك الانهيار والتصدع والتفسخ ، والشعور بهول الهزيمة . وذلك فنحن لا نراه يستشرف آفاق المستقبل ، بل يرى الماضي وحسب .

لقد جازف سبول بتفكيك الشكل الروائي التقليدي لروايته ، وهو بذلك يتابع ما ظهر في الرواية العربية من تمرد على الشكل الكلاسيكي ، كما فعل صنع الله إبراهيم في " تلك الرائحة " ، أو ما فعله حليم بركات في " ستة أيّام " ، وهو بذلك سيترك أثرا" واضحا" في سبيل وضع رؤية جديدة للرواية العربية (١) .

يدين سبول واقع الأمة العربية الذي يسبب لها كل هذه الكوابيس والويلات والانكسارات حتى داهمتها - الأمّة - هزيمة حزيران . ولم يستطع الشعب ايجاد تفسير لما يحدث ، وذلك متمثل في حلم الشقلية الذي يعيشه " عربي" في منامه ، وهو يدل على أن الواقع العربي مقلوب رأسا" على عقب (٢) ، أي انه يتحدث عن رؤية المثقف العربي لهذه الهزيمة ، كما يتحدث عن القمع الذي خلق مواطنين يشعرون بالاغتراب في مجتمعاتهم وعن أمتهم (٣) ؛ لأن القمع سيؤدي

---

١. فخري صالح ، التأسيس للرواية الحديثة في الأردن ، أوراق ملتقى عمان الثقافي الأول عمان ، ١٩٩٤ . ص ٥٦ .

٢. فايز محمود ، تيسير سبول العربي الغريب ، الطبعة الأولى ، عمان ، ١٩٨٤ ، ص ٦٠ .

٣. سحر روحي الفيصل ، الشخصية والراوي في أنت منذ اليوم ، مجلة راية مؤتة ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ١٩٩٣ ، ص ١٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالضرورة إلى الهزيمة ، والهزيمة ستكون من الداخل ، وليست من إسرائيل ؛ لأن الأزمة أزمة ديمقراطية (١) ٠ وعلاقة " عربي "بأهله علاقة واهية لا يوجد فيها من روابط سوى القمع الذي يمارسه عليه أبوه وكذلك مع والدتِه بل ومع القطة كذلك ٠ إن هذه العلاقة انعكاس لعلاقات المجتمع ، فعندما يقذف ببطله داخل المجتمع والجامعة والحزب ، فإنه يجد القمع موجودا" كذلك داخل هذه المؤسسات ٠

ويستمر مسلسل القمع حتى يلحق المؤسسة العسكرية (الجيش) ، فيرى أن الجيش موجود لحماية الحاكم ، ورعاية مصالحة ، وقمع الجماهير ٠ ولما ينهار " عربي " ينهار عالمه الداخلي ، وتظهر الأحلام ، وتكثر الكوابيس التي تؤرقه ٠ كما يوظف الرمز كثيرا" في العمل الروائي ؛ فالرواية تعبير عن غربة المثقف العربي والمعاناة التي أصابته جراء الهزيمة ٠ وبالتالي ، فهو إنسان رافض يشعر بالقرف والغربة عن مجتمعه الرديء (٢) ٠

لقد سلّط " عربي " الضوء على الخريطة العربية الممزقة ، فالوطن يعاني أمراضا" داخلية كالفقر ، والظلم ، والانقسام ، وفساد المؤسسات ٠

وفي " الكابوس " يؤرخ أمين شنار للقضية الفلسطينية منذ مؤتمر بال في سويسرا وحتى ما بعد هزيمة حزيران مستخدما" الرمز ، اذ يفسر أسباب الهزيمة بالابتعاد عن الدين وتعاليمه ، وأنها قضاء وقدر ، وبالتالي فإن الهزيمة قد تكون عقابا" من الله لعباده اللاهين والمنافقين ، ولكن عندما تسلك الرواية هذا المسلك ، فإنها تتجاهل الأساس الاجتماعي لمجتمع الهزيمة ، ولهذا ، لا يعد هذا الحل دقيقا" ٠

---

١٠ توفيق أبو عواد ، القلق والموت في أنت منذ اليوم ، مجلة راية مؤتة ، المجلّد الثاني ، العدد الثاني ، ١٩٩٣ ، ص ١٩٨ ٠

٢٠ شكري عزيز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران ، ص ٥٦ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد عزا سبول الهزيمة إلى القمع الذي تمارسه المؤسسات والأنظمة ضد المثقف العربي ، وسعى حيدر حيدر إلى إحياء التراث لتجاوز الهزيمة ودعا ذو النون أيوب إلى الاقتداء الكامل بالغرب الأمريكي كما في رواية " وعلى الدنيا السلام " ؛ إذ يعد هزيمة حزيران هزيمة حضارية (١) .

تتميز الرواية العربية بالجرأة الواضحة في تناولها لموضوعات خطرة وحساسة بعد هزيمة حزيران ، وبخاصة تلك التي تمس الأنظمة العربية وسياساتها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

فقد قدمت " الكابوس " طرحا" أيدولوجيا" ممثلا" بالتصدي للهجمة الاستعمارية وإزاحة الكابوس عن صدر الأمة العربية ، إذ يلجأ الكاتب إلى استخدام الرمز ليس بهدف الغموض ، وإنما ليسلط الضوء ، ولتوضيح الصورة بشكل أدق ، وبالتالي فإن رسالة الرواية أيدولوجية قبل أن تكون أدبية (٢) .

لقد قبع كثير من الروائيين العرب في أبراجهم العاجية ،وقد قدموا تفسيرا" سطحيا" لأسباب الهزيمة على عكس الروائيين الفلسطينيين الذين اندمجوا في الجماهير ، أحسوا بالامها ومعاناتها مثل غسان كنفاني في " أم سعد " الذي يطرح ممارسة العمل الثوري والكفاح المسلح اللذيْن يُحدِثان تغييرا" في علاقات الناس في المخيم ، ويبدل نفسياتهم . ولذلك فإن بعض الروائيين لم يجدوا في الشكل التقليدي متسعا" للتعبير عن آرائهم . ولذلك لجأوا إلى ايجاد شكل بديل يقترب كثيرا" من الرواية الملحمة ، وهذا ما نلحظه في أسلوب إميل حبيبي في " السداسية " (٣) ، ولذلك كان لا بد من استحداث أساليب جديدة تواكب المتغيرات المستجدة نتيجة التطورات التي تحدث في المجتمع .

---

١. شكري عزيز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران ، ص ٣٢ - ٣٤ .
٢. فخري صالح ، التأسيس للرواية ، ص ٤٠ .
٣. شكري عزيز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران ، ص ١٧٩ -١٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما استخدموا الأسطورة في العمل الإبداعي بهدف ربط الحاضر بالماضي في محاولة للتعبير عن أن الإنسان كان وما يزال يعاني من الخيبة والهزائم المتعاقبة ، ويتخذها بعضهم وسيلة لتجنب اتخاذ موقف إزاء المشكلات الاجتماعية ، أي اتخاذ موقف اللاموقف ، أو موقف اللامنتمي ، والانسحاب من مواجهة القضايا الاجتماعية ، أو اللجوء إلى المواقف الإنسانية في الأطوار الأولى، والتي لا يستطيع تحقيقها على أرض الواقع ، فيعيش في غربة إثر غربة. وهناك من يوظّف الأسطورة للهرب من بطش السلطة نظرا" لعدم قدرته على تحقيق تغيرات اجتماعية وفكرية أساسية ومهمة (١) .

إن سالم النحاس في " أوراق عاقر" يبدو أكثر انشغالا" بالجانب السياسي للهزيمة الحضارية التي ألمت بالأمة العربية مع أن تيسير سبول وأمين شنار انشغلا كذلك بالهم السياسي ، ولكن يبدو النحاس أكثر تورطا" منهما في توجهه السياسي (٢) . وقد جاءت هذه الروايات وجميعها صدرت عام ١٩٦٨ نتيجة للهزيمة الحزيرانية ، إذ عبرت عن ولادة الإنسان بعد هذه الهزيمة ، فعبروا عنها بالكابوس الذي حل بالوطن ، وإيمان " النحاس" بأن هذه الأمة ليست عاقرا" (٣) .

ومن اللافت للنظر أن روائيي هذه المرحلة كانوا سياسيين ثم انتقلوا للكتابة الإبداعية الروائية بعد أن ضاقت خطاباتهم السياسية بأفكارهم ، وكانت ثقافتهم السياسية العميقة وخلفياتهم الايدولوجية ، ووعيهم العميق لحركة التاريخ من العناصر التي ساعدتهم في تحقيق نجاحات ذات أثر على الساحة الأدبية ، وبخاصة تيسير سبول ، وسالم النحاس ، وغالب هلسا ، وأمين شنار (٤) .

---

١. شكري عزيز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران ، ص ١٨١ .

٢. غسان عبدالخالق ، مدخل إلى الرواية الحديثة ، أوراق ملتقى عمان الثقافي الأول ، وزارة الثقافة ، ط ١ ، عمان ، ١٩٩٤ ، ص ٦٤ .

٣. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٦٣ - ٦٥ .

٤. شاكر النابلسي ، كيف عبرت الرواية الأردنية عن الواقع ، أوراق ملتقى عمان الثقافي الأول ، منشورات وزارة الثقافة ، ط١ ، عمان ، ١٩٩٤ ، ص ١٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الطرح السياسي في الخطاب الروائي يعدّ إضافة وبعداً جديدين في الرؤية السياسية للروائي يعالج من خلالها مشكلات الواقع العربي المتداعي • فقد كتبت روايات تعبر عن أسباب الهزيمة مصورة العطب الذي أصاب البنى العربية وعلى المستويات جميعها • وقد كانت هذه الاستجابة سطحية وانفعالية لدى كثير من الروائيين كما هو حال العقل الجماهيري ، وكان لزاماً على الرواية العربية أن تصقل هذه العفوية وأن تقدّم رؤية عميقة وجذرية ، إذ كان معظم الروائيين يردون الهزيمة إلى أسباب سطحية خارجية ، كما كانت تقول وسائل الإعلام ، ولم يدخلوا إلى صلب الأسباب الكامنة في كيان المجتمع العربي •

لقد انعكست هزيمة حزيران على شكل الرواية العربية ، إذ أحدثت خلخلة في الشكل الروائي تأرجح ما بين الشكل التقليدي للرواية وفن القصة ، في محاولة لإيجاد شكل روائي جديد ، إثر الخلخلة في البناء الاقتصادي والاجتماعي من جهة ، وفي الفكر العربي من جهة أخرى (١) ، الذي أدى إلى انهيار الشكل الروائي الواضح المعالم ، وظهور أزمة الموضوع • وفي هذا السياق ، أشار شكري عزيز ماضي (٢) ، إلى أن نجيب محفوظ بدأ في هذه المرحلة بالكتابة كيفما اتفق ، فأصدر مجموعات قصصية دون أن تحمل شكلاً روائياً مألوفاً • وهذا ما حدث في " سداسية " إميل حبيبي ، " أم سعد " لغسان كنفاني ، إذ لم يكن هناك بطل واحد أو حدوثة واحدة ، وهذا ما لم تألفه الرواية التي نضجت في هذه المرحلة ، وحققت شكلاً متقدماً •

لقد قدمت معظم روايات هذه المرحلة رؤية سكونية قاصرة عن فهم حركة التاريخ ، إذ اتسمت بأحادية الرؤية التي تعبر عن الروائي فقط وليس عن المجتمع ، وأن أبطال هذه الروايات يحسون بالضياع وفقدان الهوية في مجتمعهم ، ولذلك يبرز الموت نهاية محققة لهم ؛ لأنهم يعيشون خارج التاريخ ، ولا يستطيعون الارتباط بعلاقات رسمية واجتماعية وتنظيمية ، الأمر الذي لم يعد للماضي بكل ما يحوي من منجزات عبر التاريخ أي إغراء لهم أو قناعة •

١• شكري عزيز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران ، ص ١٧٨ •

٢• شكري عزيز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران ، ص ١٥٨ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما تشير هذه الروايات إلى القلق والاضطراب والحرمان الاقتصادي والتوتر السياسي ، ولذلك تزخر هذه الروايات بالمادة السياسية بما فيها من أحداث عصفت بالوطن العربي ، كما تمثل التجربة الجنسية حيزا" بارزا" فيها ، اذ يعد الجنس ملاذا" أخيرا" للدلالة على خيبة الأبطال ، وهذا ما نلحظه في روايات تيسير سبول وسالم النحاس وغالب هلسا ٠

وتوظّف روايات المرحلة تقنيات حديثة مثل التداعي والمنولوج الداخلي والأسطورة هي تقنيات تجريدية وظفها الروائيون باقتدار نظرا" لجرأتهم على تناول هذه التقنيات ، لأنها تمثل نزوعا" نحو تجديد الرواية العربية المعاصرة على الرغم من قصور هذه النظرة أحيانا" ؛ لأنهم أسيرو نظرة عاجزة عن تجاوز الواقع(١) ٠

ولهذا ، فقد شهدت الرواية الأردنية تيارا" جديدا" بدأ بالظهور عقب هزيمة حزيران ، وبروز منهج حداثي ثار على الشكل التقليدي كما في : " أنت منذ اليوم " ، " والكابوس " ، و" أوراق عاقر " ، " والضحك " ٠

فقد أحدثت الهزيمة خلخلة في التوازن النفسي للمبدعين ، وأثرت على نتاجهم الروائي ، مما يؤكد الصلة الوثيقة بين الانهيارات والكوارث وبين الأعمال الإبداعية لا سيما عند ورودها بذاتٍ مأزومة تلازم الفنان أو الروائي (٢) ٠

---

١٠ شكري عزيز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران ، ص ١٢١ ٠

٢٠ نزية أبو نضال ، رواية الثمانينات بين الواقعية والحداثة ، أوراق ملتقى عمان الثقافي الأول ، عمان ١٩٩٤ ، ص ٧٦ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٢ الصراع العربي الإسرائيلي

استمرت معايشة الأدب للمشكلات الوطنية والقومية ، وكانت المعاناة لجماهير شعبنا محورا" لاهتمام كتّابنا ، إذ يظهرون عبر إبداعهم الصّراع مع العدوان الصهيوني ، وانعكاسات هذا الصراع على مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ٠ وقد تحمّل الأردن كل ذلك وآثاره وظلت فلسطين المحتلة وإرجاع أهلها اليها الهاجس الأول ، ولعل إحصائية سريعة تعطي مؤشرا" واضح الدلالة ، وهي أن تسعة من كل عشرة أعمال أدبية تصدر أو تنشر في الأردن تعالج الموضوع الوطني وقضية الاحتلال وتحرير الأرض (١)٠

فقد عالج القصاص هذا الخطر ، ولكنهم لم يعالجوه بصورة علمية ، وحوار موضوعي ، بل لجأوا إلى إثارة العواطف ، واختلاق البطولات المسلية ، وإلهاء المهزومين ، وإنعاش معنوياتهم ٠ فقد صوّر كامل ملكاوي العدو في المعركة وقد خسر المئات ، وانقلب جنوده على أعقابهم مدحورين ، وزعم أن الجنود العرب ضربوا صورا" مجلية في الفداء والبطولة (٢) ٠

وفي هذا السياق ، بطرح تيسير سبول الإفلاس الذي وصلت إليه المؤسسة العسكرية العربية وتياراتها السياسية ، عندما أعطت أوامرها للجيوش بوقف اطلاق النار بحجة نفاد الذخيرة ، وأن من كانت نفسه تسوّل له بإطلاق النار فسيواجه بأقسى العقوبات (٣) ٠

وقد وقف أمين شنار طويلا" في " الكابوس " على أفعال هذا الغريب " اليهودي " الذي اتخذ من دار كبير البلد مقرا" له ، يخطط وينفذ ، فيطرد الأهل من ديارهم ، ويشتري السماسرة الخائنون الأراضي للعدو المحتل ، ويشترون ذمم ضعاف النفوس من أبناء البلد ليكونوا عيونا" لهم على الشرفاء والمناضلين الذين يعون خطورة هذا القادم الجديد ٠

---

٠١ محمد عطيات ، القصة الطويلة ، ص ٣٩ ٠

٠٢ كامل ملكاوي ، من زوايا العدم ، ص ١١١ ٠

٠٣ أنظر : تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، في حديثه عن عودة أخيه من الحرب ، وعيسى الفاعوري في بيت وراء الحدود ، ص٨١ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحمّل سالم النحاس في " أوراق عاقر " الأنظمة العربية مسؤولية الهزائم التي تلحق بالشعوب العربية ، لا سيما إدانته المطلقة لأنظمة الحكم العسكرية التي تقف في وجه الحرية والديمقراطية ، وقد رأى في الثورة الشعبية والقوى الكامنة في الشعب بديلا" لكل نظم الحكم العسكرية المعادية للحرية • وهذا ما فعله مؤنس الرزاز في " اعترافات كاتم صوت " ، وإبراهيم نصرالله في بطله الجنرال في روايته " عو " • فقد حملّت هذه الأعمال الروائية النظم العسكرية كل التشوهات التي تنتهك كرامة الإنسان العربي ، وبخاصة ما تمارسه الأجهزة الأمنية والمخابراتية (١) •

ويصوّر مفيد نحلة في " الرحيل " ، وعيسى الفاعوري في " بيت وراء الحدود " صورة الفاجعة التي عانى منها الشعب الفلسطيني جراء الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية ، وصور البؤس والظلم والمهانة التي لقيها اللاجئون بطردهم من بلادهم • كما بينا صور الدمار الوحشي الذي ألحقه العدو الإسرائيلي بالأرض العربية ، ونهب الممتلكات ، والاستيلاء على الأرض ، وطرد السكان واقتلاعهم من جذورهم •

كما صوّر سليمان قوابعة جنود العدو وهم يسكرون ويضحكون في الحروب ، ويخلطون الويسكي بالماء في أثناء المعركة ، وصور شجاعة العرب المفرطة في المعارك •ولم يدر الكاتب بانه خالف في ذلك حقائق التاريخ بهذه العواطف التي لا تزيد إلا وبالا" على وبال ، ولا تجر إلا كارثة إلى سجل كوارثنا•

ويبقى الصراع العربي الإسرائيلي هاجسا" عربيا" ووطنيا" على الصعد كافة السياسية والعسكرية والاقتصادية والفكرية ، لأن القضية الفلسطينية هي جوهر الصراع العربي الإسرائيلي ، ولا تنفك الأمة العربية عن الوقوف في وجه هذا الخطر الداهم الذي يهدد وجودنا ومستقبلنا • فكان من إرهاصات هذا الصراع

١• سليمان الأزرعي ، الحرية والديمقراطية في الرواية الأردنية ، مجلة راية مؤتة ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ١٩٩٣ ، ص ٢١٤ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي بدأ مبكرا" – منذ مطلع هذا القرن – تشريد آلاف الفلسطينيين عن وطنهم ، وإجبارهم على العيش في بلاد الغربة وتجرع آلام الاغتراب ، الأمر الذي جعل مثقفي هذه الأمة ومناضليها يسعون لايجاد صيغة وحدودية ومشروعا" نهضويا" يوحّد توجهات الأمة في كفاحها المرير ضد الهجمة الصهيونية والاستعمار الغربي.وقد انعكست مظاهر الغربة والاغتراب وبناء دولة الوحدة في الأعمال الإبداعية الأردنية والعربية على حد سواء ، إذ إن العديد من الأعمال الروائية عبرت عن حالة الاغتراب وويلات الغربة والبعد عن الوطن ، ورسمت حالة الأمة العربية وتجاربها الوحدوية والنهضوية ، وما تخللها من مآسٍ وانكسارات وتصدعات .

الغربـــــــة :

لقد نجم عن الحروب العربية الإسرائيلية تشريد الآف الفلسطينيين من بلادهم ، وتوجههم إلى الأردن والبلاد العربية الأخرى للعيش فيها ، والبحث عن فرص العمل لتأمين لقمة العيش ، ونظرا" لقلة الموارد في الدول المضيفة مثل الأردن وسوريا ولبنان ، فقد توجّه كثير من هؤلاء اللاجئين للعمل في دول عربية نفطية ، أو دول أخرى أجنبية .

وفي بلاد الاغتراب سجل الروائيون مواقفهم وانطباعاتهم مما يلاقيه هذا الإنسان في بلاد الغربة ، وبخاصة في الوطن العربي حيث الملاذ والملجأ ، فاذا بظلم ذوي القربي والأشقاء قبل الأعداء وتعسّف الأصدقاء ، اذ يفترض أن لا يحس هذا المغترب بأي شعور من الظلم والاضطهاد ، لا سيما وان وجوده في هذا المكان وجود مؤقت ، فهو يعمل وعيناه متجهتان نحو الوطن ، فكان لا بد من تعزيز هذه الروح ، وإذكاء شعلة الأمل ، وزيادة الثورة في أنفسهم والعمل على تأججها . ومما لا شك فيه أن عددا" من المثقفين والمبدعين قد أدركوا هذه الحقيقة، فصوّروا هذه الحالة عبر ابداعاتهم ،وكان الهدف الأساسي مقارعة العدو أولا"، وعودة أبطال أعمالهم إلى الوطن أو بالقرب من حدود الوطن بانتظار العودة .

لقد حاول عطية عبدالله عطية أن يرصد في روايته " الدم والتراب " ١٩٧١ ، حركة الهجرة الفلسطينية ، والنضال العربي منذ عام ١٩٣٦ ، وحتى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عام ١٩٦٨ ٠ وقد قدمت الرواية ثلاثة أجيال قاتلوا في معارك ١٩٣٦ ، ١٩٤٨ ، ومعركة الكرامة عام ١٩٦٨ ٠ والكاتب يبين تنقل الفلسطينين عبر البلاد للحصول على الطعام من فلسطين المحتلة إلى الخليج العربي ، وقد جاء العمل تسجيليا" تاريخيا" لأحداث حقيقية وواقعية (١) ٠

وإذا كان حلم بطل " العودة من الشمال " أن " بلاد العرب أوطاني " ، فإن الأمر ليس كذلك عن بطل جمال ناجي في " الطريق إلى بلحارث " ، حيث يسافر كثير من العرب إلى الصحراء سعيا" وراء تأمين ثمن رغيف الخبز ، وتغيير ألواح الزنك في سقف البيت إلى إسمنت مسلح ٠ وفي هذه الصحراء يعاني الإنسان ما يعاني ؛ إنها الغربة داخل الوطن (٢) ٠

كما عبّر إبراهيم نصرالله عن تجربته الشخصية في هذا المجال (الغربة في الوطن) ، فقد جاءت رواية " براري الحمى " ١٩٨٥ تطرح أسئلة كثيرة عن الاغتراب العربي في بلد عربي نفطي " القنفذة في السعودية " ، وهي عالم تنكسر فيه الأشياء ، يبرز فيها الكابوس ، بتوتراته وما فيه من قسوة ووحشة ومجهول(٣)

يعد عمل نصرالله نقلة نوعية في مسار الرواية الأردنية ، فقد خرج نصرالله على تقاليد السرد الروائي ، فهو غير متقيد بالتتابع السردي أو رسم ملامح الشخوص إضافة إلى أنه كتب الحوار بلغة شعرية متميزة ، لاسيما وانها تحمل سمات الرواية المولودة في ظروف الانكسار والانحدار ، فخرج بذلك على البناء الكلاسيكي المعروف ٠

يرصد نصرالله معاناة الشعب الفلسطيني اللاهث وراء الخبز في صحارى الخليج ، حيث يلاقي المهانة والذل ، فيتكيف ، ويقبل الخبز المر ، ويقبل التخلي عن كبريائه ورجولته ، وعن أداء دوره الوطني في حمل السلاح ،

---

١٠ خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٧٠ ٠
٢٠ خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ١٠٥ ٠
٣٠ خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ١٢٣ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممارسة الحرية هناك ؛ لأنها من المحرمات ، فيعيش المثقف العربي حالة من الازدواجية " الشيزوفرنيا " للتكيف ضمن هذه الظروف ، فيكون عليه أن يدخل عالم الكوابيس والأحلام ، وهذايانات الحمى والجنون ، وهو المآل الطبيعي للمثقف العربي كما الحال في " متاهة الأعراب ..."(١) .

وهذا ما نلمحه في رواية جمال ناجي " الطريق إلى بلحارث " ١٩٨٣ ، التي تمثل معاناة الشعب الفلسطيني في البحث عن الخبز في صحارى النفط العربي التي لا تخلّف سوى العذاب والموت المجاني دون هدف وبلا نتيجة ، فيعود البطل جثة إلى عمان ؛ فقسوة الحياة ، وصعوبة الظروف ، والحمى ، والموت تطارد شخوص هذه الأعمال . وهذا ما أشار اليه غسان كنفاني من قبل عن جحيم الصحراء العربية في " رجال في الشمس " .

هذه هي بعض الأعمال الروائية التي انعكست فيها غربة الإنسان العربي في الوطن العربي ، وهي انعكاس لرؤى المثقف العربي الذي يعاني من تشظي هذه الأمة ، وانزلاقاتها الكبيرة ، وما تخلّفه من آثار جسيمة على نفسية المثقف ، فتصعقه ، وتهزمه ، وتدخله في عالم الكوابيس والهذيان وحالة اللاوعي.

---

١. نزيه أبو نضال ، مرجع سابق ، ص ٨٤ - ٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المشروع القومـــي الوحدوي:

لقد شهدت الخمسينات مدا" قوميا" وتحرريا" وتقدميا" هادرا" ، ثم ما لبثت هذه الأحلام – في الستينات – أن انتقلت من الحلم إلـى الواقـع ، وتسلمت السلطة مجموعة تسعى إلى النهوض بالمشروع القومي النهضـوي ، فـانتقلت مـن صفـوف المعارضة إلى رأس السلطة ، وسرعان ما حدث الانشقاق العظيم بين الرفاق ، فحدث ما حدث ٠

لقد كانت التجربة المعاشة والمعرفة النظرية من العوامل المهمة في رسم آلية القمع والاضطهاد والاستبداد ، وتأثيرها على حيـاة البشـر ، كمـا كـانت سببـا" رئيسا" في البناء الروائي المليء بالتشظي والكوابيس لدى الكاتب والمثقف(١) ٠

لقد طرحت مضامين روايات تيسير سبول " أنـت منـذ اليـوم " و "أوراق عاقر " لسالم النحاس ، وفؤاد قسوس في " العودة من الشمال " ، وأحياء في البحـر الميت " و " اعترافات كاتم صـوت " لمؤنـس الـرزاز طرحـا" سياسـيا" أيدولوجيـا"، وبخاصة في الفكر القومي الذي احتل بؤرة الحدث ٠ فقد قدم كل من سالم النحـاس وفـؤاد قسـوس طرحـا" ايجابيـا" مـن خـلال قناعتهمـا بصلاحيـة هـذا الفكـر بـل وبضرورتـه كذلـك ، ولعـل سـفر أحـد أبطـال " العـودة مـن الشـمال " وهـو يحفـظ الأناشيد الوطنية " بلاد العرب أوطاني ٠٠٠" ما يقوي تيار الوعي الوطني ، ولعـل تعليم شباب القرية هذا النشيد ما يشـيع فـي الوطـن روح التفـاؤل ، والحـس بـروح القومية العربية والإيمان بوحدتها (٢) ٠ بينما قدم تيسير سبول ومؤنس الرزاز إدانة لهذا الفكر أو السلوك السياسي المرتبط به بصورة مباشرة عن طريـق تحميل هـذا الفكر الكثير من نتائج الوضـع السياسـي العربي أو انها تدين العمل السياسي برمته باعتباره عملا" طفوليا" لدى كثير من الأنظمة العربية ، وهذا متمثل بنهايات

---

١٠ مؤنس الرزاز ، تجربتي الروائية ، المجلة الثقافية ، الجامعة الأردنية ، العدد ١٨ ، ١٩٨٩ ، ص ١٤٦ – ١٥١ ٠

٢٠ خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ١٠٤ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبطال هذه الروايات ومصيرهم المرتبط بالموت والانتحار أو الجنون (١) ٠

لقد خرج الرزاز من بين أنقاض مدينة الحلم التي رسمتها القيادات السياسية الحزبية عندما انهار المشروع القومي النهضوي ، وتحوّل إلى أداة قمعية إقليمية تفتك بالرموز التاريخية المؤسسة (بكسر السين) لهذه الأيدولوجيات ، إذ نلحظ ذلك جليا" في أبطال رواياته : عبد الستار ، محجوب فرج الله ، عناد الشاهد، الدكتور مراد (منيف الرزاز) ، كما ترى في بغداد ودمشق الوحدة ٠ وهذا دليل على أهمية المشروع القومي لإنجاز المشروع التاريخي دون ارتباطها مع الفكر الماركسي ، ويتمثل ذلك في " أحياء في البحر الميت " ٠ كما نلمح دور المثقف الحالم الذي ظن أن الأمور كلها بخير طالما انه حقق مكاسب وامتيازات ، وإذا به يُلقى في الإقامة الجبرية ، وتطارده كواتم الصوت " اعترافات كاتم صوت " ٠ وأن الواقع العربي برمته بحاجة إلى من ينقله الى العصر الحديث ، والتخلص من الازدواجية " متاهة الأعراب ٠٠" (٢) ٠ فقد أشار " عربيّ " ٠ سبول قبل ذلك إلى إفلاس المؤسسة الحزبية الداعية إلى بناء المشروع القومي النهضوي، فنرى " عربي " يعتزل العمل السياسي بل الحياة ، نظرا" للصدمة التي تلقاها من الرفاق ، وثورتهم على بعضهم بعضا" ٠

تتبدى لنا في " اعترافات كاتم صوت " صورة الحزب الذي وصل إلى السلطة ، وسرعان ما انقسم على نفسه داخليا" بين تيار مجدد وتيار محافظ ٠٠٠ ثم يبدأ فصل جديد من التصفية الجسدية والإقامة الجبرية داخل كوادر هذا الحزب الذي استطاع أن يصل إلى السلطة في غير قطر عربي واحد ٠

تنعكس في أعمال الرزاز مقولات الفكر القومي المتمثلة في حلم الأبطال، وانبعاث الحلم القومي من هذا الجزء المكاني " الأردن " ، إلا أنها تشمل

---

١٠ عبدالله رضوان ، أسئلة الرواية الأردنية ، منشورات وزارة الثقافة ، عمان، ١٩٩١ ، ص ١٨ – ١٩ ٠

٢٠ نزيه أبو نضال ، رواية الثمانينات ، ص ٨١ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في طياتها - الرواية - إدانة واضحة لأساليب القمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والجنسية في الوطن العربي في الماضي والحاضر على حد سواء ٠

وفي هذا السياق ، يتفق الدكتور خالد الكركي مع الدكتور حسين جمعة في أن رواية " أحياء في البحر الميت ، ١٩٨٢ تعد قفزة نوعية في الرواية الأردنية ، وذات دلالات على الصعيد القيمي والمعرفي والفلسفي (١) ، كما أن البعد السياسي الحزبي بشخوصه وعلاقاته نقطة مفصلية في هذا العمل ، ورؤية المبدع الواعية إزاء الهم القومي الوحدوي ٠

لقد لجأ المبدعون إلى أساليب شتى للتعبير عن حريتهم وجرأتهم من خلال الأحلام ، وتيار الوعي أو المنولوج الداخلي ، واتخذوا أقنعة شتى للتعبير عن أفكارهم ، واختراق الواقع الاجتماعي ، وإقامة علاقات جدلية ما بين الإنسان واللغة وتداخل الزمان والمكان ، وتركوا للفن حرية الخوض في الجنس ، والبحث في خفايا النفس والتغلغل في الواقع الاجتماعي المتعفن ٠

كل ذلك يعبر عن قلق المرحلة التي يعاني منها المبدعون في الثمانينات والتسعينات أمثال الرزاز والياس فركوح وابراهيم نصرالله ويوسف ضمرة (٢) ٠

لقد قدمت الرواية الأردنية في الثمانينات روائيين استطاعوا أن يقدموا منهجا" واعيا" ، ورؤية ثاقبة للهموم والمشكلات الاجتماعية والسياسية ليس على الصعيد المحلي فحسب ، بل استطاعوا استبطان الهم العربي كذلك ، فكانت رواياتهم روايات عربية قومية سياسية موجهة إلى نقد الأحزاب القومية التي فشلت في تحقيق المشروع النهضوي ، وشنوا هجوما" لاذعا" على الديكتاتوريات العربية ، وكذلك الحال في روايات جمال ناجي وابراهيم نصرالله اللذين يحملان الهم العربي في جزيرة العرب ٠ ونقرأ الياس فركوح في " قامات الزبد " ، ونقرأ

---

١٠ خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ١١٤ ٠

٢٠ عبدالرحمن ياغي ، في الرواية الأردنية ، ملتقى عمان الثقافي الأول ، عمان ، ١٩٩٤ ص ١٠٠ - ١٠٣ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غالـــب هلسا وتجربته المعاشة مع السلطة في الأردن ومصر والعراق ٠ انه تعبير عن الحالـة السياسـية التـي تعيشـها الأقطـار العربيـة ، ومـا يتمثـل فيهـا مـن سـلب للحريات ، ومصادرة القرار وتكميم الأفواه ٠ فهذا الملمح نجـده فـي جـل الخطـاب الروائي عبر فترة الثمانينات وبداية التسعينات (١) ٠

لقد ظل خط الحداثة على صلة وثيقة بالانهيارات والكـوارث المتلاحقـة ، مثل انهيار المشروع القومي النهضوي ، وتحولـه إلـى دويـلات إقليميـة متنـاحرة ، وانهيار مشروع الكفاح المسلح الفلسطيني وتحوله الى صورة من صـور الأنظمـة العربية الأخرى تمزقه التناقضـات ، وتعصـف بـه الخلافـات ، وظهـور آلـة القمـع ومصـادرة الحريـات ٠ والحقـوق الإنسـانية ، فيظهـر القتـل ، وينشـط الحـرس ، وتنتشر كواتم الصوت ٠

كما نشهد أزمة المثقف العميقة بسبب ارتطامـه المباشـر بأشـكال الخلـل الموجودة ضمن المؤسسة الحزبية التي لجأ اليها المثقف لتحقيق الحريـة والعـدل والتقدم ٠ وهذا ما حدث مع " عربي " عندما شاهد الخلل الكبير ، والشرخ العميق ما بين النظرية والتطبيق في المبادىء الحزبية التي آمن بها ٠

لقد أفرزت هذه المفاصل المهمة عددا" من روايات الحداثة الأردنية بحكم صلتها بهذه الانهيارات والانكسارات ، وخيبات الأمل ، والعسـف ، ومـن هـؤلاء : تيسير سبول ، وغالب هلسا ، ومؤنس الرزاز ، وجمال ناجي ، وإبراهيم نصرالله، والياس فركوح وطاهر العدوان وغيرهم ٠

---

٠١ شاكر النابلسي ، كيف عبرت الرواية الأردنية ، ص ١٥٣ - ١٥٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٣ **حرب تشرين / اكتوبر ١٩٧٣ :**

لقد أحدثت حرب تشرين / اكتوبر هزة أخرى في الواقع العربي ، إذ اعتبرها البعض آخر هزائم الشعب العربي فنظر إليها نظرة تفاؤل ، بينما وضعها بعضهم نقطة آخرى في منحنى الهزائم المتلاحقة للأنظمة العربية ٠

وقد انعكست هذه الحرب على الفكر العربي بعامة وعلى الأدب الروائي بخاصة ، إذ دفعت الرواية إلى السطحية والضياع والوهن من جديد ، فالتصق الكتّاب الثوريون بالجماهير للتعبير عن آلامهم ، وتميزوا بجرأتهم في تناول موضوعات خطرة وحساسة ومثيرة للجدل كثيرا" ؛ إذ إن المضمون السياسي لا يستنبط من خلال العلاقات الاجتماعية في الرواية ، بل العكس من ذلك إذ يتخذ الروائيون من العلاقات الاجتماعية غطاء" مكشوفا" لأفكار سياسية يؤمنون بها (١)٠

لقد كانت حرب اكتوبر ٧٣ حلقة متممة لمسلسل الهزيمة في حزيران ٦٧، فجاءت الرواية العربية لتتناول موضوعات أكثر خطورة وحساسية ، فتناولت الأحداث بين هاتين الحربين ٦٧ و ٧٣ ، كما في رواية رشاد أبو شاور " البكاء على صدر الحبيب " التي تصّور معاناة الفدائي من الداخل ، وبخاصة فيما يتعلق بممارسات قياداتها الارتجالية الخاطئة بعد أحداث أيلول ١٩٧٠ والصدام الدموي بين المقاومة والنظام آنذاك ٠ ورواية " ملف الحادثة ٦٧ " ورواية " الشياح" لإسماعيل فهد إسماعيل التي تعالج واقع المقاومة المسلحة والتطورات الخطيرة التي تلت حرب اكتوبر ، والرواية الثانية تعالج أحداث لبنان الداخلية التي وقعت هناك (٢) ٠

صدرت في مرحلة السبعينات "٣٥" خمس وثلاثون رواية أردنية داخل الأردن وخارجه مثل روايات غالب هلسا الذي كان يعيش في مصر ٠ إذ تتسم رواياته بطابع سياسي كما هو الحال في رواية رشاد أبو شاور " البكاء على صدر الحبيب " (٣) ، ويحيى يخلف في " نجران تحت الصفر " ،وسحر خليفة في " لم

---

٠١ شكري عزيز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران ، ص ٢١٣ ٠

٠٢ شكري عزيز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران ، ص ٣٤ ٠

٠٣ نزية أبو نضال ، رواية الثمانينات ، ص ٦٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نعد جـواري لكـم " و " الصبّـار" ٠ لقد عـبروا عـن الواقـع العربـي المـتردي قبـل الهزيمة ، والصدمة المذهلة لذوي الفكر جراء فتنة أيلول كما فعل رشاد أبو شاور، ففضح الممارسات الإنسانية ، ومسلسل التصفيات والحروب داخل لبنان ، وما جـر من حرب أهلية دامية ٠

لقد كانت مرحلة السبعينات حبلى بالأحداث الدامية في الوطن العربـي ، وقادت إلى ويلات وإنكسارات وتصدعات في الوطن العربـي ، ممـا جعلـه فريسـة سهلة أمام حملة الهيمنة الغربية لاحقا" ٠

٠٤ **<u>اجتياح بيروت سنة ١٩٨٢</u> :**

وحين انهار المشروع القومي الوحدوي فـي السـتينات ، وتحوّلـت مدينـة الحلم إلى كابوس ٠ لجأ الثوريون والمثقفون العرب إلى بيروت بحثا عن الخـلاص والحريـة ، وقريبـا" من وجـود الكفـاح الفلسـطيني والمقاومـة اللبنانيـة التـي تقـاتل وتناضل ضد الهجمة الصهيونية وبعد مسلسل الهزائم التي تعـرض لهـا الاسـتعمار الجديد في لبنان ٠ لجأت إسرائيل والقوى المتعاونة معها إلى تفجير الوضـع اللبناني وخلق التيارات المتناقضة وإشعال فتيل الاقتتال بين الميليشيات والفصائل المتمثلة بدعوى الطائفية تارة وبدعوى التناقض الايدولوجي والمصلحي تـارة أخـرى ، فـي الوقت الذي كانت المقاومة في الجنوب تقض مضاجع المستوطنات الإسرائيلية فـي شمال فلسطين المحتلة ، وجميع هذه العوامل كانت إرهاصا" وذريعة لقيام إسـرائيل باجتياح بيروت عام ١٩٨٢ ، ممـا خلّـف دمـارا" وعـارا" علـى الصعيديـن اللبنـاني والعربي لا سيما بحق الطلائع الثورية وقوى النضال اللبناني وغيرها في بيروت ٠

لقد انعكس ذلك كلـه فـي الأدب والفكـر ، وشـكّل صدمـة قويـة للمثقفيـن العرب ، وكان للمبدعين الأردنيين دور ورأي في هذه الكارثة الجديـدة ٠ ولذلـك ، نجد الياس فركوح فـي " قامـات الزبـد " ١٩٨٧ يتـابع مسـار " عربـي " و " عنـاد الشاهد " الممثلين للمثقف العربي المأزوم ، والهارب زمن الانكسـارات ، فيلجـأون إلى الانتحار الذي يمثل مزيجا" من الاحتجاج والهرب لحظة اكتشافهم عجزَهم عـن مواجهة الواقع وتغييره ، إذ تشـهد هـذه الروايـة " قامـات الزبـد " انحـراف العمـل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفلسطيني عن مساره الصحيح من خلال التراجع السياسي في صفوف الثورة ، والتآكل الداخلي في قياداتها ، والوصول إلى حافة انهيار المشروع الفلسطيني المسلح ، اذ يبدو ذلك واضحا" من خلال تداعيات الفصائل الفلسطينية ، وهجوم العدو الصهيوني على بيروت ، والتناحر مع الطوائف اللبنانية ، وتنفيذ مخططات الأنظمة العربية المتناقضة عبر تنظيماتها ، بينما تُوضع برامج الثورة المسلحة على أرفف المخازن الخلفية .

ويتركز الرزاز في رواياته على بيروت ؛ لأنها مدنية الحلم العربي ، ومنبر الحرية ، وملاذ السياسيين الهاربين من آلة القمع في المدن العربية الأخرى. وتظهر بيروت مسرحا" للحرب الأخيرة التي استمرت سنوات طويلة بين التنظيمات المتناقضة ، فغدت بيروت مدينة محترقة ، وأصبحت مدينة كواتم الصوت بعد أن كانت مدينة الوعي الحالم (١).

لقد جاءت رواية الرزاز " أحياء في البحر الميت " عام ١٩٨٢ وسط الدمار والموت ، ووقوف الثوار الفلسطينيين واللبنانيين في وجه الهجوم الإسرائيلي على بيروت ، فأبرزت مدى التآكل الذي نخر البنيان العربي برمته (٢) .

لقد نال هذا الحدث اهتمام معظم المثقفين والمبدعين العرب ، وشكّل حيزا" عريضا" من جل نتائجهم الإبداعي ، ولعل اهتمام كتّابنا الأردنيين تمثل في أولئك الذين يعيشون في بيروت ، فكانت تجربتهم صادقة إبان الهجوم الإسرائيلي الهمجي .

---

١. فيصل دراج ، الرواية والمجتمع المدني ، أوراق ملتقى عمان الثقافي الأول ، عمان ، ١٩٩٤ ، ص ١٦٨ .

٢. عبدالله رضوان ، أسئلة الرواية ، ص ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٥ **الحرية والديمقراطيـــة :**

تعد الحرية والديمقراطية من الأمور الأساسية في تقدم الشعوب ؛ لانهما الوسيلة المهمة والحيوية في إدارة الحوار وبناء المجتمعات ، ونقد المؤسسات الحاكمة ، وتفتّق الإحساس بالانتماء للوطن والإخلاص له ٠ وهذا ما نلحظه في المجتمعات الغربية المتحضرة ؛ لأنهما البديل الوحيد عن الإنهزام والاندحار ٠

إن غياب الحرية والديمقراطية يعني التخلف والانحسار والتراجع ، وظهور آلة القمع ، والبطش ، وانتشار كواتم الصوت ، والعناية بالسجون والزنازين وتوفير النفقات الكثيرة المرئية وغير المرئية للعيون والعسس على حساب التنمية في شتى المجالات ٠

فقد عانى الإنسان العربي على امتداد العصور من غياب الديمقراطية وحرية الرأي ، ومن حاجته إلى تربية قومية شجاعة في الوطن العربي بأكمله ، وانحسار مفهوم المؤسساتية ، وظهور مفهوم الشللية والفردية والفئوية ٠

وفي هذا السياق ، طرح المثقفون رؤاهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة وفق زواية الرؤية ومدى الوعي الذي يتمتع بهما المبدع أو المثقف ٠

مثل هذه العيوب تتيح المناخ الملائم للهزيمة ، إضافة إلى الخوف من السجن والمطاردة والنفي وانتشار النفاق والفساد ، والوقيعة لإرضاء أولي الأمر ٠

لقد ظلت الحرية والديمقراطية ببعديها السياسي والاجتماعي هاجس الرواية الأردنية في معظم أعمال غالب هلسا وفي " العودة من الشمال " لفؤاد قسوس ، وفي " الأبلة " ١٩٧٩ لفايز محمود ، " والمتميز" ، ١٩٧٩ لمحمد عيد ، وجمال ناجي في " وقت " ١٩٨٤ ، " وسحب الفوضى " ١٩٩٢ ليوسف ضمرة ، وعدي مدانات في " الدخيل " ١٩٩١ (١) ٠

---

٠١ سليمان الأزرعي ، الحرية والديمقراطية ، ص ٢١٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعد المرحلة الممتدة من السبعينات وحتى التسعينات مرحلة تفتقر إلى الحرية والديمقراطية ، الأمر الذي جعل مثقفي هذا الوطن يعبرون فتي أعمالهم الإبداعية مستخدمين الأسطورة والرموز والتراث الإنساني بعامة والعربي والإسلامي بخاصة ، للنفاذ إلى مقولتهم دون تقييد أو تقريرية مكشوفة ٠

لقد سلّط " عربي " الضوء على الخريطة العربية الممزقة ، فالوطن يعاني أمراضاً داخلية كالفقر والظلم والانقسام ، وفساد المؤسسات ٠ وكان يصرخ بأن الأزمة أزمة ديمقراطية ، وقد كشف عن عناصر الضعف والقوة في الأمة من خلال ربط العام بالخاص (١) فقد رد " عربي " أسباب هزيمة حزيران إلى انعدام الحرية والديمقراطية ، والمشاركة الشعبية ، والتفرّد بالحكم ، والاستبداد السياسي(٢) ٠

لقد استطاعت القصة أن تبين الإفلاس الروحي للمؤسسات الحاكمة والحزبية ، واهتمام الرفيق الكبير بالنساء أكثر من اهتمامه بالأمة والحزب ، إنها هجائية ضد كل الأنظمة الإرهابية القائمة على التسلط ٠

عانى " عربي " في " أنت منذ اليوم " من التعذيب الجسدي ، والإرهاب الفكري على أيدي أجهزة القمع الأمنية من مصادرة للفكر ، وتعذيب للجسد ، وتوجع للنفس ، وكيْل الإهانات ، والفصل من العمل ، ومحاصرة " الأبطال " في أنفاق مظلمة رطبة عفنة ، جراء اتهامهم بممارسة العمل الحزبي الذي يدعو – كما يزعمون – إلى محاربة النظام ، وقلب أنظمة الحكم ٠ فيلجأ النظام إلى تجنيد الكثير من الناس لمراقبة هؤلاء الأشخاص (٣) ٠

ويتناول سالم النحاس في " أوراق عاقر " ، ١٩٦٨ المعضلة الكبرى القائمة على الصراع مع العدو الصهيوني بعد نكبة حزيران ، وتخلّف المجتمع

---

٠١ محمد عطيات ، القصة الطويلة ، ص ١٥٠ ٠

٠٢ سليمان الأزرعي ، الحرية والديمقراطية ، ص ٢١١ ٠

٠٣ لمزيد من التفاصيل ، راجع " أنت منذ اليوم " لتيسير سبول ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربي ، وممارسة المؤسسات للإرهاب الفكري ضد المواطنين ، ومطاردة رجال الأمن لأصحاب الآراء الإصلاحية وزجهم بالسجون ، إذ لجأ الكاتب كثيرا" إلى استخدام الرمز والألغاز الدالة على عمق المأساة (١) ، والانعتاق من عيون العسس .

وفي " أحياء في البحر الميت " يصوّر الرزاز رموز الحزب الذين اتخذوا من الأيدولوجيا القوية مثالا" يحتذى ، وما آلوا إليه من استخدام أساليب القمع والتصفية ضد أصحاب التفكير الحر ، والانفتاح على استيعاب الفكر الإصلاحي سواء من داخل الحزب أو خارجه (٢) .

وهذه الرؤية تؤكد وجود ظاهرة الإرهاب السياسي ، وانعدام حرية الرأي وما تؤدي إليه من انكسارات ودمار داخل المؤسسات الحزبية ، وانكفاء وصدمة لدى المنتمين لهذه المؤسسات التي ينبغي أن تتمتع بالحرية والديمقراطية.

وهذا ما نلحظه أيضا" في رواية الرزاز " اعترافات كاتم صوت " ، وما يمارسه الحزب من إرهاب فكري ، وتصفية المعارضين والإصلاحيين ، وفرض الإقامة الجبرية ، وانتشار كواتم الصوت ، وآلات التسجيل والتنصت ، ومصادرة الفكر، وقتل الأحلام (٣) . وهي الرؤية نفسها التي طرحها تيسير سبول في " أنت منذ اليوم " .

لقد حملت الرواية الأردنية وبخاصة الرواية الحديثة هموما" اجتماعية وسياسية وفكرية وأخلاقية على الرغم من تفاوت الكتّاب في زوايا الرؤية وفي مواقفهم الفكرية ، وامتلاكهم الأدوات الفنية ، وثمة مسالة مهمة هي أن الرواية في الثمانينات حققت وعيا" اجتماعيا" ، وقدمت رؤى فكرية ، حيث استطاعت أن

---

١. محمد عطيات ، مرجع سابق ، ص ١٦٢ .

٢. سليمان الأزرعي ، الحرية والديمقراطية ، ص ٢١٢ .

٣. لمزيد من التفاصيل ، أنظر : مؤنس الرزاز ، اعترافات كاتم صوت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفرض نفسها بين الأنواع الأدبية الأخرى بل وتتقدم على كثير منها ، وبخاصة بعد أن نضجت على صعيد المعمار الفني • وكما يقول رولان بارت : إن العمل الروائي ، الذي يصنع من الحياة مصيرا" ، ومن الذكرى فعلا" • إن الرواية حياة موازية للحياة نفسها ، وهي الشاهدة على العصر ، ولعل هذا ما يعنيه حنا مينة عندما يقول إن الفن الروائي سيصبح قريبا" ديوان العرب •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

" المضامين الروائية "

المحتويـــــات :

- ☐ تمهيـــــد
- ☐ أنت منذ اليوم ــ تيسير سبول
- ☐ الطريق إلى بلحارث ــ جمال ناجـــي
- ☐ وقت ــ جمال ناجـــي
- ☐ مخلفات الزوابع الأخيرة ــ جمـال ناجي
- ☐ أحياء في البحر الميت ــ مؤنس الرزاز
- ☐ اعترافات كاتم صوت ــ مؤنس الرزاز
- ☐ متاهة الأعراب في ناطحات السراب ــ مؤنس الرزاز
- ☐ جمعة القفاري : يوميات نكرة ــ مؤنس الرزاز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيـــــد :

يتناول الفصل الثاني من هذه الدراسة المضامين الروائية في روايات تيسيرسبول وجمال ناجي ومؤنس الرزاز ، والمقولات التي تعبر عن وجهة نظر الروائي إزاء القضايا التي يطرحها ، وبالتالي التعرف إلى زاوية الرؤية التي يتبناها الروائي • أي انني سأعكف في معظم الأحيان على الدراسة النصية نفسها دون التصدي إلى وجهات النظر الفنية أو النقدية إلا في الحدود الضيقة التي يتطلبها الموقف ذاته • إذ سيتناول الفصل الثالث الدراسة الفنية لهذه الروايات من حيث الشخوص والزمان والمكان واللغة وما يتعلق بهذه العناصر المهمة في التشكيل الروائي من عناصر الدراسة الفنية •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنت منذ اليـــــوم *

المضمـــــــون :

تناولت القصة هموم الإنسان العربي ومشكلاته ، وقد واكبت شخصيات هذه القصة الصراعات التي عاشتها الأمة العربية وانعكاسها في المجتمع الأردني، وقد برز سلوك الشخصيات واضحا" وفق الواقع العربي بعامة ، والأردني بخاصة من كوابيس وأحلام وعدم انضباط الشخوص وخروجهم على المألوف الاجتماعي، وظهر التمرد واضحا" على القيم الاجتماعية والسياسية من خلال الحضور التاريخي بقصد معالجة الواقع .

فقد أفرز الروائي همومه على شكل كوابيس وأحلام كانت تضغط على وعيه ولا وعيه وبخاصة بعد هزيمة حزيران ، كما عالج القضية ببعدها القومي الذي يعبر عن حالة الخذلان والانسحاق إثر هزيمة العرب أمام الهجمة الصهيونية الجديدة . محاولا" تعرية الكيان العربي ، وما يعانيه الإنسان العربي تحت وطأة هذه الأنظمة .

لقد طرح سبول أكثر من قضية في هذا العمل امتدت من قضيته الشخصية إلى تناول القضية الأم للأمة العربية ، والتيار القومي الذي ينضوي الكاتب تحت لوائه ، إذ كان المجتمع يعاني من أزمات متعددة كالفقر والانقسام والظلم ، وكان يصيح أن الأزمة أزمة ديمقراطية (١) .

ويكشف " عربي " عن واقع هذه الأمة عبر الانتقال ما بين العام والخاص ، فهو يشير إلى واقع الأمة المنهزم المتردي ، ويعبر عن تجربة " عربي" الشخصية بانضوائه تحت لواء حزب يحمل طموح القلق العربي ، إذ يحلم " عربي " ويرغب بأن يحمل وشم دولة عظيمة (٢) . ولكن " عربي " ينخدع

---

* تيسير سبول ، أنت منذ اليوم : الأعمال الكاملة : الرواية والقصة والشعر ، ط١ ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ .وسيعتمد على هذا المصدر للرواية....

١. تيسير سبول ، انت منذ اليوم ، ص ٢٧ .

٢. تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بهؤلاء الرفاق عندما تحدث الانقلابات ، ويخون الرفاق بعضهم بعضا" ، ويكتب الشعراء والسياسيون خطاباتهم عن ميلاد الأمة وانبلاج فجرها الجديد ٠٠ واعتقد أن ما كتب يكفي لتسويد دجلة ثلاثة أيام كاملة (١) ٠ عندئذ ، يكتشف أن الرفيق الكبير يحب النساء أكثر من الأمة (٢) ٠ لقد عاش " عربي " هذه التجربة الحزبية بنفسه عندما كان طالبا" في جامعة دمشق ، فاعتقد أن الحزب الذي يرفع شعار القومية هو الكفيل بإعادة صياغة الإنسان العربي ، ومن ثم ايجاد القدرة للوقوف في وجه العدو الإسرائيلي ٠

يدين " عربي " فلسفة الحزب التي تدعو إلى صنع منافض السجاير من جماجم المعارضة (٣) في الوقت الذي ينادي فيه الحزب بالديمقراطية والحرية، ورمي المعارضين بالشعوبية والعمالة ٠

كما يصور سذاجة الأمة العربية عندما ينشغل الخطباء في المساجد بتناول قضايا ملابس النساء القصيرة كقضية جوهرية ، وينسون قضية الانهزام التي تعيشها الأمة ، وكيف يقضي الشباب وقتهم يلعبون النرد في المقهى والأمة تترنح ، والانقلابيون يصرخون في المذياع عن انتصاراتهم ٠ وهو يصور حالة الترهل التي يعيشها الإنسان العربي ، وبخاصة عندما يصبح المحارب مترهلا" وله كرش ؛ لأنه لا يحارب ومشغول بكثرة الطعام (٤) ٠

ويعود سبول إلى أيام طفولته وشبابه وبلده " هجير " مدينة الغبار الكثير والشمس الحارة التي تجثم على أطراف الصحراء فتسفيها رياح الخماسين اللاهبة، وذلك المجتمع المتخلف الذي يعيش بين ظهرانيه ، مصورا" الممارسات الاجتماعية الخاطئة التي تعيشها الأسرة هناك ، وما تعانيه المرأة من انحطاط عظيم ٠ فقد رأى أباه وهو يحمل الحزام الجلدي العريض الذي يثنيه عندما

---

١٠ تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ٢٠ ٠

٢٠ تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ٢٣ ٠

٣٠ تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ٢٣ ٠

٤٠ تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ١٦ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بضرب زوجاته به ليكون أشد وقعا" (١) ، وكيف كان يجثم – الأب – على صدره ويوسعه ضربا" ، ولعل الأمر المخجل عندما كان يسمع صوت أبيه وهو يتحدث إلى مجلس الساهرين عن قصة زواجه ، تلك القصة التي سمعها عربي مرة بعد أخرى تروى للساهرين فيصبح ضجرا" وخجلا" منها ؛ إنها إدانة للواقع الاجتماعي المتعفن الذي لا يحترم المرأة كإنسان آدمي ٠

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل عالج أبوه أمر القطة التي سرقت قطعة لحم ، فعالجها بالعصا ، فأصاب الرأس ، فنفر دمها ورش الأرض ، وهي تموء عاليا" ، وترتد من النوافذ المغلقة ،ونفض أنفها مزيدا" من الدم ثم سكتت(٢)٠

كما يصور " عربي " معاناته مع رجال المخابرات الذين يحققون معه، إذ تصبح شهادته الجامعية ورقة تافهة بمجرد أن يخط الضابط كلمتين : لا أوافق ٠٠٠ لا الحكومة ولا أية مؤسسة توظفك لديها (٣) ٠ ويصر " عربي " بأنه لم يعد حزبيا" ، وانه ليس ضده وليس معه ، فيجيبه الضابط : إن لم تكن معنا فأنت ضدنا، وهنا إشارة واضحة لإدانة القمع السياسي الذي يمارسه الجهاز الأمني ضد حرية الإنسان لا سيما وانه يحصي عليه كل خطواته وسكناته داخل الوطن وخارجه ٠

ونلاحظ سيطرة الكوابيس والأحلام على الجو العام في رواية سبول ، ولعل ذلك ناجم عن الضغوط التي يعبأ بها الشخوص ، فينشط اللاشعور في أية لحظة يعيش فيها بعيدا" عن رقابة الوعي ، ومبديا" بصورة جلية المعاناة الحقيقة التي يعيشها أبطال العمل ٠

إن " عربي " يحلم بقصة محمد بن القاسم الذين وضعه الخليفة في جلد بقرة ورمى بها في نار الموقدة إثر غضبة الخليفة عندما كان محمد يقاتل عند حدود السند (٤) ٠

---

١٠ تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ١٠ ٠
٢٠ تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ٧ ٠
٣٠ تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ٤٢ ٠
٤٠ تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ١٧ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى في الليل صورة حلمه القومي وهو ينهار ، فيرى شواظا أحمر ، يحاول إمساكه فلا يستطيع ، ويسقط على الأرض حيث لا يرى جسده ، بل يجد سائلا" مندلقا" من فمه ، وتزدحم الأحلام حتى يصل الأمر إلى الزنى بالمحرمات(١).

ويحاول " عربي " أن يجد خلاصا" للمرأة المضطهدة الممثلة بأمه ، فيرى في الحلم أنه يسير في الشارع قلقا" على شيء ما أضاعه ، يمر باص ، وفي المقعد الخلفي تجلس هي ، وجهها مختلف ، خفيف ومنقوش كوجه شبح ، يحاول أن يلحق بالباص ، وأراد أن يصيح " يا أمي " فاكتشف أنه بلا صوت ، والناس في الشارع يزمجرون ، إنه يعيق حركة السير . والتفت يريد الباص ، ولكن الباص اختفى (٢) .

وهكذا ، فقد عربي صوته ، إنه يسير ضد التيار بلا جدوى مما يصبوا إليه . وفي إشارته إلى ممارسة السياسة تلك اللعبة الخطرة التي/لا يعرف أصولها وتكتيكها بما تحتويه من عدم التزام نهج واضح يفقده توازنه ، حتى أصبح كابوسا" تكرر كثيرا" ، فزاد جسمه إرهاقا"، إذ يرى نفسه يمارس رياضة قسرية ، ليس بهدف الرياضة ، وإنما هكذا دون سبب ، ترتفع رجلاه في الهواء ويدور على محور رأسه ، رجلاه خفيفتان ، ويحاول إسقاطهما ، ولكنه يفشل ، يقول لنفسه وهو نائم إنه كابوس ، يجب أن استيقظ ، ويحاول أن يصرخ فيفشل في ايقاظ نفسه مرة بعد مرة (٣) .

واستمرت الأحلام تداهم " عربي " فيحلم بالموت كثيرا" ، فيرى قطة مدهوسة ودمها يسيل وهي تدور في دائرة قطرها متر واحد ، لا يدري ماذا ترى، وماذا تريد ؟ وحلم مرة انه يضاجع فتاة ، وعندما اكتشف انها ميتة

---

١. تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ١٤ – ١٥ .

٢. تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ٢٠ .

٣. تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كاد أن يجن(١) . ولكي يتخلص من هذه الفوضى المسيطرة عليه ، فكر بالانتحار، ولكنه سمع آذان صلاة العشاء ، وفور تذكّره مواقف أمه عندما كان صغيرا" عدل عن الفكرة .

نلاحظ أن الموت كان هاجسا" قويا" في أحلام " عربي " وهو نفسه تيسير سبول ، وعندما تأكد أن الأحلام لا تلبي رغباته الحقيقية عندما يصحو لا سيما في ضوء هذا الواقع المتردي ، قرر الانتحار فأطلق على رأسه رصاص مسدسه ، لتكون راحة حقيقية لما يعانيه من كوابيس ترهقه وتفقده توازنه في ظل كل هذه الانكسارات المتراكمة . لقد طاف معظم بلاد العالم ، ورأى كثيرا" من الكوارث إلا انه لم ير شعبا" بأكمله يغرق في الحزن مثل شعبه (٢) . وقد بدا واضحا" أن هذا الشعب قد استحال كائنا" واحدا" ضخما" ومجروحا" ، يترنح في ذهول ما بعده ذهول . أهو شعب أم حشية قش ؟ إنهم واحد من اثنين : غاضب يصرخ أو ذليل يبكي (٣) .

لقد انتحب " عربي " كثيرا" ، ودفن رأسه في الفراش ، وقد جمع في نفسه كل مذلات تاريخه منذ عصر الخليفة الذي حرق محمدا" بن القاسم لغضبة عابرة ، وحتى عصور الظلمة في هذا الزمن الرديء ، وظل يسائل نفسه : أما آن لكل هذا أن ينتهي ، كما تنتهي كل حقارة أخرى ، ولما يئس من هذا الوجود لجأ إلى الثورة على نفسه ، ففجر رأسه بالرصاص .

إن انتحار سبول قضية عالجها فنيا" في روايته ، ونفذها واقعيا" على مسرح الحياة . وفي هذا السياق ، فلا أعتقد أن المرض الذي أصاب عينيه هو الذي أدى به إلى هذا المآل كما يقول عيسى الناعوري ؛ لأن شابا" يحمل من صفات تيسير سبول الذكي والحاد المزاج والمثقف الذي يحمل آمالا" عريضة في الوحدة العربية لا يهزمه المرض وحده ، بل لعل الحسرة والاندحار والتأزم والخيبة في تحقيق حلمه الكبير ، وفشل التجربة الحزبية ، ورواسب القمع الأسرية

---

١. تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ٥٣ .
٢. تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ٥٦ .
٣. تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منذ الطفولة ، والحرمان في سن الشباب كلها عوامل تكالبت سويا" لأ سيما بعد الصدمة الأخيرة الناجمة عن أفول فرحة النصر في حرب تشرين وما تلاها من تقهقر جديد أدت إلى لجوئه إلى الانتحار ٠ وهذا ما ذهب إليه كذلك سليمان الأزرعي وأكده فايز محمود ، وأصر عليه حيدر احتجاجا" على التشوه والقمع والهزيمة ، إذ يذكرنا انتحاره بانتحار مايكافسكي الذي صرخ تحت ظلام الخيبة وانكسار الحلم (١) ٠

---

١٠ أنظر حيدر حيدر في تقديمه لهذا الكتاب : الأعمال الكاملة لتيسير سبول ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطريق إلى بلحارث * :

المضمـــون :

يتناول جمال ناجي في روايته " الطريق إلى بلحارث " – وهي العمل الأول له – قصة مألوفة يعيشها الكثيرون من أبناء الوطن العربي سعيا" وراء لقمة العيش في الصحارى العربية ولاسيما صحراء الربع الخالي ، حيث الحرارة المرتفعة والغربة الموحشة والصحراء بكل مجاهلها وأخطارها ٠

عماد شاب صغير ، تخرج حديثا" في معهد المعلمين بعمان ، بات من المؤكد في ذهنه أن المستقبل لا يتحقق إلا بالسفر والعمل في الصحراء كي يتمكن من الزواج من " نادية " زميلته في المعهد " وكنتُ أحس بأن أمنياتي بالزواج من نادية ، وإسعادها لن يتحقق إلا بالسفر إلى الصحراء حيث الريالات تتكدس كأكوام الكتب ، التي كنت أقرؤها " (١) ، إضافة إلى تغيير الواقع الاجتماعي والوضع المادي الذي تعيشه أسرته بعد وفاة والده في حرب حزيران ، مما اضطر والدته للإنفاق عليه وعلى أخيه " سعيد " وأخته " نهاد " لقاء عملها بخياطةّ الملابس ، عندئذ ، " ستشتري والدتي ثلاثة أثواب بيضاء تطرزها عند أفضل خياطة ، وسترمي تلك الأثواب الحاسرة ٠٠٠ وسوف تبيع الماكينة ٠٠٠ ستنام ليلها الطويل دون خوف من تكاليف الصباح ، وألواح الزنك في سقف بيتنا ، سنستبدلها بالاسمنت المسلح الذي يقاوم المطر ، أما سعيد الجامح فستلتف حوله كل بنات المخيم عندما يلبس أول بدلة في حياته "(٢) ٠ لقد كان المبلغ الكبير الذي تسلمه " عماد " دافعا" وحافزا" لكي يتحمل الغربة وهول الصحراء ٠

يجتمع عماد بمنصور والأستاذ علي في الطريق إلى القنفذة ، ثم تتعمق الصلات بينهم في " بلحارث " هذه القرية التي تقع أسفل جبال عسير ، طرقاتها

---

* جمال ناجي ، الطريق إلى بلحارث ، ط١ ، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين ، عمان ، ١٩٨٢ ٠

١٠ جمال ناجي ، الطريق إلى بلحارث ، ص ١٣ ٠

٢٠ جمال ناجي ، الطريق الى بلحارث ، ص ٣٠ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترابية ، عششها ، ببيوتها الحجرية العتيقة ، بلحارث أصبحت وشما" داكنا" تخلل غربتي ، في بلحارث تحترق رؤوس النخيل ... أصبح الاحتراق جزءا" من المشاهد اليومية التي أراها(١) ، قرية بلا كهرباء ولا طرق ، إنها الغربة والجحيم معا" . عالم جديد لا يتعاطف مع إنسانه الذي قدم باحثا" وراء الانتقال من الفقر إلى الغنى الأمر الذي جعل زوجة الأستاذ علي تضع مولودها " جبر " في سيارة بائسة، وفي وسط الصحراء ... ثم ما لبث أن مات . وعندما حاول منصور أن يستعيد إنسانيته ويحس بوجودها قدم حياته ثمنا" لذلك ، فمات بالحمى ليلة اللقاء الموعودة " بظفرة " . ولما أحس الأستاذ علي بعبثية البقاء ، قرر الانسحاب والعودة من حيث أتى " أنا أعمل هنا منذ خمس سنوات ، في عطلة السنة الأولى عدت إلى عمان ، وحاولت شراء قطعة أرض ، كي أبني عليها بيتا" ، لكنني وجدت أن المبلغ الذي جمعته هنا لا يكفي سوى لشراء أمتار معدودة ، قلت في السنة القادمة سيتضاعف المبلغ ، ووجدت أخيرا" بأنني أركض وراء سراب لن أمسك به " (٢) .

لقد مل علي الغربة، وتأكد من عدم جدوي هذه الرحلة القاتلة ، فصار يتخيل الوطن على أنه حلم ، فأقسم أن لا يغير رأيه حتى لو انطبقت السماء على الأرض (٣) .

ويعود عماد بجثة منصور إلى عمان " سنركب الهليكوبتر لأول مرة في حياتنا يا منصور ، أنا وأنت ، بدون أمتعة ، سنبقي كل شيء هنا ، حقائبنا ، ملابسنا حتى دفاتر المذكرات (٤) .

إنها الغربة التي يعيشها الإنسان العربي داخل الوطن ، وبين أبناء جلدته، فلا أمان ولا استقرار ، فلا يحقق هؤلاء المدرسون أيا" من آمالهم وطموحاتهم ، بل ويتعمق شعور الانكسار والانسحاق لديهم في هذه البقعة التي

---

١. جمال ناجي ، الطريق الى بلحارث ، ص ٤٩ – ٥٠ .
٢. جمال ناجي ، الطريق الى بلحارث ، ص ٨٤ .
٣. جمال ناجي ، الطريق الى بلحارث ، ص ٨٢ .
٤. جمال ناجي ، الطريق الى بلحارث ، ص ١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمارس فيها الممرض الباكستاني دور الطبيب ، ويحرك الحياة فيها كل من " ظفرة " و"عايظ" و"بعرة " و "دخنة " وهم جميعا" من سلالة العبيد لا الأحرار ، ويسيطرون على المقاهي مقر الغرباء ٠ إنها مأساة العربي في وطنه ، ومأساة الفلسطيني الطامح إلى تغيير وضعه المادي والاجتماعي داخل المخيم ، رمز البؤس والشقاء ٠ ففي الغربة لا مكان للحب ، ولا مكان للسياسة أو الحديث فيها ، ولا مكان للتطلع إلى الحرية أو الانطلاق ، إنها نوع من السجن الإرادي أو العودة إلى الفقر والحرمان ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقـــــــت * :

المضمون :

يمثل الصراع بين منير الكسار ونبيل الجسر المحور الرئيسي في هذا العمل ، ضمن موقع جغرافي محدد يتموضع في المخيم ، الذي يلم شتات اللاجئين الفلسطينيين بما فيه من قسوة وبؤس وشقاء ٠

لقد باتت سطوة نبيل الجسر كابوسا" يؤرق حياة منير منذ الطفولة وحتى سن الشباب ؛ في المدرسة والشارع والحارة ؛ يكيل له الإهانات ، ويتطاول على " فتحية " الفتاة التي يحبها منير ، مما جعل" منيرا" يضع حالة الانتقام في أولى أولوياته ، فلم يفكر في العمل الفدائي ، ولم يفكر بالحرب الحزيرانية قبل أن ينتصر على نبيل الجسر ، فيكبر في عيني فتحية ، ويثأر لهزائمه وانكساراته طيلة هذه السنين " سنلتقي يوما" يا نبيل الجسر ، أنا وأنت سنضرم النار ونقتتل في أجيجها ، سنقتتل أمام البوابات والبيوت ، في الحارات سنقتتل ، في الحفرة الهائلة التي تفصل حارتنا عن الحارة الغربية ، سنشعلها ، سأشعلها ، لا فرق ، لكنني لن أخرج من النار قبل أن أطفىء كل حرائقي ٠٠٠ أعد إلى عيني ذلك الفرح الذي استللته منهما ، دعني وشأني ٠٠٠" (١) ٠

لقد آن أوان الاشتباك بين منير ونبيل الجسر ، وفي تلك الظهيرة من حزيران طرح منير نبيل الجسر أرضا" ، ثم أهال الصفعات واللكمات على وجهه، فنفر الدم من جبهته وأنفه وفمه :" في تلك اللحظة انقلب عالمي كله ، وفي صدري انهارت حواجز وجدران كثيرة ، وذلك الغم الذي رافق حياتي ، تحول إلى فرح غامر وزهو لم أعهده من قبل ، بل أحسست بأنني تحررت فجأة ، وامتلكت نفسي لأول مرة " (٢) ٠ لقد تخلص منير من خوفه ، وانتصر على تردده ، ولا يهم بعد ذلك حتى لو خسر حب فتحية ٠

---

* جمال ناجي ، وقت ، دار ابن رشد ، ط١ ، عمان ، ١٩٨٤ ٠

١٠ جمال ناجي ، وقت ، ص ٩ ٠

٢٠ جمال ناجي ، وقت ، ص ١٨٢ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي تلك الليلـة ، يعيش المخيم حالـة حرب حزيران ، واستمع سكان الحارة بشوق كبير إلى أخبار الانتصارات السريعة التي تحققها الجيوش العربية عبر أثير الإذاعات العربية ، وفي تلك الأثناء ، يرحل أبو نبيل الجسر وعائلته من المخيم بعد أن حاول جاهدا" إقناع أهل الحارة بعبثية الحرب وعدم جدواها ، وعدم قدرتنا على محاربة اليهود : " اسمعوا يا جماعة ، أنا عندي مبدأ في الحياة لا أحيد عنه فالذي يتزوج أمي يصير عمي ٠٠٠ حتى اليهود ، بل وحتى الشيطان "(١) ٠

ويتمكن " شهاب " من قتل الشاروط مساعد أبي نبيل الجسر ٠ ويبقى أبو عباد ينتظر عودة " حماد العتيق " الذي وشى به أبو نبيل الجسر ليعود من الجبل الغربي (الأرض المحتلة) جثة هامدة بعد أن أُمطر بالرصاص جراء الوشاية به ٠

لقد عاش أهل المخيم حلم النصر الذي زرعه فيهم عبدالناصر ، ومذيع صوت العرب آنذاك أحمد سعيد ، لقد تاكدوا من دعم روسيا للعرب وبالتالي سيدمرون اسرائيل ، واسترجاع الأراضي العربية المحتلة ٠(٢) ولكن كان الانتصار في الإذاعات ، فضاع ما ضاع ٠ ويبقى شهاب ورضوان المبسور البذرة الصالحة في هذه الأرض رمزا" للثورة وحلما" يراود الشعب لاستمرار النضال ضد العدو الإسرائيلي ٠

---

١٠ جمال ناجي ، وقت ، ص ١٧١ ٠

٢٠ المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مخلفات الزوابع الأخيرة *

المضمـــون :

يقدم جمال ناجي في هذا العمل تصوّرا" متخيّلا" لإقامة بـؤرة جديـدة مـن بؤر التشكّل المديني في الأردن ؛ إذ يبدأ الحكاية بانتقال " سبلو الغجري " وزوجتـه "بهاج " للسكن في واد غير ذي زرع في طرف المدينة بعيدا" عن مجتمع الغجـر، حيث لا يسكن هناك سوى رجل فلاح يدعى "عثمان أبو بركة" وزوجته وأولاده.

ثم يشرع جمال ناجي بإقامة هذا المكان ووضعه بصورة بسيطة ودقيقـة إثر انتقال عدد كبير من عائلات الغجر للسكن حول مسكن سبلو الغجـري ، وعـدد كبير من عائلات الفلاحين حول مسكن عثمان أبي بركة ، لتبدأ الحياة في الوادي ، فقد تم ايصال التيار الكهربائي ، ومد أنابيب المياه ، وافتتـاح المحـلات التجاريـة ، وتنظيم الشارع الرئيسي في الوادي . وقد كان عثمان يعطي هذه الأرض للساكنين الجدد مقابل الثمن دون أن يعطيهم ما يثبت ملكيتهم لهـا . لقد اقترب هذا المكـان من الحضارة المدينية من خلال امتلاك أجهزة التكنولوجيا الحديثـة كـأجهزة التلفـاز والراديو وأدوات الكهرباء بشتى أنواعها .

لقد استطاع وادي الغجر الجديد " المتخيل " أن يطيح بحياة الترحل التي ألفها مجتمع الغجر الـذي يعشـق حيـاة التنـقل واللاستقرار ، واسـتطاع أن يشـكّل علاقات اجتماعية جديدة بين السكان .

استطاع عثمـان أبـو بركـة أن يتحكم بهـذا المجتمـع الجديـد ، إذ فـرض سطوته عليه وأورث هذه السـطوة لابنـه حـامد ثـم حفيـده سـلمان أبـو بركـة ، هـذا الرجل الذي استطاع أن يُحكِم قبضتـه علـى سـكان الـوادي ، وأن يفـرض وجـودا" اجتماعيا" واقتصاديا" بارزيْن ، تحكّم خلالهما في مجريات الحياة في الوادي إلى أن ظهر مالك الأرض الحقيقـي الاقطـاعي " معـروف المعـروف " الـذي أحـدث هـزة عصفت بالاستقرار المؤقت الذي عاشه الوادي مدة طويلة .

---

* جمال ناجي ، مخلفات الزواج الأخيرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يستطع سكان الوادي الوقوف صفاً واحداً في وجه مطالب هذا الإقطاعي المتمثلة بدفع سعر الأرض بالثمن الحالي ، وإلا سيقوم بقطع الماء والكهرباء ، ومن ثم سيقوم بهدم هذه البيوت على رؤوس ساكنيها إن امتنعوا عن الدفع ٠

وفي هذا السياق ، أبرز جمال ناجي انتصار المجتمع الاستهلاكي من خلال التحالف غير الشريف بين الاقطاعي معروف المعروف وبين الطبقة البرجوازية الناشئة المتمثلة بـ سلمان أبو بركة ونزار أبو خنجر على التضامن الذي أبداه في بداية الأمر أبناء الوادي بدعم من جبر أبو بركة الشاب المثقف لقضية أهل الوادي ، ولكن سرعان ما باءت محاولاته بالفشل ، فانسحب من المعركة ، وانزوى في فندق المدينة المجاور للوادي يطالع أخباره في الجرائد والصحف ٠

لقد أبقى جمال ناجي الباب مفتوحاً إزاء أحداث إحراق الجرافات الجاثمة عند مدخل الوادي بانتظار أوامر الهدم ، ولم يعرف من قام بإحراق الجرافتين الضخمتين ، فإن كان سبلو الغجري أو ابنته هاجار أو كان الفلاحون الثلاثة (١) الذين امتنعوا عن دفع ثمن الأرض لمعروف المعروف ؛ فإنها إضاءة نحو انطلاق العمل السري ضد سطوة هذا الاقطاعي أو مَنْ يُمثل ٠

جاءت رواية جمال ناجي عملاً فريداً على صعيد الرواية الأردنية من حيث الموضوع ؛ إذ لم يكتب في هذا الموضوع من قبل من خلال إقامته مدينة كاملة متخيلة والتركيز على التفصيلات الكثيرة للشخصيات عبر ثلاثة أجيال : عثمان أبو بركة وسبلو الغجري وبهاج ، ثم جيل حامد أبو بركة (الابن) ، ثم جيل سلمان أبو بركة ونزار أبو خنجر وهاجار وجبر أبو بركة وعرقي ٠ وبناء مدينة حديثة مستقرة نقلت حياة الناس من الترحل والتنقّل إلى الإقامة والاستقرار، وتعقّد العلاقات وتشابكها ، وإقامة صراعات مصلحية بين هذه المجموعات المنحدرة من قطاعي الغجر والفلاحين لتكوين مجتمع مدني جديد مستقر ٠

---

١٠ جمال ناجي ، مخلفات الزوابع الأخيرة ، ص ٢٨٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحياء في البحر الميت *

المضمون :

تأتي رواية " أحياء في البحر الميت " لمؤنس الرزاز محطة رئيسية في مسار الرواية الأردنية ، بل ولا نغالي إذا قلنا إن الرزاز يقف جنبا" إلى جنب مع الروائيين العرب علاوة على تأثره الواضح بالعديد من الروائيين العالميّين ، الأمر الذي يؤكد امتلاك هذا الروائي لمفاتيح العمل الروائي المتطور على صعيدي الشكل والمضمون .

يتابع الرزاز – وبشكل واضح – مسيرة تيسير سبول ، لا سيما فيما يتعلق بالطرح القومي والإنساني اللذين عالجهما " عربي " في " أنت منذ اليوم " ، لا بل إن ثمة تداعيات متشابهة يشترك فيهما هذان الروائيان على صعيدي الشكل والمضمون كذلك . فإذا كان " عربي " الواقع العربي ودعاة القومية بصورة مباشرة . فإن " عناد الشاهد " في " أحياء في البحر الميت " يدين كذلك هذا الواقع المتشظي ، ولكن الفارق البيّن أن الأخير يلجأ كثيرا" إلى الرمز ، وعدم المباشرة عبر الشخصيات التي بناها الروائي وحملها مالا طاقة لها به ، إذ كيف يحمل فرد عبء مجموعة كبيرة بكل تداعياتها ، وتشظيها ، وترديها ، وانكساراتها ، لا سيما فيما يتعلق بمصير هؤلاء الأبطال وما يمثلون من اتجاهات سياسية وأيدولوجية .

يدين " عناد الشاهد " – وهو الروائي نفسه – الفكر القومي الوحدوي الذي تبناه هؤلاء الوحدويون الانتهازيون ، فسرعان ما سقط الحلم ، وحقق هؤلاء المكاسب الشخصية تحت شعار الوحدة ، وما آل اليه هذا الاتجاه من قمع وتعسف وتشظ وخيبة ، وما تجرع أصحاب المبادىء من عذابات السجن والقتل والمطاردة تحت شعار مصلحة الوطن .

كما تبرز إدانة واضحة للفكر الماركسي من خلال تتبع جزئيات الأحداث المرتبطة بالنضال السلبي الذي يمارسه " مثقال " من خلال الانكفاء على الكتب ومطالعة مجلدات لينين ، ومجلدات الفكر النظرية ، وحلم الدراسة في

---

* مؤنس الرزاز ، أحياء في البحر الميت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ١٩٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جامعة لومومبا وقراءة الشعر وممارسة الحكمة والتنظير ، والبقاء في الظل ، دون الوصول إلى الحالة الثورية القادرة على التغيير والتجذير ٠ ولهذا فعندما انتقلت النظرية إلى حالة الفعل – المتمثلة بمحجوب – وجد نفسه مقتولا" على أيدي الحركة القومية المتمثلة بالرائد ٠ ومثقال يلح على إقامة نقابة لعمال المصنع المجاور للبلدة لإنصاف البدو ، وإنصاف الفلاحين الذين يعملون في المصنع (١) ولم يستطع مثقال إحداث تغيير في التركيبة العقلية والبنية الذهنية لهؤلاء العمال قبل أن ينقلهم إلى فكرة إقامة النقابة ، وهي حالة سلبية حقيقية ؛ اذ كيف يستطيع هذا المثقف التوفيق بين مجتمع عشائري رجعي ، وبين مجتمع تقدمي (٢) ٠ فهو يعيش حلم المستقبل وما يصبوا إليه ، بينما يعيش في الحاضر والمشكلات تحاصره ؛ فأبوه حانق عليه ، والمصنع مغلق ، ومرض القلب يعيق حيويته ، انها حالة موات ، أو انها في الطريق إلى الموت والانهيار ، ويبقى مثقال يحرث البحر دون جدوى ٠

ومن بين هذا الركام ، ومن بين هذه الأنقاض ، يلج الغزاوي ومريم ليمثلا رمزا" للثورة الفلسطينية في مدينة الحلم ؛ تلك المدينة الخارجة على البحر الميت ، أرض اليباب العربي ٠ فـ الغزاوي يقاتل ، ويقف خلف المتاريس ، داخل مدينة الحلم ضد اليمين واليسار تارة ، وفي جنوب مدينة الحلم في مواجهة العدو الإسرائيلي تارة أخرى ٠ نذر نفسه لممارسة النضال الإيجابي ٠ أما مريم فتهب نفسها لقتال الأعداء ؛ فمريم لا تجيد الا القتال ، ولم تخلق للإضرابات والمظاهرات وتوزيع المناشيروالاجتماعات السرية في الأقبية ، انها تفضل الموت السريع على الموت البطيء المتواصل (٣) ٠ ولايستطيع عناد الشاهد أن يحس برجولته معها إلا في مدينة الحلم حيث الثورة ، وإلا فالخواء وانعدام الرجولة مصيره ٠ فتلد مريم طفلها إيذانا" لامتداد فعل الثورة واستمرارها وبنتهي الآخرون: الرائد إلى مصحة عقلية ، ومثقال يحرث البحر دون جدوى ، وعناد غارق في عالم الهلوسة والكوابيس وتبليط البحر ، فقد منع من السفر والعمل والجنس ، أي إنه مُنع من أبسط مقومات الكينونة الإنسانية ٠٠٠ بنه البحر الميت من المحيط إلى الخليج ، أثمة حياة في البحر الميت ؟!

---

١٠ الرزاز ، أحياء في البحر الميت ، ص ١٥ ٠
٢٠ عبدالله رضوان ، أسئلة الرواية ، ص ٢٨ ٠
٣٠ الرزاز ، أحياء في البحر الميت ، ص ١٧ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعترافات كاتم الصـــوت : *

المضمـــون :

تضمنت الرواية خمسة مقاطع رئيسية تمثلت في : مدارات الصدى وتفريعاتها ، الأصوات وكاتمها وتفريعاتها ، من اعترافات كاتم صوت وهي الحلقة الرئيسية في الرواية ، اعترافات فتاة في عنق الزجاجة وما يحيط بها من عالم خارجي وشخوص ، والملحق في نهاية الرواية ، الذي يمثل الأبعاد النفسية الواعية للعمل الروائي ، وقد جاء على شكل أحكام سياسية وفنية وتداعيات روائية.

تعد مقولة القمع السياسي المحور الرئيسي في الرواية ، وقد غدا هذا القمع سمة من سمات العالم العربي المتمثل في شكل قمع الدولة لكل من يقف في طريق هذه الأنظمة . وهنا ، تبدو مقولة القمع السياسي أكثر خصوصية ، قمع الحركة التي ينضوي تحت لوائها الدكتور مراد ، وهو الذي كان في المعارضة ، ولما وصلت هذه الفئة إلى سدة الحكم ، انقلب أعوانه وجماعته عليه ، فزجوه وعائلته (الزوجة والفتاة) في الإقامة الجبرية بعد أن استطاع أحمد الابن من الهرب خارج الوطن ، ولكن سرعان ما استطاع يوسف الطويل " كاتم الصوت " من تصفيته جسديا" . ثم تذهب الأم ضحية إثر حادث سيارة مدبّر وسط الطريق. أما الأخت الصغيرة " سناء" فتغرق في أحلامها وقراءاتها الغامضة ، فتتناول الحبوب المخدرة ، وتنعزل عن المجتمع ، فتعيش في عنق الزجاجة .

أما مصير الحركة أو التنظيم السياسي ، فتجيء محاولة بعثه من جديد على يد جيل شاب مغاير في طروحاته ورؤاه وفهمه عما هو سائد ، إذ يتمثل ذلك في جيل مراد الصغير الذي تبنى فكرة النظرية العلمانية في طرح الأمور ، ومحاولة استيعاب هذا الذي يجري على أساس الفهم العلمي للواقع (١). واعتقد أن

---

* مؤنس الرزاز اعترافات كاتم صوت ،دار الشروق للنشر والتوزيع ،عمان ، ١٩٨٦ .

١. عبدالله رضوان ، أسئلة الرواية ، ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الطرح طرح يائس غير قابل للتنفيذ ، لا سيما وأن المادية أوسع رؤى ، وأرحب أفقا" من القومية التي يطرحها هذا الجيل الشاب ؛ فالثانية متضمنة في الأولى وليس العكس .

أقول إن الفكرة الرئيسية تقوم على إدانة أساليب القمع السياسي المعاشة في عالمنا العربي ، وقد عالجها قبله تيسير سبول ، إذ أنحى باللائمة على هذه الأساليب التي تعمد إلى كبت الحريات ، ومصادرة القرارات ، ومصادرة الحرية والديمقراطية ، وعدم قبول أي طروحات إصلاحية تكون في النهاية لمصلحة الجماعة والحركة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متاهة الأعراب في ناطحات السراب : *

المضمـــون :

تعد رواية " متاهة الأعراب في ناطحات السراب " من أبرز الروايات الأردنية ، كما أنها تحتل مكانة بارزة في مسار الرواية العربية ، ولعل السبب يعود إلى خصوصية هذا العمل ، وقدرته على تحدي الناقد / القارىء للوصول إلى خطابها من ناحية ، ومقولاتها وقيمها النصية من ناحية أخرى ٠

إن التعامل مع المتاهة لا بد أن يعالج بعمق وحذر شديدين ، وإلا ستقود الدراسة الأفقية إلى التيه في هذه المتاهة ، لأنها عمارة ضخمة مكونة من عدد من الطوابق ، منها ما هو فوق سطح الأرض ، ومنها ما هو تحت سطح الأرض ، وبالتالي لا بد من اتخاذ أكثر من بعد لدخول هذه العمارة (١) ٠ علاوة على أننا لا نتعامل مع رواية كلاسيكية تقليدية في بنيتها أو طريقة تعاملها مع شخصياتها ، بل إننا نتعامل مع رواية ذات بنية معقدة للغاية ، يتميز خطابها بتناول مقولات ورؤى معقدة من خلال ضخامة الخطاب الروائي واتساعه ، واعتماد صيغة النص المفتوح ، إذ يتناول الكاتب أكثر من نص داخل النص العام٠

يتناول النص فكرة رئيسية مركزية هي الفكرة القومية التي يعتقد بها الأب الدكتور (والد حسنين) ضمن أطروحة تكوّن مجتمع عربي داخل المجتمع الأردني الحديث الذي يتشكل من مزيج من البدو وسكان الريف والشركس والشيشان والفلسطينيين والأرمن والسوريين (الشوام) ، ثم محاولة الأب توريث هذه الفكرة القومية لابنه حسنين ، إضافة إلى الأحداث الفرعية التي جاءت مرتبطة بالموضوع الرئيس (القومية) وخدمته ٠

---

* مؤنس الرزاز ، متاهة الأعراب في ناطحات السراب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٦ ٠

١٠ غسان عبدالخالق ، الزمان ، المكان ، النص ، ص ٢٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متاهة الأعراب في ناطحات السراب : *

المضمـــون :

تعد رواية " متاهة الأعراب في ناطحات السراب " من أبرز الروايات الأردنية ، كما أنها تحتل مكانة بارزة في مسار الرواية العربية ، ولعل السبب يعود إلى خصوصية هذا العمل ، وقدرته على تحدي الناقد / القارىء للوصول إلى خطابها من ناحية ، ومقولاتها وقيمها النصية من ناحية أخرى ٠

إن التعامل مع المتاهة لا بد أن يعالج بعمق وحذر شديدين ، وإلا ستقود الدراسة الأفقية إلى التيه في هذه المتاهة ، لأنها عمارة ضخمة مكونة من عدد من الطوابق ، منها ما هو فوق سطح الأرض ، ومنها ما هو تحت سطح الأرض ، وبالتالي لا بد من اتخاذ أكثر من بعد لدخول هذه العمارة (١) ٠ علاوة على أننا لا نتعامل مع رواية كلاسيكية تقليدية في بنيتها أو طريقة تعاملها مع شخصياتها ، بل إننا نتعامل مع رواية ذات بنية معقدة للغاية ، يتميز خطابها بتناول مقولات ورؤى معقدة من خلال ضخامة الخطاب الروائي واتساعه ، واعتماد صيغة النص المفتوح ، إذ يتناول الكاتب أكثر من نص داخل النص العام٠

يتناول النص فكرة رئيسية مركزية هي الفكرة القومية التي يعتقد بها الأب الدكتور (والد حسنين) ضمن أطروحة تكوّن مجتمع عربي داخل المجتمع الأردني الحديث الذي يتشكل من مزيج من البدو وسكان الريف والشركس والشيشان والفلسطينيين والأرمن والسوريين (الشوام) ، ثم محاولة الأب توريث هذه الفكرة القومية لابنه حسنين ، إضافة إلى الأحداث الفرعية التي جاءت مرتبطة بالموضوع الرئيس (القومية) وخدمته ٠

---

* مؤنس الرزاز ، متاهة الأعراب في ناطحات السراب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٦ ٠

١٠ غسان عبدالخالق ، الزمان ، المكان ، النص ، ص ٢٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يطرح مقولة القمع المتجذرة في المجتمعات الإنسانية بين قوى التغيير أو ما يسمى بالقوى الثورية (الصعاليك وحسنين) والسلطة بشتى أشكالها ورموزها (سلطة القمع) منذ العصور الأولى وعصر الزراعة وما قبل الكتابة وحتى العصر التكنو – الكتروني وعصر الفضاء والأقمار الصناعية ، إذ تمارس هذه الوسيلة بطرق متقدمة متطورة عبر جهاز التلفاز ، ووسائل الإعلام ، ووسائل التحكم مباشرة لتعميم نموذج الكابوي الأمريكي على العالم ، وبخاصة دول العالم الثالث النامية كما أشار إلى ذلك مستشار الأمن القومي الأمريكي زيجنيو بريجنسكي ٠

ويطرح في هذا الجزء كذلك حالة الازدواجية التي يعيشها المثقف العربي المتمثلة بالقيم المتخلفة والموروث الغيبي والخرافي من جهة ، والوعي بالمنجزات الحضارية والتكنولوجية التي يعيشها العالم من جهة أخرى ، أي الجمع ما بين نموذج التخلّف والحداثة والمعاصرة في آن واحد ٠ وهذا ما تمثله شخصية حسنين (حسن الأول الذي يعي التكنولوجيا ويؤمن بالعلم وسيلة للتقدم والرقي) ، و(حسن الثاني الذي يتمسك بالتراث والموروث والماضي ، فيتحدث اللغة الفصحى ويطغى عليه طابع البداوة) ٠

وفي الجزء الثالث (المتاهة) يعالج الرزاز عددا" من القضايا مثل خصوصية تشكيل المجتمع الأردني وعناصره المجتمعية ، والتركيز على الفكرة القومية ٠ ولعل ما يؤكد ذلك مطاردة حسنين واستجوابه من قبل عالم الظواهر الخارقة :

" أنت حسنين الحسنين ٠٠٠ ونحن نعرف أنك كنت رمزا" لحركات سادت الشارع وشغلت الناس في زمن بعيد ٠٠٠ إنك مصدر قلق لكل استقرار حاول عصر النهضة أن ينجزه ٠ فالاستقرار تراكم "(١) ٠

ويطرح الرزاز فكرة القومية المتجذرة في هذا الجزء من الوطن الكبير – الأردن – عندما ثارت القبائل البدوية ضد الحكم التركي وما جلب للعرب من ذل وويلات ٠ فقد قام البدو بتحطيم القلعة التركية والجالية التي تحميها من خلال إغارة الصعاليك في صحراء السراب على المواقع التركية ٠

---

١٠ الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ٢٦٩ – ٢٧٠ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تضمن هذا الجزء الحديث عن العالم البديل ، وذكريات عام الهول العظيم ، وحكايات أبناء ذياب الآدم او ما يسمى بالجنرالات الجدد الذين يقاتلون في سبيل المصالح الفردية ، فيذهب الشعب ثمنا" للشعارات بين أبناء آدم من "الذيابات" .

ويشير أيضا" إلى غفلة الشعب العربي ، فها هي الطائرات الإسرائيلية قصفت مدينة المرايا ، وقصفت مبنى الأمن العام ، والإذاعة والتلفزيون فقوضت المبنى وأخفت رسومه ، ومحت أعلامه (١) .

كما يتحدث عن الكوابيس والرؤى التي تطارده – حسنين – ليل نهار ، فتحيل حياته جحيما" ، وتكاد تسلّمه إلى الجنون أو الانتحار .

وفي الجزء الأخير – الخاتمة – يغلق النص السابق بأجزائه الثلاثة لصالح الخاتمة ، فيظهر حسنين ، ويرى ما حدث في غيبوبته – الكوما – وما طرأ من تحوّل في المجتمع ، إذ بدا مجتمعا" استهلاكيا" خدميا" ، والمتاجرة بحسنين وفكره ليصبح مجرد صور على القمصان ، فأماتوا بذلك الفكرة وأصبحت ذكرى وإعلانا" تجاريا" ؛ إذ إن ظهور حسنين بعد اختفائه سيربك " البزنس " (٢) كما قال شعلان : " إنه شبح ميت " ، " فهو في نظر الدولة ميت ، ثانيا" حسنين الرمز اللي خلقناه بيختلف عنك . حسنين اللي صنعناه : سيد العارفين ، إمام العالمين ، شيخ الزاهدين ، نور الضائعين والمستضعفين ... فما علاقتك أنت الرجل الإنسان ، العادي ، اليومي ... به" (٣) . فلم يعودوا بحاجة إلى حقيقة الفكرة وتنميتها ، بل بحاجة إلى الذكرى كي تكون سبيلا" للمتاجرة ، وصنع البطولات .

ولذا ، فإن فكرة القومية هي الفكرة الرئيسة والعمود الفقري في هذا العمل الضخم ، وما جاء من طروحات أخرى فإنها تنبثق وتصدر عن هذه المقولة أو جاءت لتخدم هذه المقولة .

---

١. الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ٣٤٠ .
٢. الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ٣٩٥ .
٣. الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ٤٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يأتي الخطاب الروائي بمجمله إدانة لمجمل الواقع العربي وتعريته على كافة الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والإعلامية والثقافية والجنسية ، الذي رافق الإنسان العربي منذ أقدم الأزمنة وحتى الآن . إذ نلمس هذه الإدانة في معظم صفحات الرواية .

يقول : وهممت والببغاء بمغارة الكهف ، لنتسلل إلى المدينة بعد أن قمنا الليل فإذا ببائع جوال يدفع بعربة أشبه بقبعة ساحر، فيها أرانب وحمام ومأكولات وثياب وتلفزيونات وراديوات وآلات حاسبة وملاحم شعبية وأساور وساندويشات " هامبرغر" وزجاجات " كاتشب آب " وكوكا كولا وعباءات وملاءاتٍ وتعاويذ وحجب (١) .

إنها إدانة للواقع اليومي الذي يعيشه الإنسان العربي ؛ إذ يجمع ما بين أدوات التكنولوجيا من جانب ، والتعاويذ والحجب من جهة أخرى .

ويشير إلى طبيعة القمع السائد لدى الأنظمةِ العربية الذي يصل إلى درجة التصفية الجسدية " واستغرب " فزاع " ظاهرة الاختفاء في وطننا العريق ، وراح يسمي بعض مَنْ اختفى : بن بركة ، الإمام الصدر ... (٢) .

وثمة إدانة للواقع القضائي وواقع المرأة العربية " وأنا حبيسة قمقم البيت ، والناس يحكون ... أمك رحمها الله تقول الله الله تفكرين في حضور عرس ابن خالتك ، وماذا يقول الناس " غاب القط إلعب يا فار " وأنا لا أدري ، أدخل في ملابس الحداد أم أنتظر معجزة "(٣) . ويدين كذلك الواقع النقابي وعدم جدواه في ضوء المصالح الشخصية " إن القائمتين " قائمة العمل والتقدم " وقائمة الوطنيين الديمقراطيين " وصلت إلى طريق مسدود ، وان التحالف بينهما بات مستحيلا" لاختلافهما على نِسَب المقاعد "(٤) .

---

١. الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ٤٩ .
٢. الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ١١١ .
٣. الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ٨٥ .
٤. الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويدين الرزاز الواقع العربي برمته ، الذي يعيش حالة " الكوما " كما الحال عند حسنين ؛ فهذا الشعب يرى على شاشات التلفاز السادات وهو في إسرائيل على الرغم من حالة الحرب التي يعيشها العرب مع العدو الإسرائيلي – آنذاك – ، كما يشدد على لا معقولية الواقع العربي والمآل الذي وصل إليه " ما هو المعقول في حياتنا ؟ عجز الظافر والقاهر لا معقول لكنه واقع حدث ، هزيمتنا في حزيران غير معقول ، واقعي ، ضرب المفاعل النووي غير معقول ؟ معقول، السادات بعد عبدالناصر ، وقائع الحرب الأهلية في لبنان وبشاعتها ، ما جرى في اليمن السعيد ، كواتم الصوت ، ما تشهده المصحات والفنادق والزنازين "(١) . بل إن المؤسسة العربية الواحدة لمكافحة الأوبئة ، وهي شكل من اشكال الوحدة العربية مقرها مبنى متعدد الطوابق في الصحراء تابع للسفارة الأمريكية ، وتزيين جدرانه بصور الرئيس كنيدي والممثلين الأمريكيين ، والجدران مزينة بصور شخصيات أمريكية مختلفة بينها صورة لجون كنيدي ... وأخرى للممثل الأمريكي الشهير روبرت ردفورد ، وثالثة لمارلين مونرو ، ورابعة لميكي ماوس، وخاصة لسوبر مان (٢) . وهي إدانة للدور الأمريكي الذي يؤديه في مصادرة الحريات ، والتدخل في شؤون الآخرين ضمن دائرة المصلحة الأمريكية أولا" وأخيرا" ، والشعوب لا حول لها ولا قوة .

ويتضمن الخطاب الروائي أيضا" إدانة لمجمل الفكر العربي السائد ، إذ نجد المثقف العربي يعيش حالة ازدواجية ما بين التراث القديم والفكر الأوروبي الحديث ، وهو بذلك يقع في التناقض بين أهدافه العقلانية النهضوية ، وبين ميوله اللاعقلانية ؛ لأنه يتجاهل القطاع الفلسفي العقلاني في تراثنا ، ويتجاهل القطاع العقلاني في الفكر الأوروبي .

ويفضح النص التجربة البرلمانية العربية التي تمت تعريتها بأسلوب ساخر ، إذ يقول :" وتراكض أعضاء مجلس الشورى إلى مبنى البرلمان ، فلم يجدوا للبواب أثرا" ،وبحثوا عن مفتاح قاعة الاجتماعات بلا جدوى ، فعجزوا عن

---

١. الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ٢٧٨ .

٢. الرزاز ، متاهة الأعراب ، ٢٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اتخاذ التواصي ، فالتواصي تقتضي اجتماعا" ، والاجتماع يقتضي قاعة اجتماعات، وقاعة الاجتماع المغلقة لا تفتح إلا بمفتاح ، والمفتاح في جيب البواب، والبواب نائم في أحد الكهوف ، أو ثمل في إحدى الواحات ، أو نائم عند إحدى زوجاته الأربع" (١) .

ويدين الخطاب الروائي ظاهرة القمع المتأصلة في الحكام ضد الشعوب المستضعفة على اعتبار أن وجوده مرتبط بالقمع والسطوة ، فلا ينامُ إلا وعضو فيه يقظان ، إذا استوى فسكين وإن اعوج فمنجل ، أخف رأسا" من الذئب والطائر، أبصر من عقاب ، أحذر من غراب ... شعاره .. من تكلم قتلناه ، ومن سكت مات بدائه غما" .(٢) إنه قمع منظم وموجه ضد الإنسان وتطلع نحو الحرية مستخدما" في ذلك أرقى الوسائل التكنولوجية لممارسة هذه السياسة القمعية الإرهابية " إنهم يلاحقونك منذ ما قبل الزراعة والكتابة وتقسيم العمل ، وإنهم قصفوك بالحجارة والرماح والمنجنيق والبارود والرصاص والمدافع والطائرات والقنابل الذرية (٣) .

ولعل ما يميز هذا العمل الروائي ؛ ويجعله يأخذ مكانا" بارزا" في مسار الرواية العربية الإدانة المباشرة لأسلوب الإمبريالية الأمريكية وأسلوبها الاستعماري لدول العالم من خلال تصدير نموذج الكابوي الأمريكي عبرّ محطات وسائل الإعلام العالمية التقنية ، وهو ما قاله مستشار الأمن القومي بريجنسكي ، وأن يصبح العالم سوقا" استهلاكيا" للمصانع والمزارع ، ووسائل الإعلام الأمريكية؛ إنها إدانة حادة ومباشرة لهذه السياسة القمعية المستهترة من جهة ، والدعوة إلى إقامة المشروع القومي لمواجهة هذا الخطر ، والانفتاح على العلم وامتلاك وسائل التكنولوجيا الحديثة للحيلولة دون حالة الاستلاب التي يمارسها الإعلام الأمريكي . ولعل ما رآه الأعرابي وأقسم حين عاد إلى قبيلته بأنهم رأوا عمارة ناهضة في البيداء تتداعى ، الجزء العلوي من طوابقها ينهار ، والجزء السفلي يرتفع إلى السطح مبعثرا" متطايرا" كأنما قذفه شيطان يسكن جوف

---

١. الرزاز ، متاهة الأعراب ، ٢٩٦ .

٢. الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ١٣٤ -١٣٥ .

٣. الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ١٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرض إلى أعلى ، وإذ بطابق في الوسط ، لا هو شرقي ولا غربي يظل معلقا" في الهواء كأن الريح قد بسطت كفها وحملته عليها ٠٠ الخ (١) ٠ أقول لعل الرزاز يهدف من مقولة الأعرابي أو حلمه بتدمير المبنى في وسط الصحراء إلى اقتراب نهاية النموذج الأمريكي الذي ما زال مسيطرا" على مقدرات الشعوب ، ومستلبا" إرادتهم ، وناهبا" أحلامهم ورؤاهم ٠

نلاحظ أن الرزاز يدين جميع صور الواقع العربي ، ويبّين حالة العطال والموات التي وصل إليها هذا الواقع بأسلوب مباشر حيناً ، وباسلوب غير مباشر رمزي ومتخيل حينا" آخر ٠

---

٠٣ الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ٣٧٦ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جمعة القفاري " يوميات نكـــرة " : *

المضمون :

تأتي رواية مؤنس الرزاز " جمعة القفاري " انعطافا" حادا" لمسيرة الرزاز الروائية التي تمثلت في أعماله الثلاثة السابقة (أحياء ، اعترافات ، متاهة الأعراب) على صعيدي الشكل والمضمون . فقد جاءت أعماله الثلاثة الأولى لخدمة الموضوع الذي تبناه الرزاز ألا وهو الهم القومي ، الذي ما فتىء يراوده ضمن رؤى وطروحات نهضوية قومية ، ومحاولته نقد تلك المرحلة والتطلع قُدُما" لبناء دولة الوحدة العربية عبر انتقاله في أكثر من مكان على صعيد الوطن العربي الكبير . وقد امتدت هذه المعالجة ثلاثة عقود بدءا" من مطلع الستينات ، وهوالشيء نفسه الذي تبناه تيسير سبول ، وذلك عبر طرح شمولي ممتد .

يطالعنا الرزاز في هذه الرواية بصورة مغايرة ، إذ يتناوَل مذكرات شخص عادي لا يلفه البريق ولا الشهرة ، وعلى حد تعبيره إنسان نكرة ، ويسرد على لسان بطل روايته : مغامرات النعمان في شوارع عمان ، فصولا" متنوعة مما يحدث مع هذا الشخص من مفارقات في محاولة لإيجاد صيغة تصالحية في ذاته ثم التصالح مع المجتمع الذي يتحرك فيه ؛ إذ تلمح شخصا" عاديا" يتنقل ما بين شوارع عمان وأزقتها ، ويحترف كثيرا" من الأعمال بعد البطالة التي لازمته (بائع ملابس ، لحام ، مذيع ، موظف ، صحافي ، كاتب .. الخ) . ولكنه يفشل فيها جميعا" كما فشل في زيجاته أيضا" ، نظرا" لعدم قدرته على التلاؤم والتصالح مع ظروف العصر التي لا يؤمن فيها ، فيبدو إنسانا" مريضا" انهزاميا" تدبر منه الحياة عندما يُقبل عليها ، وتُقبل عندما يُدبر . لقد عاش صعلوكا" في مجتمعه ، وعانى من التشرد وسوء الفهم .

عرض لنا جمعة القفاري " همومه الصغيرة ، وتفاصيل حياته البسيطة ضمن مكان محدد يتمثل بعمان وأزقتها وحاناتها ومقاهيها وجبالها وشوارعها كل ذلك من خلال تداخل صورة جمعة مع بطل روايته النعمان .

---

* مؤنس الرزاز ، جمعة القفاري : يوميات نكرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عاش جمعة يتيما" بعد أن مات والده وهو صغير إثر انفجار مبنى رئاسة الوزراء في عمان ، ثم ما لبث بعد فترة قصيرة أن أصبح يتيم الأبوين ؛ فعاش عند أخته " عائشة " ذات الأطفال السبعة ، وبدلا" من أن تعتمد عليه عائشة، كانت هي رجل البيت ، وكان يعتمد عليها في كل تفاصيل حياته ، فكان يحس بضآلته أمامها (١) .

وثمة قضية محورية في هذه الرواية تتمثل بالغربة والاستلاب اللذين يعيشهما " جمعة القفاري " أو الإنسان العربي ؛ إذ إن صفات الشهامة والنبل والفروسية لا بد وأن تمر بـ " دون كيشوت " ؛ وهو رمز الشهامة والفروسية لدى الغرب ولا سيما أن " دون كيشوت " حرّفه الاستعمار من عون كيشوط أو عون الكياشطة ، وهو التوصيف – أي الغربي – يُحب جمعة أن يُوصف به ؛ وهو التوصيف نفسه الذي يستعمله الآخرون له : " هل تعلمين أن أختي عائشة تقول دائما" إنني عون كيشوط ، وإنني أنتمي إلى سلالة عون كيشوط الذي حوّله الاستعمار من فارس عربي اسمه عون كيشوط أو عون الكياشطة إلى دون كيشوت (٢) .

وتستمر قضية الاستلاب إذ لا يمكن أن يكون شيخ "" أسطوريا" مثل شيوخ القبائل ؟ هل يدل شكلي على ذلك ؟ أنا لا أشبه (انطوني كوين)(٣) . فهو لا يمكنه أن يكون فارسا" عربيا" ؛ لأنه لا يشبه " أنطوني كوين " ، علما" بأن الأصل هو عمر المختار ، ولكنها حالة الاستلاب ، وتشويه الذات العربية .

وأشار جمعة في سياق السرد الروائي إلى عدة قضايا مهمة يعاني منها المجتمع ، مثل : الديمقراطية ، والتعددية السياسية ، والأزمة الاقتصادية ، والفساد، والمحسوبية ، والانهزام الأخلاقي وعلاقة هذه القضايا فيما بينها ، وتأثيرها بالتالي على المجتمع والإنسان وعلاقاتهما .

---

١. الرزاز ، جمعة القفاري ، ص ١٥٤ .
٢. الرزاز ، جمعة القفاري ، ص ٨٨ .
٣. الرزاز ، جمعة القفاري ، ص ١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن جمعة يتعامل مع الآخرين بعقلية الطفولة البريئة ، وهو يعتمد كثيرا" على ابن عمه وعلى أخته عائشة لحل جميع المشكلات التي يواجهها ؛ إذ إن براءته وطيبته ومثاليته ليست بالنسبة للآخرين سوى عجز وهزيمةٍ واتكالية ، أساسها الرغبة في التمتع بمزايا الطفولة . بينما تبدو له تصرفات الآخرين ومبادرتهم إلى التكيف انتهازية وابتعادا" عن مناقب الذات النبيلة (١) .

---

١. عبدالخالق ، الزمان ، المكان ، النص ، ص ٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

" الدراسة الفنيـــة "

المحتويـــات

- تمهيـــــــــد
- أنت منذ اليوم
- الخلاصـــــــة
- الطريق إلى بلحارث
- وقـــــــت
- مخلفات الزوابع الأخيرة
- الخلاصـــــة
- أحياء في البحر الميت
- اعترافات كاتم صوت
- متاهة الأعراب في ناطحات السراب
- جمعة القفاري : يوميات نكـــــرة
- الخلاصـــــة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيـــــــد :

يتناول الفصل الثالث البحث فـي الروايـات التـي عالجتهـا فـي الفصـل الثـاني ولكـن مـن الناحيـة الفنيـة ؛ مبينـا" تطورهـا ونموهـا ، ومكانهـا فـي مسـيرة الحركـة الروائية الأردنية والعربية ، من خلال تتبع عناصر الزمان والمكان والحدث واللغـة والعلاقات وزاوية الرؤية وآراء النقاد والدارسين ورأي الباحث وفق منهج تكـاملي ؛ كي تتيح لنا الفرصة لمعالجة كل القضايا أو جلها ، دون الاعتمـاد علـى وجهـة نظـر واحدة ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنت منذ اليـــــوم :

الدراسة الفنية :

لقد عمت الفوضى في المجتمع الروائي لـ " أنت منذ اليوم " إستنادا" إلى الفوضى في الحياة السياسية والاجتماعية والأخلاقية السائدة في الواقع العربي المبني على القمع ، وكبت الحريات ، بدءا" بالأسرة ومرورا" بالمؤسسات الاجتماعية والحزبية وانتهاء" بأعلى الهرم المتمثل بالسلطة أيا" كان شكلها ودورها القيادي وتموضعها السياسي ؛ فالهدف الأساسي من الرواية ارتبط بالإحساس بالحرية ، كما أصبحت مشكلة الحرية إحدى موضوعاتها الرئيسية . وقد أشار روسو إلى أن الديمقراطية تمنح الحرية ، وأعلن شيلر أن الحرية وحدها هي التي تخلق العمالقة (١)

تعد هذه الرواية من أولى الروايات العربية التي ردت هزائم الأمة العربية إلى سبب رئيس يتمثل في انعدام الحرية والديمقراطية والاستبداد السياسي، والتفرد بالحكم ، والرأي الواحد (٢) . إنها هجائية ضد كل المؤسسات الإرهابية التي تصادر حرية الفرد والمجتمع ، فتقود من هزيمة إلى هزيمة فمن حزيران ١٩٦٧ إلى تشرين ١٩٧٣ ، إلى رصاصة فجرت رأس تيسير سبول ؛ فقبل أن يهزمه الناس انتحر فمات موتا" له فيه خيار ، وليس موتا" لا إراديا" .

إن الروائي الذي لا يبحث عن أشكال روائية جديدة لاستيعاب الواقع ، والروائي الذي يطلب من قارئه جهودا" ذهنية ، أو يضطره إلى التطلع إلى نفسه من جديد ، ويجعله يشك في صحة مواقفه القديمة التي تمسّك بها ، هو الروائي الذي يسلك طريق النجاح بكل سهولة (٣) . وهذا ما فعله تيسير سبول ، إذ قـــــــدم

---

(١) كولن ولسن ، فن الرواية ، ترجمة محمد درويش ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٧٩ ــ ٨٠ .

٢. سليمان الأزرعي ، الحرية والديمقراطية في الرواية الأردنية ، مجلة راية مؤتة ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ١٩٩٣ ، ص ٢١١ .

(٣) ميكلوش بيلاري ، مستقبل الرواية ، ترجمة حسين جمعة ، مجلة أفكار ، العدد ٤١ ، ١٩٧٨ ، ص ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكلا" جديدا" من أشكال الرواية خارجا" بذلك على المألوف التقليدي ، وإذا كانت الرواية تعد من أنسب الأشكال الأدبية لحمل رسالة ايدولوجية ، وأيسرها تناولا" ، وأوضح أثرا" ، وأكثرها تأثيرا" ، فالرواية تتميز برحابة الصدر ، ومداها الطويل في تناول القضايا بعكس القصة القصيرة التي تتسم بالتركيز الشديد ومحدودية الأداء ، أو القصيدة في قصر النفس ، وغياب الرؤية الشاملة ، والاقتصار على الجزئيات ٠ ولذا ، تتيح الرواية فرصة المعالجة العميقة المتأنية الشاملة البعيدة عن العواطف الآنية والانفعالات الطارئة (١) الأمر الذي يؤهلها احتلال مكان الصدارة بين سائر الفنون الأدبية ، ولعل شهرة تيسير سبول برزت روائيا" علما" بأنه ينظم الشعر ويكتب المقالة والقصة ٠

إن التجربة الروائية في الأردن ملتصقة بالتجربة الروائية العربية ، بل إن روايتي " أنت منذ اليوم " و " الكابوس " تشكلان قاعدة مهمة اعتمدتا على واقع عربي مهزوم إثر نكبة حزيران ؛ فالرواية نتاج تأملات الكاتب عن الزمن ، ونجاح الكاتب يعتمد على كفاءته وقدرته على الإلمام الفكري في مجال ما من مجالات الحياة ٠ وبهذا المنهج يمكن أن تنير الماضي ، ويمكن أن تستشرف المستقبل ، ويمكن أن تفهم الحاضر وفق هذا الفهم (٢) ٠

تكاد تخلو هذه الرواية من الحوادث ، فقوامها الأفكار والذكريات،وتعبر الشخصية لديهم بطريقة اللاوعي ، والسرد غير المنظم ، إذ يشغل التأمل جانبا" كبيرا" من حياة الإنسان ، واستحضار الذكريات والخواطر بصورة متقطعة غير منظمة منطقيا" (٣) ٠

كما يلجأ سبول كثيرا" إلى الرمز ؛ فالبطل " عربي " يرمز إلى كل واحد منا ، وهو بطل مثقف غريب رافض ومرفوض يختار " هجير " المترامية على أطراف الصحراء تتقاذفها الرمال رمزا" لكل العواصم العربية ، والخليفة الذي

---

١٠ شكري عزيز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران ، ص ٢٣ ٠

٢٠ ميكلوش بيلاري ،مستقبل الرواية ، ص ١٢٨ ٠

٣٠ محمد عطيات ، القصة الطويلة ، ص ١٨٣ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حرق محمد بن القاسم يرمز إلى الرؤساء العرب ، والجنرال يرمز إلى القادة العسكريين الإسرائيليين ، فاستخدام الرمز يزيد عالم الرواية كشفا" ووضوحا" ولا يريد به الغموض ، فعندما يستخدم تقنية القطع السينمائي يتحرك في المكان في حين يظل عنصر الزمان ثابتا"،إضافة إلى التضمين الشعري وبخاصة النيم منه (١).

لم يستطع تيسير سبول التغلب على أسباب اغترابه في الحب والسياسة المتمثلة في الوحدة العربية وصراعه مع الذات ، فحاول التخلص من اغتراباته هذه باللجوء إلى الانتحار ، بعد أن امتلأ بشعور اللاجدوى من الحياة والخواء والاغتراب نتيجة للواقع المر الذي مارسه حياة وأدبا" وسياسة . ولعل الرواية مليئة بالوهم، وتبدو الحياة فيها منافية للعقل وخالية من المعنى وهذا ما نلاحظه في رواية " الغثيان " لسارتر ، وبالتالي نلاحظ أن البطل يتراجع إلى الوراء ، ويسير في مستوى مباشر ومرتبك ، وغير مفهوم وغير منتمٍ (٢) وهذا يعني أن تيسير سبول مذرك لما يفعل .

تحفل الرواية بعدد كبير من الشخصيات ، ولكن ثمة شخصية رئيسية تتدخل في العمل وتترك بصماتها واضحة على صعيد العمل الروائي برمته، أما بقية الشخصيات فهي هامشية مسطحة ، وتمر في العمل دونما تأثير يذكر .

فـ " عربي " الشخصية الرئيسية في الرواية ، شاب جامعي درس في جامعة دمشق ، وأراد أن يلبي رغبته بالانتماء إلى أمة تحمل وشم دولة عظيمة ، فانخرط في العمل الحزبي ليحقق هذه الرغبة .

يعيش "عربي" في أسرة مفككة ، فأبوه ذو عينين كعيني الصقر ، وله لحية صغيرة ، وذو حزام عريض يستخدمه دائما لضرب زوجاته لأتفه الأسباب. فأمه دائمة البكاء ، منقوشة الوجه حزينة منذ كان ابنها الأكبر يقاتل العدوالإسرائيلي في حرب عام ١٩٤٨ . وكان الأب يمارس الضرب والشتم ضد " عربي " لأي سبب .

---

١. شكري عزيز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران ، ص ٥٧ .
٢. كولن ولسن ، فن الرواية ، ص ١٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الجامعة ، يقرر " عربي " الانضمام للحزب ، ولكن سرعان ما يكتشف زيف هؤلاء القادة ، وانهم يقولون ما لا يفعلون ، فيلجأ إلى ممارسة الجنس مع عائشة الفتاة غير الجميلة ، ويصادق " صابرا" " زميله في الجامعة ؛ ذلك الشاب الذي يحمل أفكارا" متحررة في السياسة والاجتماع ، فقد قال مرة لـ "عربي " إنه نصح أخته بأن تتخذ لها عشيقا" نكاية بزوجها الذي كان يوسعها ضربا" دونما سبب(١) .

وتحدث حرب حزيران ، ويندفع " عربي " مع صديقه " حمزة " ، ويبتهج مع الجموع التي تستمع إلى البيانات التي تبثها الإذاعات العربية مسجلة انتصارات عظيمة على العدو ، لتتضح الأمور فيما بعد ، وإذا هي هزيمة نكراء للأمة كلها . فيهرب " عربي " مقنعا" نفسه بالإنتحار ، ولكنه سرعان ما يعدل عن الفكرة ، فيتشنج في أحلامه ومناماته . إنها أزمات متلاحقة تثقل " عربي " من الداخل ، فمن جو أسري يسيطر عليه القمع ، إلى شعور مختزن في لا وعيه عن منظر القطة التي قتلها والده ؛ لأنها أكلت قطعة لحم ، إلى الخراب الكبير في شعارات الحزب الذي لجأ إليه ليعيد صياغة نفسه من أجل بناء دولة الوحدة والانتصار ، إلى الانقلابات العسكرية المتوالية ، والبيانات السياسية الكاذبة ، إلى الثورة على ما يسمى بالشعوبيين ، إلى استجواب ضابط المخابرات له وجعله يوقع بأصدقائه في الحزب مقابل كلمة أوافق بدلا" من أن تصبح شهادته مجرد ورقة تافهة ، إلى شتم أخيه الأكبر لأمه نظير ميراث هزيل تافه بعد وفاة والده ، فتداهمه حرب حزيران ، ويسير " عربي " في الشارع كذبابة دانخة (٢) .

لقد أصبح الشعب العربي حشية قش يتدرب عليها هواة الملاكمة منذ هولاكو حتى الجنرال الأخير (٣) . لقد ظل الهاجس يطارده : طاف رجل معظم بلاد العالم ، ورأى كثيرا" من الكوارث إلا انه لم ير شعبا" بأكمله يغرق في الحزن مثل شعبي ... وبدا واضحا" أن هذا الشعب قد استحال كائنا" واحدا" ضخما" ومجروحا" يترنح ببطء ، ولم يكن قط ذهول أبعد من هذا (٤) .

١. تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ١٢ .
٢. تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ٥١ .
٣. تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ٥٨ .
٤. تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن تيسير سبول يعبر عن الانهيار والتفسخ والتصدع والشعور بهول الهزيمة، وبذلك لا نراه يستشرف المستقبل بل يبقى في الماضي الذي أوصل إلى الحاضر المتشظي والممثل بالهزيمة (١) . مشيرا" الى مسلسل القمع المتواصل بدءا" من الأسرة وانتهاء" بالمؤسسات بشتى أشكالها وصورها ؛ إذ إن الأطروحة المركزية التي تنطلق منها " أنت منذ اليوم " هي تعرية المرتكزات التاريخية للمؤسسة الاجتماعية بدءا" من العائلة التي تضطلع بإدانة أنماط القمع الأبوي / البطريركي ، عبر آلية العنف المتجه إلى أسفل والخوف الصاعد إلى أعلى (٢) ، فهي المسؤولة عن نشر جراثيم الهزيمة .

إن " عربي " حالة احتجاج ضد كل ما هو قائم ، إنه يطالب بالثورة على كل شيء (٣) . ولما لم يستطع التغلب على أسباب اغترابه في الحب والسياسة المتمثلة في الوحدة العربية ، وصراعه مع الذات ، اول التخلص من اغترباته هذه باللجوء إلى الانتحار (٤) بعد أن امتلأ بالشعور باللاجدوى من هذه الحياة وبالخواء والاغتراب نتيجة للواقع المر الذي يمارسه حياة وأدبا" وسياسة ، إضافة إلى إنه لم يستطع الصمود في وجه المرض العضوي الذي كان يقض مضاجعه إن تيسير سبول يطرح مجموعة قيم ورؤى ثاقبة حيال قضايا مركزية كانت فيها الأمة بها إلى الخسران ، وتجرع كأس الهزيمة ، والاندحار .

تتصدع شخصية " عربي " في الرواية بين الحلم بوشم دولة عربية قوية، وبين واقع الهزيمة ، والزمن الموضوعي للرواية هو عقب زمن هزيمة حزيران فهي شهادة على مرحلة تاريخية منهارة ، وبذلك يمكن أن نطلق على " عربي " صفة البطل الاستثنائي ؛ البطل النخبوي ، وبطل الوجود الحاد . فقد

---

١. فخري صالح ، التأسيس للرواية الحديثة ، ص ٤٤ .

٢. غسان عبدالخالق ، مدخل إلى الرواية ، ص ٦٣ .

٣. أحمد المصلح ، البطل النقيض في الرواية الأردنية ، مجلة أفكار ، العدد ٧٤ ، عمان ، ١٩٨٥ ، ص ١٦٩ .

٤. أحمد شقيرات ، تيسير سبول والاغتراب ، مجلة أفكار ، العدد ٧٤ ، عمان، ١٩٨٥ ، ص ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خرج " عربي " من فاجعة الهزيمة ليدين العائلة والحزب والمرأة والمحارب (١)، فكان " عربي " الرمز التاريخي للإنسان العربي ، وكانت الصحراء جغرافيا" هذا الإنسان (٢) . ويصبح " عربي " حالة احتجاج ضد كل ما هو قائم . ولكنني أعتقد أن حالة " عربي " هذه بما فيها من تشوهات وانكسارات ناجمة عن انكساره هو وارتداده نحو الخيانة ؛ إذ إن وشايته برفاقه إلى أجهزة الأمن قد عمّقت مأساته، وانعكس ذلك على تصرفاته عبر شخصية " عربي " وما تخللتها من أحلام وكوابيس ولغة متقطعة وتداعيات وهروب لإيجاد مسوغ لهذا التصرف .

ولذلك ، تعد " أنت منذ اليوم " شهادة تاريخية على حياة الأمة ، إذ تبين صورة القمع والاضطهاد ، ورسم صورة الإنهيار بعد هزيمة عام ١٩٦٧ ، وبالتالي فإنها في تفككها البنائي توازي التفكك والانهيار اللذين أصابا الوطن العربي اجتماعيا" واقتصاديا" وثقافيا" ، فتصبح لغتها عبثية عدمية ؛ لغة أحلام وكوابيس وهذيانات ، فيؤول " عربي " إلى الانسحاب والتراجع إلى الوراء راسما" بذلك صورة للمثقف المنهار (٣) .

لقد جاء عمل سبول تنويعا" جديدا" في السرد الروائي العربي ، الذي بدأ في منتصف الستينات على يدي نجيب محفوظ (ثرثرة فوق النيل) ، وفي (تلك الرائحة) لصنع الله إبراهيم ، وأعمال جماعة (جاليري ٦٨) ، إذ تعد هذه الأعمال خروجا" على البناء الكلاسيكي للرواية العربية (٤) ، بل تعد شكلا" من أشكال الرواية التجريبية الجديدة التي يحاول فيها الكاتب استخدام تقنيات جديدة لنقل رؤيته الذاتية عن الواقع، وقد بدأ هذا الشكل الجديد على يدي جيمس جويس وبيكيت والآن روب كربيه وبروست في ثلاثينات هذا القرن (٥) .

---

١. أحمد المصلح ، البطل النقيض في الرواية الأردنية ، مجلة أفكار، العدد ٧٤ ، ١٩٨٥، ص ٦٩ .
٢. فايز محمود ، تيسير سبول العربي الغريب ، ص ٣٠ .
٣. فخري صالح ، وهم البدايات : الخطاب الروائي في الأردن ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص ٧ – ٨ .
٤. فخري صالح ، التأسيس للرواية الحديثة ، ص ٥٦ .
٥. كون ولسن ، فن الرواية ، ص ١٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدرك تيسير سبول أن ثمة ضعفا" يكمن في البناء الفني لهذا العمل : عندما سمع الشباب بأن " عربي " يكتب رواية خجل وأكد أنه يكتب شيئا" غامضا" لا يدري ماذا يسميه ؛ هذا الشيء يكتبه لأنه يزعجه ، والذي يرى الشباب انه غير متماسك ، وانه يقسر التاريخ عليه (١) . وعلى الرغم مما يدور من أسئلة على شكلها الفني ؛ فإنها علامة بارزة ومهمة في مرحلة تأسيس الرواية الأردنية الحديثة إلى جانب رواية " أوراق عاقر " لسالم النحاص ، و" الكابوس " لأمين شنار (٢) . فقد كانت " أنت منذ اليوم " المعطف الذي خرج من تحته الأدب الأردني الواقعي (٣) . وقد لاحظنا أن ثمة ما يشبه الإجماع من الدارسين والنقاد من أن تيسير سبول يعد مؤسس الرواية الأردنية الحديثة ، بل يعد من رواد الرواية الجديدة في الوطن العربي . وقد شكلت الرواية أول خرق للرواية التقليدية السائدة ؛ لأن تيسير سبول بنى روايته استنادا" إلى مقاطع سردية وحوارية ومشاهد منفصلة ، فهي مشاهد تصويرية لحالات اجتماعية ينتمي بعضها للماضي وبعضها الآخر للحاضر من دون أن يرتبط السابق باللاحق بهدف بناء خط درامي متنام يقود إلى نهاية محددة (٤) ؛ فالرواية تعكس في بنيتها تهشم الرؤية المتكاملة ، إذ تضم مجموعة لوحات قصيرة متتالية لا يربط بين أجزائها زمان واحد أو مكان واحد أو حدث واحد ، وهي بذلك تأخذ شكل القصيدة الجاهلية ، إذ يتم الترابط بين أجزائها من خلال التداعي ؛ فالرواية تخرج بذلك على نمط الكتابة العربية السائد(٥) .

وفي هذا السياق ، يقول إلياس خوري : " تبدا رواية تيسير سبول " أنت منذ اليوم " ، بكاميرا تتجول بين المنزل والشارع ، وتلتقط جميع التفاصيل ،

---

١. تيسير سبول ، أنت منذ اليوم ، ص ٤٤ .

٢. خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ٦٨ .

٣. قاسم توفيق ، القلق والموت في " أنت منذ اليوم " ، مجلة راية مؤتة ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ١٩٩٣ ، ص ١٩٣ .

٤. سحر روحي الفيصل ، الشخصية والراوي ، مجلة راية مؤتة ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ١٩٩٣ ، ص ١٨٥ .

٥. غالب هلسا ، أدباء علموني – أدباء عرفتهم ، تحت الطبع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتخلف وراءها شعورا" حادا" بالغربة والوحدة والقرف هي ما يوحد هذه التفاصيل في نظر بطل الرواية ، الذي هو متفرج وبطل في وقت واحد ؛ بطل في الرواية لأنه يتعرض لكوابيس بشكل مباشر ، تضغط على رأسه وجسده . ومتفرج لأنه لا يشارك في صناعة أحداث الرواية "(١) . ولذا ، فالرواية تقوم على تقنية القطع السينمائي وما فيها من مقاطع مشهدية ، واستشهادات ، وتذكرات ، واسترجاعات، ومقاطع النجوى الداخلية ، ومقاطع الكوابيس والأحلام ، إذ توفر هذه التقنية المباشرة في طرح الرؤية السياسية والاجتماعية ، وتنتفي عن البناء الروائي الزوائد ، وتتراص المقاطع المكثفة من مشاهد وتذكرات وأحلام وتعليقات ؛ فيقطع المشهد – الراوي – عند انتهاء وظيفته السردية (٢) .

ففي هذا العمل ابتدع سبول أسلوبية جديدة في بناء الرواية العربية غير التقليدية كي يستطيع حمل المقولة التي يريدها في ضوء التشظي الذي يعيشه الواقع العربي – زمن الهزيمة – لتؤطر شكلا" حديثا" للرواية .

ولعلي أوافق فخري صالح (٣) في تفسيره استخدام تيسير سبول أسلوب القطع السينمائي في عمله هذا ، وتجاوز الأسلوب السردي غير المتجانس بهدف توسيع إطار عمله وجلاء أطروحته الايدولوجية ، وجعلها أكثر شمولا" وقدرة على تفسير الهزيمة من خلال تفسير البنية القمعية المتشظية في كيان الفرد والمجتمع .

وتعد تقنية التقطيعات من تقنيات الرواية الحديثة ، فهي عامل مهم يدل على كتلة ضخمة من المادة الممكنة لدى الروائي (٤) .

ولذلك ، فهذا الأسلوب ليس مجرد خيار شكلي فحسب ، بل هو خيار مضموني كذلك . وبالتالي ، فإن قيمة القمع مركزية تتبع لكل العمل بدءا" بالفرد ومرورا" بالجماعة والعصبة والحزب وانتهاء" بالسلطة بأعلى صورها وأشكالها . ولذلك ، تبدو الرواية بهذه الصورة ركيكة في لغتها ومعمارها وخلوها من التمركز

---

١. الياس خوري ، تجربة البحث عن أفق ، ص ٧٦ .
٢. فخري صالح ، التأسيس للرواية الحديثة ، ص ٤٢ .
٣. فخري صالح ، وهم البدايات ، ص ص ٣٠ – ٣١ .
٤. وليام فان اوكونور ، أشكال الرواية الحديثة ، ترجمة نجيب المانع ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الروائي ، ولا ينتظمها خيط روائي واحد ممتد نظرا" لوجود هوة بين هؤلاء الأبطال المأزومين ومجتمعهم مما أدى إلى خلخلة البناء الروائي وفقدان التواصل بينهم ٠ ولكنها في الحقيقة غنية بالرؤى والطروحات والرؤية الحادة للكاتب ٠

يستخدم تيسير سبول لغة جديدة ومبتكرة في الرواية ، إذ سخر كل امكانات الكتابة في تصور الواقع الخارجي عبر عمل فني ذي تجربة جديدة ، فكل شي مقصود ؛ فالبطل – عربي – يربط اللوحات الفنية المتعددة من خلال الجمل القصيرة التي تقربها من لغة الشعر ، فيختلط العام بالخاص والخاص بالعام ٠ وبناء روائي يقوم على السرد والوصف والهذيان ، وربط الماضي بالحاضر بالمستقبل ، فالجمل مكثفة ومحملة بالأفكار التي تدعو للتفكير (١) ؛ فالفكرة التي يتناولها مشحونة بالتوتر والتمزق والكوابيس والأحلام المرعبة لالتصاقها بالواقع المعاش ، فهي بحق محاولة جريئة في تطور مسيرة الرواية الأردنية شكلا" ومضمونا" ٠ ولا غرو اذا عدها خالد الكركي من روايات مرحلة التأسيس لرواية أردنية جديدة ٠ فكانت لبنة مهمة في مسار الرواية الجديدة التي بنى عليها رواد مرحلة الرواية الجديدة أعمالهم كـ مؤنس الرزاز وابراهيم نصر الله والياس فركوح وغيرهم ٠

إن تكنيك تناوب الضمائر التي يلجأ اليها تيسير سبول بين ضمير المتكلم وضمير الغائب تحقق التحاما" كبيرا" بين الراوي والشخصية فلا نكاد نفرق بينهما في أحيان كثيرة ٠ ولعل تحول ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب هو الذي يعمد اليه تيسير يأتي في سياق حيادية النص وموضوعيته من جهة ، وإسباغ اللاشخصي والعام على تجربة الفرد ، ونقل ايدولوجيا النص من محور الايدولوجية والفردية التي يتبناها الشخص المثقف إلى محور الايدولوجية العامة التي يتبناها المجتمع بأكمله أو لشريحة كبيرة من قطاع المثقفين من جهة أخرى(٢). كما نلحظ تفاوت المكان والزمان والحوارات الجوانية ٠

وفي هذا السياق ، يتساءل أحمد المصلح عن روائية " أنت منذ اليوم " وميلها إلى الخطاب الايدولوجي ، إذ تعرض الرواية إلى مجموعة من الحالات

١٠ محمد عطيات ، القصة الطويلة ، ص ١٥٦ ٠

٢٠ فخري صالح ، هم البدايات ، ص ص ٣٧ – ٣٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تصلح كل واحدة منها لأن تشكّل قصة منفردة وقائمة بذاتها إذا ما وضعت لها عناوين ، ويشير أحمد المصلح إلى أن تيسير سبول ضحّى بالبنية الفنية للقصة على حساب زاوية الرؤية أو البعد الأيدولوجي فيها (١) . ولعلي لا أتفق ما ذهب اليه المصلح ؛ إذ إن تعدد الأساليب الفنية أو اختلاف مستويات اللغة ، وكثرة الشخصيات ، وطرح الأيدولوجيا في العمل بصورة مقنعة ، وتعدد أقسام العمل (مشاهد) ليست بالضرورة مقاييس على روائية أو عدم روائية العمل الأدبي (الرواية) ، إذ نلمس ذلك في غير واحد من الأعمال الروائية مثل " سداسية الأيام الستة " لإميل حبيبي ، وأعمال مؤنس الرزاز ، و" أم سعد " لغسان كنفاني ، لا سيما إذا علمنا أن تيسير سبول شاعر ومثقف وحزبي وإعلامي وصحافي وكاتب مقالة .

يلجأ تيسير سبول إلى تقنية التداعي لربط أجزاء عمله ؛ فللتداعي دينامية خاصة أي ما يعاش في اللحظة الحاضرة ، أي ما هو عياني ومباشر يستدعي ذكرى قديمة وهي بالتالي تستدعي مشاعر وأحاسيس قديمة وجديدة ، أي أن مجرى الوعي لا يتم في مستوى واحد ، بل على مستويات متعددة ؛ فهو ينتقل من الحاضر المباشر ، أي ما هو تاريخنا الشخصي ، وهو كذلك ما احتفظت به الذاكرة من حكايات وأحداث (٢) .

تأثرت رواية تيسير سبول كما تأثرت روايات شنار والنحاس وهلسا بتيار الوعي ، الذي يؤمن بالسباحة ضد تيار الشعور ، والغوص في سراديبه ومنعطفاته دون اهتمام بالتتابع الحسي ، إذ ينكر الوعي على الواقعيين تمسكهم بظواهر الحياة واستغراقهم في التفاصيل الساذجة ، ورأت أن قدرات الأديب تتجاوز حدود المصطلحات ، وضرورات البناء الفني وتقاليده الخاصة .

ويشير غالب هلسا (٣) إلى تقنية " السخرية من الذات " التي نجدها في أكثر من موضع في رواية سبول . وهذه التقنية نادرة جدا" في الرواية العربية ،

١. أحمد المصلح ، أنت منذ اليوم بين الفن الروائي والأيدولوجيا ، مجلة أفكار، العدد ٥٥ ١٩٨٢ ، ص ١٧ .
٢. غالب هلسا ، أدباء علموني – أدباء عرفتهم ، تحت الطبع .
٣. غالب هلسا ، أدباء علموني – أدباء عرفتهم ، تحت الطبع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن الروائي عادة ما يزين الراوي الذي يتحدث باسمه فيكسبه أهمية كبيرة لأنها تنطق باسمه ٠ ولعل تيسير سبول سخر من الرجل عندما قال له إن البدو فيهم أصالة ٠ فأجابه تيسير بأن الرجولة معدومة ٠ فحسب الرجل انه يتواضع ٠

وفي هذا السياق ، يقول غاستون باشلار : إن المبدع الحقيقي هو القادر على أن يسخر من ذاته ٠ وهذا يعني ربط الابداع الحقيقي بالموضوعية ؛ لأن السخرية من الذات تعني محاسبة الذات بتجرد ، وتجاوز الذات (١) ٠

تتجدد الكوابيس دائما" في سياق الرواية وذلك في صور مختلفة ، إنها نقطة الضغط التي لا تؤدي إلى الانفجار بل إلى الهزيمة ٠ كما يلجأ إلى التوازي الدائم مع التاريخ العربي " ثم انهم قدموه للخليفة الغضبان ، وأمر بجلد بقرة فوضع الفتى فيه وخيط عليه ٠ وأمر الخليفة بنار فأوقدت ، وأمر بالفتى فرمي اليها" ؛ فالرؤية بكليتها تجري في حلم ٠ ولذلك ، لا قيمة للزمن ، فحياة " عربي" حلم مرعب ، ينتقل من صورة إلى صورة ، ومن حدث إلى حدث دون أن يشارك في صنع القرار (٢) ، اذ نكاد أن نعد سبعة أحلام في الرواية (٣) ؛ والحلم في علم النفس يمثل حالة ولادة جديدة بالنسبة للشخص المأزوم ، الذي يعيش ظروفا" قاسية؛ فالأحلام تعبير عن نشاط حركة اللاشعور ، وهي حالة إشباع كاذب لرغبات مكبوتة لا يستطيع المرء إشباعها فتمثل بذلك حالة تفريغ لطاقات التوتر الناتجة عن معاناة اليقظة ٠ ولما لم تستطع الأحلام تلبية رغبات سبول الحقيقية ، لجأ إلى الحل وهو الانتحار ٠ بعد أن أضحى جو الرواية عالما" سديميا" ، وأصبحت الحياة – كما يقول كافكا – كابوسا" حقيقيا" (٤)٠

ولعل قصة هروب البطل ولجوئه إلى الانتحار عولجت في القصة العربية في اكثر من عمل ، فمثلما فعل – عربي – فعل الدكتور فالح في رواية

---

١٠ غالب هلسا ، أدباء علموني ، أدباء عرفتهم ، تحت الطبع ٠

٢٠ الياس خوري ، تجربة البحث عن أفق ، ص ٧٨ ٠

٣٠ محمد عطيات ، القصة الطويلة ، ص ١٥٨ ٠

٤٠ كولن ولسن ، فن الرواية ، ص ٢٥٦ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" السفينة " لجبرا ابراهيم جبرا ، عندما أحس بأزمة التاريخ ، وضياع هوية قومه واحتلال أرضه ، فآثر العودة إلى التراب رافضا" زمن القتل ، وخيبة الأمل ، وضياع الحلم ، وتشوهات الإنسان ٠ وهذا ما حاول أن يفعله " عناد الشاهد " بطل رواية " أحياء في البحر الميت " لمؤنس الرزاز ٠

وبعد ، فإننا نلاحظ أهمية هذا العمل على صعيد الرواية الأردنية والعربية الجديدة من حيث المضمون ذو الطابع السياسي الواضح المعالم ، ومن حيث البناء الفني الذي يقترب كثيرا" من " غريب " كامو ، و"غثيان " سارتر ، و"قضية" كافكا رؤى وشكلا" وفلسفة ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلاصـــة

تحمل رواية " أنت منذ اليوم " مضمونا" سياسيا" واضح المعالم ، وكأننا إزاء مقالة سياسية تتراوح ما بين الراوي حينا" والكاتب حينا" آخر ، الأمر الذي حدا بالكاتب إلى اتباع نمط روائي جديد لا يخضع للشكل الروائي التقليدي ٠

أدرك تيسير سبول أن ثمة خللا" يتبدى في بناء الرواية ، إذ انها رواية قوامها الأفكار والذكريات فجاء السرد غير منظم ، وجاءت الأحداث غير نامية تصاعديا" فلم يربطها خيط درامي واحد ، ولم ينتظمها زمان واحد أو مكان واحد، ولم تتطور الشخصيات عبر العمل ، فلم نر بداية ونهاية للشخصيات (ماعدا عربي) عبر تطور درامي صاعد ٠ ولعل مرد ذلك كله إلى اعتماد تيسير سبول في هذه الرواية المقولة السياسية والتركيز عليها من جانب، واستخدامه أسلوبا" روائيا" جديدا" لا يحفل بالشكل التقليدي وتكنيكه من جانب آخر ٠

ولكن ، وأيا" كان الأمر ، فإن السياسة تركت آثارا" بيّنة على الشكل الفني للرواية ؛ فلم تدعها تولد الولادة الطبيعية في ظروفها الموضوعية ، فكانت المقولة السياسية هدفا" وخيارا" موضوعيا" ، الأمر الذي أدى إلى عدم تماسك الرواية ،وغياب الشخصيات النامية – بأستثناء عربي – عن الرواية ، وعدم التركيز على قضية مركزية واحدة تشكل بؤرة العمل الرئيسة ، وبالتالي عدم وجود حبكة رئيسة تشد النص والقارىء على حد سواء ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطريـــق إلى بلحـــارث :
الدراسة الفنية :

عبرت رواية " الطريق إلى بلحارث " عن تجربة إنسانية كبيرة يعيشها الآلاف من المعلمين ، ولكن العمل لم يعكس هذه التجربة بصورة عميقة على صعيد اللغة والشخوص والعلاقات ، إذ لم تقم الرواية / الرواي روابط وعلاقات جدلية بين أبطال العمل ، فلم تكن شخصية عماد معبرة عن واقعه إنسانيا" وفنيا" ؛ فبدت شخصيته نمطية عادية ، ولم تكن علاقته بمنصور – ابن صفّه ومعهده وحارته وغربته وحبيب أخته – علاقة تعبر عن هذه الخصوصية ، بل جاءت علاقات فاترة لم تعكس ما ينبغي أن يكون عليه الحال لغة وبناء" وتطورا" في الشخصيات ، ولعل مردّ ذلك كله إلى قلة خبرة جمال ناجي في هذا المضمار ؛ إذ إن هذه الرواية هي العمل الأول له ، وعلى الرغم من ذلك تبقى هذه الرواية لبنة مهمة في مدماكية البناء الروائي الحديث .

استأنف جمال ناجي في " الطريق إلى بلحارث " الرحلة التي بدأها غسان كنفاني في روايته " رجال في الشمس " . فعندما توقف كنفاني على تخوم الصحراء، توغل جمال ناجي في صحراء بلحارث ، فالبداية كانت بعد حرب حزيران وترك الوطن والانتقال إلى جحيم المخيم ، ثم التفكير بالخلاص من هذا العذاب والانطلاق نحو السعادة ؛ فالسعادة تتمثل بالرحلة (الانتحار) إلى صحراء دولة عربية نفطية حيث تتكدس الريالات كأكوام الكتب التي قرأها عماد ... وينتهي الأبطال في الروايتين " رجال في الشمس " و " الطريق إلى بلحارث " النهاية المحققة المتمثلة بالموت . ويبقي غسان كنفاني أبا الخيزران ، ويبقي جمال ناجي عمادا" والأستاذ علي وزوجته لإعلان هذا الموت من جهة ، ولإبقاء امتدادهم تطلعا" إلى الأمام من جهة أخرى (١) .

إن دوافع منصور بالسفر ليست اقتصادية فحسب ، بل هي دوافع سياسية واجتماعية وإحباط جنسي كذلك ، فهي دوافع مركزية تودي به إلى الموت مصابا" بالحمى في لهيب قرية بلحارث بعيدا" عن أرض الوطن . كما نلحظ وعي عماد المبكر بقراءة الكتب والاهتمام بالظروف السياسية . فقد هرب كل من عماد ومنصور من التجربة السياسية إلى لهيب الصحراء بحثا" عن الرزق .

١. غسان عبد الخالق ، الزمان ، المكان ، النص ، ص ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تحفل الرواية بشخصيات نموذجية ومتطورة فنيا" ، بل جاءت شخصيات عادية يداهمها الخوف من الحمى وفقدان الوظيفة ، وتحاضرهم الصحراء والوحدة والغربة من جانبها الآخر ، ولم نلمس تطورا" فنيا" متوازيا" بين الصديقين عماد ومنصور ٠

جاءت الرواية بسيطة في حكايتها ، بعيدة عن التعقيد الفني ، فهي تحمل أطروحة حقيقية لمن يذهبون إلى الصحراء العربية سعيا" وراء تأمين حياة أفضل، وتبديل سقف البيت من الحديد البارد شتاء ، اللاهب صيفا" بسقف من الاسمنت يحفظ لهم إنسانيتهم ٠ فلجأ جمال ناجي إلى تقنية الاسترجاع لربط أحداث الرواية، إذ بدأ من عمان في منتصف السبعينات وربطها بأحداث حرب حزيران ١٩٦٧ ونتائجها مستخدما" لغة سردية عادية عكست بساطة الفكرة نفسها ، وعدم تأجج حالة الشخوص ، وقلة توتراتها ، وعدم التقيد بعنصري الزمان والمكان ، واعتمادها على الحوار الداخلي لدى الشخصيات ٠ فإذا علمنا أن تيار الوعي تقنية فحسب ، فإننا نلمس واقعية جمال ناجي واضحة في هذا العمل عبر تجربته الخاصة المتمثلة بوجود مكان وزمان حقيقيين دارت فيهما الأحداث على وجه الحقيقة – فـ " بلحارث " مكان في منطقة القنفذة في السعودية ، والزمان في عهد الازدهار الاقتصادي / النفطي في أواخر السبعينات والرحلة إلى هذه البلاد من أجل العمل في قطاع التدريس ، وهي تجربة عبر عنها كذلك الروائي والشاعر إبراهيم نصرالله في "براري الحمى " في المنطقة نفسها ٠ وعلى الرغم من ذلك ، فقد حملت الرواية مضامين أيدولوجية وسياسية وأخلاقية واجتماعية ٠

لقد حملت الرواية هموم الإنسان العربي – وإن كانت لشريحة اجتماعية واحدة – فقد استطاع الكاتب رصد هذا الواقع بصدق وحيوية نابضة من خلال ربط أحداث الحاضر بالماضي عبر تقنية التداعي ، والعودة إلى الماضي قبل حزيران ؛ إذ إن تحمل المشقة والإهانة والغربة ناجم عن البعد عن الوطن (المخيم) ولو كان ذلك مؤقتا" ، لأن الوطن العربي لم يعد وطنا" لكل العرب كما رسمه بطل " العودة من الشمال " لفؤاد قسوس ، بل أصبح ينظر إلى القادم – ولو كان عربيا" – على أساس العمالة الوافدة من أجل تحقيق الكسب ،وهذا ما تؤكده " نادية " خطيبة عماد، إذ تشكك بالدور الإنساني والرسالة التي يؤديها هؤلاء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الناس حيث الصحراء التي يفقد فيها الإنسان إنسانيته ، وتصادر منه مشروعية التفكير بالنضال والتطلع نحو الوطن المحتل ، وتبني طروحات سياسية قد تبدو غريبة عن ذلك المجتمع ٠

لقد رصدت " الطريق إلى بلحارث " الإنسان العربي الفلسطيني من حيث واقعه السياسي والحياتي البائس ، وبحثه عن تشكيل شخصيته كإنسان له الحق في الحياة عن طريق الخبز المر بعد أن سُدّ الطريق نحو الغرب وسُمح له بالتوجه جنوبا" (١) ٠

وثمة شخصيات أخرى في النص ، مثل بعرة المراة السوداء ، صاحبة المقهى وابنتها دخنة التي تجتذب سائقي الخط عن طريق غير أخلاقية ، والشيخ أبو حربان وظفرة راعية الأغنام في القنفذة / رمز الجنس ، وعلى الرغم من لونها الأسود إلا انها كانت تجتذب أهل البلدة وبخاصة منصور ٠ وتبقى هذه الشخصيات مسطحة عادية لا تؤثر في العمل أو تحدث انكسارات في تطور الشخصيات ، وإنما جاءت لتقوي دور الأبطال الرئيسيين كعماد ومنصور ، إضافة إلى دور " نادية " التي عرفناها في المطار ومن خلال رسالة موجهة إلى خطيبها عماد٠

ويشير إبراهيم خليل (٢) إلى المكانة الخاصة التي تتبوأها رواية " الطريق إلى بلحارث " في أدب البرجوازية الصغيرة لدينا ، لما تتميز به من كثافة النص ، ووحدة الشخصية ، والدلالة ، وتجانس الأشخاص ، وانتمائهم لشريحة اجتماعية واحدة وهي شريحة المثقفين ، إضافة إلى أسلوب شفاف يمتاز بدفء الشعر ، وحنان النثر القصصي ٠

---

١٠ عيسى قويدر العبادي ، الغربة في الرواية الأردنية ، غير منشور ٠

٢٠ ابراهيم خليل ، الرواية في الأردن في ربع قرن ، ١٩٦٨ -١٩٩٣ ، ط١، عمان ، ١٩٩٤ ، ص ٤٢ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقـــــت :

نتلمس في رواية " وقت " لجمال ناجي الواقع الموضوعي والحقيقي لتشكّل المخيم الفلسطيني بعد النكبة (مخيم عقبة جبر/أريحا) في ضوء علاقات إنسانية قامت على التشوّه على صعيدي الجماعة والفرد ، واستمرار تشوه هذه العلاقة الخاصة بالمكان / المخيم ، مما أحدث وعيا" يتطلع إلى الخلاص عن طريق الحرب مع العدو الإسرائيلي من خلال رموز النضال القومي المتوخى منهم النهوض بهذا الدور (عبدالناصر) وحليفه الاتحاد السوفياتي آنذاك . وعلى الرغم من لا معقولية هذا الخلاص وصعوبته ، يستمر الأمل يحدو هؤلاء الناس (سكان المخيمات) للنهوض بهذا الدور والوصول إلى لحظة الخلاص .

تعد " وقت " وهي العمل الثاني لجمال ناجي أكثر نضجا" على صعيد البناء الفني من خلال استخدام تقنيات فنية عديدة مثل التقابل بين الشخوص : أبو منير الكسار رمز الفئة الشعبية النبيلة ، وأبو نبيل الجسر رمز الفئة النفعية الانتهازية ، وامتدادهما منير ونبيل ، واستخدام تقنية التداعي والمنولوج اللتين تشكلان شخصية منير الكسار ؛ إذ إن الماضي صورة حاضرة مليئة بالإهانة والذل في حياة منير (سنلتقي يوما" يا نبيل الجسر ، سأشعلها ، سنشعلها ، سنتقاتل في الحارات ، وعلى أبواب المنازل ...) هذه الصورة التي يعيشها منير الكسار، فلحظة انتصاره على نبيل الجسر هي أغلى أمانيه ، ولا تشكّل حرب حزيران وشبحها أو حبه لإبنة الجيران حالة قلق أو لحظة تأجج ، ولذلك لا نلحظ تطورا" فنيا" على هذه الشخصية، . وتبقى حبيسة حلم الانتقام .

كما نلاحظ تطور الزمان الصاعد في العمل عبر تسلسل زمني نام ، يبدأ من الطفولة والمدرسة ومرحلة الشباب وقيام الحرب الحزيرانية ، وهروب أسرة الجسر بعد مقتل الشاروط وتأديب نبيل . ولكننا لم نلحظ تطورا" فنيا" على صعيد الشخوص وما تحمله من أفكار باستثناء الخط الذي يمثله " شهاب " رمز الثورة الفلسطينية الناشيء حديثا" . فقد رسم جمال ناجي طفولة غير عادية لـ شهاب ، تميزت بالرفض والتمرد والعنف والشجاعة منذ أن كان صغيرا" في المدرسة إلى أن بدأ بتوزيع المنشورات السرية وانتهاء" بتصفية الشاروط مساعد أبي نبيل الجسر .ولم يستطع أن ينمذج شخصيات روائية ، فبدت شخصياته مختزلة منغلقة على ذاتها ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وركزت في كثير من الأحوال على انفعالات أطفال ، إذ تمثل ذلك في انتصار منير على نبيل الجسر، ذلك الألم الذي ما فتىء منير يعيشه طوال حياته.

لقد أفلح جمال ناجي باستخدام لغة روائية شاعرية معبرة تتناوب ما بين السرد حينا" والحوار أحيانا" أخرى " إيه يا رواية المساء ، والدم خر من وجه ابنتك الذي غدا شاحبا" ، واذا غابت عن الوعي تهاوى جسدها كثوب سقط عن مشجب ، وأنا لم أستطع أن أفعل شيئا" ، أنا العاجز عن إنقاذك ، العاجز عن إنقاذ رأسي من الدوار الذي أصابه "(١) .

تأتي رواية جمال ناجي الثانية " وقت " استمرارا" للنهج الواقعي الذي سار عليه في روايته الأولى " الطريق إلى بلحارث " . وهنا يصور ، وبواقعية دقيقة ، حياة الناس في المخيم ؛ هذا المكان الذي يضج بالازدحام والفوضى وما ينجم عنه من مشكلات أخلاقية ، والأوساخ في حاراته ، وحفر الماء وسط شوارعه ، وانتشار محلات البقالة ، وكثرة الذباب ، وانعدام الخدمات الاجتماعية. إنها نقل للواقع اليومي لحياة النازحين عن أوطانهم في المخيمات البائسة ؛ فشبح المخيم / المكان لا يغادر أعمال جمال ناجي ، هذا المكان رمز البؤس والشقاء ، فقد أبرز اهتمامه بالهم الجماعي والسرد تاركا" الاهتمام بالفرد جانبا" ، كما يركز على الحوارات الثنائية التي تهتم بالفرد (٢) .

فالإنسان العربي قادر على الصعيد الفردي على المواجهة والتحدي ، في حين فشل النظام العربي في مواجهة الخطر الصهيوني عام ١٩٦٧ ، وخرجت الأمة مهزومة . فقد استطاع منير الكسار الانتصار على نبيل الجسر (٣) ،ولكنه لم يستطع القضاء عليه . ولذلك ، فقد بقي منير في الخاص ولم يتجاوز إلى العام (العمل الفدائي) . واستطاع شهاب قتل الشاروط (الذيل) ، ولم يقتل أبا نبيل الجسر (الرأس) .

١. جمال ناجي ، وقت ، ص ٩٧ .
٢. غسان عبدالخالق ، الزمان ، المكان ، النص ، ص ٤٩ .
٣. نبيل حداد ، الرواية في الأردن في الثمانينات : دراسة في البنية ، مجلة أبحاث اليرموك ، المجلد ٧ ، العدد ٢ ، ١٩٨٩ ، ص ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأيا" كان الأمر ، فقد جاءت " وقت " علامة بارزة في المسار الروائي شكلا" ومضمونا" ، وتركت بصمات واضحة على خارطة الرواية الأردنية ، وهي تشهد دون شك على امتلاك الروائي لأدواته الفنية ومقولته الايدولوجية ، فقد ترك " شهاب " حرا" طليقا" رمزا" لاستمرار الثورة الفلسطينية ، وبقى دم " العتيق " شعلة تؤجج الثورة . وبالتالي فهو هاجس سياسي ما فتىء يطارح خيال الكاتب ، وإن لم يعمّق هذا الخطاب بل وخزه وخزا" فحسب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مخلفات الزوابع الأخيرة :

الدراسة الفنية :

يقوم جمال ناجي في " مخلفات الزوابع الأخيرة " ببناء مجتمع مديني جديد من خلال إبدال الواقع بعالم متخيل يؤسطر له عبر إعادة ترميم المكان – ولعله المخيم – إذ يقيم شبكة علاقات تمتد ثلاثة أجيال (عثمان أبو بركة وسبلو الغجري – حامد أبو بركة – سلمان أبو بركة وأخوه جبر ، نزار أبو خنجر ، عرقي وهاجار) وإبقاء سبلو الغجري حيا" للدلالة على أسطرة الزمان . فهو بذلك يحاول نفي الواقع الحقيقي لهذا المجتمع المتخيل . وأعتقد أن محاولته تلك لم تنجح والسبب في ذلك يعود إلى التفاصيل الكثيرة التي أضفاها على هندسة المكان وإقامة معالمه ، الأمر الذي يدعونا إلى رؤية هذا المكان في غير مكان واحد في مجتمعنا أو قريبا" منه . ولهذا ، نرى أن جمال ناجي يحرص كثيرا" على هندسة المكان / المخيم في هذه الرواية على عكس المكان / المخيم الذي كان يؤرقه في روايته " وقت " فيرسم صورته قائمة بائسة تخنق الأنفاس .

تاتي محاولة جمال ناجي الروائية هذه رائدة في مسيرة الرواية الأردنية؛ إذ إن قلة من الروائيين ممن اقترب من هذه المهمة الصعبة المتمثلة بإنشاء مدينة كاملة، ولعل أبرزها " مدن الملح " لعبدالرحمن منيف،وزياد قاسم في " أبناء القلعة ".

تستند " مخلفات الزوابع الأخيرة " إلى تيار الواقعية السحرية من حيث العناصر والعلاقات ، إذ تقوم على إقامة مكان أسطوري اعتمادا" على فكرة النشوء والعمران ، وزمان ملحمي اعتمادا" على فكرة تصرم الأجيال . وهذا يستدعي من الروائي تفاصيل ودلالات كثيرة جدا" لملء هذا الزمان الممتد عبر أجيال ثلاثة ، ولو أسقط مكانا" بعينه على المكان المتخيل لأصبحت من دون شك تنتمي إلى تيار الواقعية ، إذ يقوم الكاتب بصنع الشخصية بيديه ، وينفخ فيها الروح ، كما يهتم بالتركيب الداخلي للشخصية ، وأثر الوراثة والعادات والأفكار المكتسبة ، والتفاعل مع البيئة المحيطة من أشياء وأشخاص وحوادث (١) ، إذا إن اعتماد الرواية على الواقع قضية معقدة للغاية ، فواقعية الرواية تبدو جزءا" من الوجود الإنساني (٢) .

---

١. لمزيد من التفاصيل (الواقعية) أنظر : محمد يوسف نجم ، فن القصة .

٢. ميشيل بوتور ، الرواية ، ترجمة حسين جمعة ، مجلة أفكار، العدد ٤٠ ، ١٩٧٨ ، ص ٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذلك ، فقد أغرق العمل بتفاصيل المكان منذ أن كان الوادي مسرحا" للصوص الجبل إلى أن استوى مدينة جديدة كبيرة ، تتوافر فيها كل الخدمات الضرورية والكمالية ، وسرعان ما تأجج الموقف بين الاقطاعي معروف المعروف والفئة البرجوازية (سلمان أبو بركة ، نزار أبو خنجر) التي تنظر إلى مصالحها أولا" وبين سكان الوادي ، ثم يتحول هذا الشكل الاحتجاجي إلى عمل سري يقوم على حرق الجرافات في الوادي ، ولعلها بذلك أشبه ما تكون بلحظة احتجاج سياسي ضد الطبقة النفعية المستغلة .

لقد جاءت " مخلفات الزوابع الأخيرة " رواية تقليدية في بنائها من حيث اعتماد الروائي على تقنية السرد التي احتلت كل فصول العمل تقريبا" خلا مشهد حواري يتيم جاء في مقطع " اللقاء ص ٢١٣ – ٢١٨ " بين نزار أبو خنجر وسلمان أبو بركة ، إذ أراد الكاتب الكشف عن هذه الشريحة الانتهازية وكشف حقيقتها المضللة . كما رافق ذلك نمو الشخصيات وتطورها بغض النظر عن سلبيتها أو إيجابيتها (جبر ابو بركة ، وهاجار) فهاجار تطورت شخصيتها من غجرية بسيطة إلى امرأة عصرية حتى في عاداتها وأخلاقياتها ، لم تكن تأبه بشيء ، فقد أصبحت امرأة مختلفة عن كل نساء الوادي . وسبلو الفأر انتهت شخصيته كما بدأت دون أي تغير يذكر على الرغم من معاصرته أكثر من جيل في هذا الوادي ، كما بقي كياز الغجري على حاله قاسي القلب مفتول العضلات إلى أن دخل السجن . فسبلو الفأر وكياز الغجري شخصيتان مسطحتان غير ناميتين في هذا العمل .

لقد جاءت لغة الرواية يومية عادية سردية تتناسب مع الشخوص / أناس عاديين غير مثقفين يحتلون شريحة من مجتمع غجري يسعى إلى تكوين مجتمع مديني جديد ، الا انه استخدم بعض المفردات المعجمية لتخدم المقام الذي جاءت من أجله (وشيج ، أكهب ، أسفع ، أعكام ... الخ)* .

يطرح جمال ناجي أسئلة الواقع من خلال المعاناة التي عاشها في " الطريق إلى بلحارث " ، وهي تجربة شخصية وحقيقية . أما في " وقت " و

---

* وشيج : سير الإبل السريع ، أكهب وأسطع : السواد المشوب بحمرة ، الأعكام ومفردها عكم : هو العدل الذي يشد على الهودج (لسان العرب).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" مخلفات الزوابع الأخيرة " فهو يرسم صورة مجتمع عاينه وخبره ، وهو شاهد عليه ، بل نراه أحيانا" طرفا" في النزاع والصراع من خلال استخدام ضمير الغائب، وتوزيع الأدوار على الشخوص . وفي هذا السياق ، يقول جمال ناجي في شهادته الروائية : " من المهم أن أذكر ، بأنه على الرغم مما أثارته روايتي الأولى " الطريق إلى بلحارث " من آراء وأسئلة حين صدورها عام ١٩٨٢ ، إلا أنني الآن أرى تلك الرواية البكر ، أشبه بزهرة برية بريئة لم تحقن بالأسمدة الكيميائية ، ولم تلوث بدخان التعقيدات التقنية . بلحارث تمثل براءتي الإبداعية الأولى لفهمي مسألة الحداثة التي تطورت في روايتي " وقت " و" مخلفات الزوابع الأخيرة " هكذا تبدو أكثر جلاء " "(١) .

فهذه الشهادة تعكس بجلاء صدق الروائي من حيث التطور الذي أصاب نتاجه الروائي ، فقد بدت " بلحارث " رواية تقليدية عادية لم تستفد من التقنيات الحديثة ، بل اعتمدت السرد والحوار والاسترجاع بعيدا" عن تعقيدات الحداثة . في حين نلمس تطورا" في روايتيْه التاليتيْن على صعيدي الشكل والمضمون ، والإفادة من التقنيات الحديثة ، وطرح الرؤى السياسية بصورة أوضح وأعمق .

إن روايات جمال ناجي من أكثر الروايات الأردنية انتماء" إلى التيار الواقعي بأطيافه المختلفة ، إذ تتصل الرواية الأولى " الطريق إلى بلحارث " بتيار الوعي ، وتتصل الروايتان الأخريان " وقت " و " مخلفات الزوابع الأخيرة " بتيار الواقعية السحرية . فتيار الوعي يهتم بالبوح ورصد الفعل وتصوير اللحظة بكل تناقضاتها وغموضها وأحاسيسها وأفكارها العابرة ، أما الواقعية السحرية فهي تهتم بأسطرة المكان والزمان الملحمي وتفاصيل كثيرة جدا" . ودلالات متعددة لملء الزمان والمكان .

لقد ترك جمال ناجي بصمات واضحة في مسار الرواية الأردنية ، ولم يكن ضيفا" على هذه المسيرة . فقد لمسنا تطورا" متصاعدا" وناميا" في أعماله الروائية الثلاثة ، ولكن لم يرق الهم السياسي إلى مستوى الطموح المأمول ، ونحن بانتظار أعمال أخرى ترقى إلى مستوى الرواية الجديدة التي حققها مؤنس الرزاز وإبراهيم نصرالله وآخرون .

---

١. غسان عبدالخالق ، الزمان ، المكان ، النص ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلاصـــة

لم تحفل روايات جمال ناجي الثلاث (الطريق إلى بلحارث ، ووقت ، ومخلفات الزوابع الأخيرة) بقسط وافر من السياسة وهمومها وآثارها ، بل جاءت رواياته ضمن رؤى الكاتب الواقعية التي عاشها في " بلحارث " حيث لهيب الصحراء وحمى الموت في رحلة البحث عن السعادة المزعومة ، أو في نقل صورة الحياة لدى القاطنين في جحيم المخيمات الفلسطينية إثر نكبة حزيران ١٩٦٧ ، أو في بناء عالم مدينيٍّ متخيّل في الوادي الجديد ضمن أسطرة الزمان وتصرّم الأجيال . ولهذا ، فقد جاء الخطاب السياسي بأسلوب غير مباشر تمثّل بالإشارة إلى التطلع للحرية ، وتحرير الأرض المغتصبة ، وبداية انطلاقة العمل الفدائي ضد العدو الإسرائيلي .

لم يتأثر الشكل الفني في الروايات الثلاث بالعوامل السياسية كما كان الحال لدى تيسير سبول ، إذ اعتمد جمال ناجي الشكل التقليدي للرواية من حيث السرد ، والتمركز الروائي ، ونمو الشخصيات ، والحوار ، والتطور الصاعد للزمان ، وتحديد المكان ومسرح الأحداث ، فقد اتسمت روايته الأولى " الطريق إلى بلحارث " بالواقعية ، فيما برز تيار الوعي واضح المعالم في تداعيات الشخوص في رواية " وقت " ، وفي رواية " مخلفات الزوابع الأخيرة "،واعتمد جمال ناجي تقنيات فنية جديدة لم يوظفها في روايتيْه السابقتيْن كفكرة تصرّم الأجيال وأسطرة المكان ، فكانت الرواية من الأعمال ذات السوية الفنية الجديدة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحياء في البحر الميت :

يقول بلنسكي :

" إن عصرنا سوف لا ينحني الا للفنان الذي تكون حياته التعليق الأفضل على إبداعه ، وإبداعه التبرير الأفضل لحياته " ٠

ولعل الرزاز من هؤلاء الذين ينتمون إلى هذه الشريحة ، إذ لا تستطيع أن تفهم أدبه وإبداعه إلا بالولوج إلى حياته بأبعادها ، ولا تستطيع أن تفهم حياته الا إذا قرأت إبداعه ٠ولذلك ، نجده يختلط بأبطاله ، فكأنك تعرفهم ولا تعرفهم ، قريبون بعيدون ، أو بعيدون قريبون ٠

إن " أحياء في البحر الميت " هي النموذج الأكثر تقدما" من بين الروايات التي ظهرت في الأردن على صعيد بنائها الفني ، بل إن معمارها الفني تجاوز المألوف ، وخرج على القواعد التقليدية ؛ لأن هذا العمل يناسب هذه المرحلة المنهارة التي يتشظى فيها كل شي ، وتحاصر الحرية والديمقراطية وكرامة الإنسان- ٠ هذا إلى جانب غناها فكرا" وتحليلا" (١) ٠

لقد خرجت " أحياء في البحرالميت " من وسط الدمار والموت ووقوف الثائر الفلسطيني / اللبناني في وجه القمع الاستعماري ، وجاءت مع خروج المناضلين من بيروت عام ١٩٨٢ ، وهي بذلك تؤكد تواصل النص الروائي في الأردن مع النص الروائي العربي ٠ إذ تعد الرواية من الإعمال الأدبية المهمة على صعيد الفنون الأدبية التي تحتل مكان الصدارة في هذه الفترة ، كما تأتي أهميتها لتنقذ الرواية الأردنية من دخول قصص طويلة اليها بإسم روايات (٢) ٠

في هذا العمل – أحياء – ينقضّ الكاتب على الشكل التقليدي للرواية فيفتتها ويخلط الأوراق والأدوار عاكسا" بذلك الواقع العربي المشظى والمفتت سياسيا" واجتماعيا" ٠ ويلجأ إلى ذلك من خلال مزج السيرة الذاتية بالسرد وأسلوب السواقعية التسجيلية والتضمين والتقطيع السينمائي والتعليق على العمل من الداخل ٠

---

١٠ خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، ص ١١٦ ٠

٢٠ عبدالله رضوان ، في الرواية الأردنية ملامح واتجاهات عامة ،مجلة أفكار، العدد٧٦، ١٩٨٥ ، ص ٣٦ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والإحالة إلى أعمال أدبية أخرى وتطعيمه بلغة المقامات والهذايانات والأدب الانتقادي وأسلوب البحث والنقد الأدبي (١) . كذلك يضفي على العمل وضوحا" وواقعية على عكس ما يتوهم الآخرون الذين يتناولون النص من الأعلى أو من الخارج لا من العمق ، إذ توضح التجربة السياسية المجهضة – عناد الشاهد – وعلو وتيرة القمع وانهيار الحلم ، وهبوط مد الثورة في بيروت الحلم ، فقد إبدع الرزاز في رسم واقع موازٍ للواقع الموضوعي ، ولصراحته الفائقة في الحديث عن تجربته الروائية ، وتحميل بطلها – عناد الشاهد – نتاج مرحلة استنفذت نفسها وانهارت وتجاوزها الزمن ، إذ يحمل هذا البطل صفة الإنسان المحطم المفجوع بأحلامه المنهارة في مرحلته وزمانه ؛ فالواقعية لا يهم ما إذا كان الفنان قد لاحظها في الحياة أو خلقها من خلال التخيّل من التجربة المباشرة أو غير المباشرة كما يقول لوكاتش(٢).

إن أبطال الرواية شخصيات مأزومة تعاني ؛ فالانهيار يعم كل شيء ، فعناد الشاهد بهروبه وعجزه وإدمانه ، ومثقال بحلمه وتناقضاته وعجزه ومرضه بالقلب ، والرائد بجنونه وذهابه إلى مصح الأمراض العقلية ، وسوزي بانحرافها وإقبالها على الحياة وممارسة الخيانة والشهوة ، والنقيب بنتهك حرمة " كفى" حبيبة عناد ورمز الوطن . إنه حاضر يضج بالخراب والموات ، فالإدانة تلحقهم ما عدا مريم والغزاوي اللذين يقاتلان في بيروت وعلى الحدود مع العدو الإسرائيلي ، وهما اللذان لم تتعبهما الزنازين والسجون والمعتقلات والمظاهرات ؛ إنهما الرمز الفاعل والمبشر في هذا البحر الميت ، إنهما الثورة في بيروت الفعل والنضال ؛ إنها مدينة الحلم .

وعندما يدرك الأبطال خيبتهم السياسية وعقمهم يستسلمون مرة واحدة لرؤاهم الذاتية الضيقة وتصوراتهم الفردية القاصرة بالتجائهم للمرأة والشراب طريقا" للخلاص ، وتتولّد لديهم الرغبة في تدمير العالم استجابة لأزمة البطل

---

١. فخري صالح ، وهم البدايات ، مرجع سابق ، ص ص ٨١ –٨٢ .

٢. عبدالرزاق عيد ، دراسات نقدية في الرواية والقصة ، ص ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاصة ، ولفعل مركبات النقص في نفسه حين يعجز عن استيعاب الواقع وفهم حركة الصراع فيه . وحينئذ ، يصبح غريبا" عن المجتمع ، ويفقد كل صلة له فيه؛ إذ إن العلاقة بين اكتساب الوعي وأزمة المثقف علاقة جدلية بمعنى أن ازدياد وعيه يخفض من أزمته .

فـ عناد شخصية استثنائية ؛ لأنه يمثل رمزا" للنخب الاجتماعية ، ولأنه حساس كالمرض ، ومتطرف مثل الطقس الذي يثور على قوانين الطبيعة (١) ، فهو من الشخوص المتألقة التي لا ينطفىء وهجها وخيالاتها ، بل تحيا وتعيش حتى تصبح رموزا" إجتماعية .

نلاحظ في هذه الرواية تطور الشخصيات عبر مراحلها باستثناء البطل الرئيسي " عناد الشاهد " ، إذ لا نكاد نلمح صفاته الا تلك الإشارة التي تصفه بالانتماء إلى طبقة برجوازية ، فعناد الشاهد في ضياع دائم ، فلا ماضٍ ذو جذور، ولا مستقبل يمسك ببدايته ، لأنه يدور خارج عالم الرواية . فنكاد نحس شخصيته مليئة بالتناقض ، عالم مليء بالدهشة والعجز والبراءة والجنون ، إنه يعبر عن مجمل حركة الأبطال ، أو إنه الشعب في صوره الأخرى " إنه الرجل العاجز في الفراش ، بل هو رفيق الغزاوي في القتال ، ومثقال في الدهشة .. إنه العاطل عن العمل ، إنه الذي تخونه كفى مع النقيب الذي يستجوبه ، إنه الذي يدعي عضوية كاذبة في الحركة ، إنه الذي يركض وراء الناس ليلا" كالمجنون منفوش الرأس ، ملهوجا" ، ويصرخ : لم أقتل فرج الله ... ، إنه السكير مدمن المخدرات ، إنه المناضل السابق ، إنه عاشق بيروت " (٢) .

تتميز " أحياء في البحر الميت " بمستويين من اللغة ، مستوى خاص بسيال الذاكرة الذي يستعيده بواسطة السرد والسيرة الذاتية والاسترجاع لمعرفة الحدث الواقعي ؛ وهي لغة عادية تنقل الحدث مباشرة بعمق ووضوح ، ومستـــــــــوى

---

١. أحمد المصلح ، البطل النقيض في الرواية الأردنية ، مجلة افكار، العدد ٧٤ ،١٩٨٥ ، ص ٦٩ .

٢. الرزاز ، أحياء في البحر الميت ، ص ص ٢١ -٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثان يستعيد الحدث بأسلوب فانتازي يقوم على الحلم والهذيان والتحليق ، وهو ما يمثله " عناد الشاهد " في حالة تعاطيه المخدرات والكحول في أثناء وجوده في غرفته معزولا" عن العالم (١) ، وهي لغة صوفية حالمة قادرة على الحلول والانعتاق " ولم يزل يمشي وأتبعه ، فلا صوت سوى خطوات ، ووقع خطوات تقع ، ثم وقفنا على قمة الجبل الناهض على كتف المدينة ، فإذا خيمة يشع منها ضياء باهر ، أوما الشيخ العملاق بوجهه أن أدخل فدخلت ... لا .. وقفت بالبات مبهورا" فإذا بي إزاء امراة وجهها وجه هالة البدر ، وصدرها صدر النهار، كانت جاثية تتدثر بثوب أبيض مديد ... وإذا بالمرأة تومىء لي وتستدنيني ... و ضياء وجهها على وجهي كأنه شعرها ، قالت بصوت ليس كالصوت ...قالت بصوت صلاة داخلية : أنا زاهدة .. أنبأني الغيب أنك ستقصد يوما" مدينة فجور ، ولكنك ستدرك مدينة لم تتصورها كذلك " (٢) .

ونلاحظ تداعيا" واضحا" في لغة العمل – أحياء – فيختلط المكان والزمان ، ولا ندري ما المكان وما الزمان في عالم يسوده الموات ؛ إنه الوطن العربي المسكون بالموت / الخيبة ، ويبدو الهمس نوعا" من الحركة في هذا المكان الميت " أهرب من الحدود إلى الحدود ولا أتخطى ... لكن لا حدود ، ولا تحت ولا فوق ، لا يمين ولا شمال ، إذ لا مكان ... ومنذ متى ؟ لا جواب ، إذ لا زمان ، إذن من أين يأتي هذا الهمس ، حفيف أصوات تتآمر علي ، تتواطأ ضدي ... ومع ذلك أتشظى "(٣) .

كما يستخدم التذكر أيضا" " غير أني حمدت الله ، كان يمكن أن أعثر على نفسي منبطحا" وسط شارع مزدحم ، وقد تحلّق الناس حولي (٤) " إنها حالة خاصة تعكس صورة " عناد " من الداخل بكل قلقه وتأزّمه .

---

١. غسان عبدالخالق ، الزمان ، المكان ، النص ، ص ١٦ .

٢. الرزاز ، أحياء في البحر الميت ، ص ١٣٢ .

٣. الرزاز ، أحياء في البحر الميت ، ص ٣٩ .

٤. الرزاز ، أحياء في البحر الميت ، ص ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا أغالي إذا قلت إن " أحياء " هي رواية المكان والأشخاص فحسب ؛ لأن بيروت مدينة الحلم / الفعل زمن الثورة ، ولما حملت بيروت " فجور" في ثناياها قوي الصراع بين اليمين واليسار ، وقوى الثورة والرائد / الفكر القومي وما يمثله ، أصبحت مدينة الوهم والفجور " بيروت وحدة أضداد ، الحمراء باريس، وصبرا هانوي ، والمسافة بين الحمراء وصبرا تجتازها السيارة في خمس دقائق"(١) ٠ ولا أوكسجين إلا في بيروت ، بيروت رئتان وأوكسجين ، والزمن في بيروت لا يعرف فائضا" يعار أو يقرض "(٢) فالزمن في الرواية الحديثة يتحرر من الزمن بمفهومه المنطقي أو الزمن الميكانيكي " الساعة " ، ويتحول إلى زمن النفس الأكيدة ، أي يتوجه إلى داخل البطل فتحرك خواطره ، وخلجاته ، وهواجسه أو ما يسمى بالمنولوج الداخلي أو تيار الوعي ٠ وهو ما يسمى بالبعد الثالث الذي يهتم بسبر غور الإنسان الداخلي ؛ فأصبحت في نفسيته وشعوره ، وهو يعد بعد الزمان والمكان (٣) ؛ إذ إن تكسير الزمن لا يشتت وحدة الواقع والإنسان ، بل يكثفه من أجل النفاذ إلى جوهر العمل ولبه (٤) ، فالرزاز لا يعلم الغيب بما سيحدث في بيروت ، ولكنها الرؤية القادرة على اختراق الواقع ودراسة وقائعيته ، فإذا بالخراب ، وإذا بالاجتياح الرهيب عام ١٩٨٢يطيح بالأحلام والرؤى في بيروت ٠

فبيروت هي مكان العمل الروائي وزمانه ، والوطن العربي من المحيط إلى الخليج هو البحر الميت ؛ فالموات ينتشر على امتداده إلا في بيروت الفعل ؛ بيروت زمن الثورة والمقاومة ، قبل الخروج والخراب ٠ و" كفى" الرمز / الوطن لا تستطيع الاتصال بـ " عناد " إلا في بيروت ٠

يبدو المكان ذا أهمية متميزة في الرواية ، إذ ينتقل الرزاز في المدن العربية من مدينة الحلم إلى مسقط الرأس فالقاهرة ٠٠٠ ودمشق وبغداد من خلال

---

٠١ الرزاز ، أحياء في البحر الميت ، ص ١٧٢ ٠

٠٢ الرزاز ، أحياء في البحر الميت ، ١٥٩ ٠

٠٣ فاضل السباعي ، الزمن في الرواية الحديثة ، مجلة أفكار ، العدد ٩،١٩٦٧، ص ٣٢

٠٤ عبدالرزاق عيد ، دراسات نقدية في الرواية والقصة ، ص ١٦٢ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توظيف شخوص رافضين ذوي اتجاهات فكرية ملتزمة يؤمن بها الرزاز مثل تيسير سبول ومحمود درويش ومعين بسيسو وروجيه عساف وكولن ويلسون(١). كما تبدو صورة عبدالناصر واضحة المعالم في المكان حيث مدينة الثقافة والنضال بيروت : فالأحاديث تدور أيضا" من الجدل إلى المادية إلى الخمينية إلى رامبو فديكارت ثم الخلاف الخطير بين الرحابنة وفيروز ، والحزب في بولندا ، والتضامن ، وعمر خورشيد ٠ ويدور دخان سجائرنا في الفضاء حلقات ٠٠٠ ثم انتصب عمود من الدخان في القارة السادسة قرب صبرا ، ودارت العيون والألسنة، ثم لمحنا طائرة إسرائيلية تدخّن مثلنا (٢) . إنها مدينة التناقضات يطرحها الرزاز ضمن تداعيات متنوعة ، فكل جانب من بيروت يبرز شكلا" مختلفا" من التوجه والالتزام كل وفق رؤيته ؛ مدينة الثقافة والفكر والفن والسياسة والحرب في آن واحد ٠

ويشير عبدالله رضوان إلى قدرة الرزاز على التقاط البروزات في الروايات العربية الراهنة ؛ إذ إنها تختزل روايات " أنت منذ اليوم " و " البحث عن وليد مسعود " و " بندر شاه " و" حارة الزعفراني " و " المتميز " و " يوميات سعيد أبي النحس المتشائل " ، ومن الروايات الأجنبية تلتقط أو تستفيد لحظة من تجربتها الشخصية أو لحظة روائية من تجارب " بيتس " و " فرجينيا وولف " و "فوكنر " و " جويس " و" همنغواي " ٠ وهذه القدرة جعلت من الرزاز رائدا" في مجال بناء هذه الرواية التي تجد تحديا" لقارئها لما تتضمن من وعي لأهم المواقف الفكرية والحياتية وإخضاعها لتجربته الذاتية ضمن أسلوب مناسب ٠

جاءت الرواية الجديدة أو رواية الحداثة تعبيرا" عن الأزمة النفسية العميقة في الذات المبدعة ، إذ يحتاج التعبير عنها لأدوات جديدة او أساليب مبتكرة ولغة جديدة ؛ فأصبحت اللغة الشعرية في الرواية هدفا" بحد ذاتها لتعكس بدقة وصدق اللحظة النفسية ، إذ لا تستطيع اللغة العادية أن تؤديها ، فاحتل النص / اللغة مكان الصدارة ، وزاد الاهتمام بتيار الوعي والأحلام والهذايانات لتحتل

---

١. الرزاز ، أحياء في البحر الميت ، الصفحات ، ٤٧ ، ٥٢ ، ١٧٤ ٠

٢. الرزاز ، أحياء في البحر الميت ، ص ٧٩ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكانا" بارزا" في رواية الحداثة ، فحل الغموض مكان الوضوح ، والتفكك بديلا" عن الترابط ، والأنا مكان الموضوع ، واعتمدت المغامرة والتجربة بديلا" عن العقل المنظم ؛ فالحداثة أقرب ما تكون إلى تمرد فردي ضد الساند في اللغة والأساليب والأشكال ٠(١) وإن كنت لا أتفق مع ما طرحه نزيه أبو نضال عن الرواية الحديثة كله ، فإنني أتفق مع ما جاء في جلّه ، فهي ليست – مثلا" – مغامرة بدلا" من العقل المنظم ، فمعظم المبدعين الحداثيين يتسمون بعقل منظّم صادر عن فكر وثقافة ودراية وسعة اطلاع ٠

لقد أدرك الرزاز في " أحياء " – وفي غيرها كما سنرى – حاجته إلى شكل روائي ووسيلة تعبيرية غير تقليديين لإعادة إنتاج الصراع القائم بين المثقف والسياسي أو فيما يسمى بصراع الأولويات في السلطة ، هذا الشكل الذي يستطيع أن يعكس اللامعقول والتشظي اللذين يخيمان على الواقع العربي جراء هذا الصراع ، وبالتالي احتواء هذا التبعثر في المكان مفسحا" المجال لشخوصه وبخاصة " عناد الشاهد" حرية التنقل عبر الأمكنة بين بيروت ومدينة الحلم ومسقط الرأس (٢) ٠

إن " أحياء " ثمرة أشكال كتابية ونتاج عملية تناص واضحة بدءا" " بألف ليلة وليلة " ومرورا" " بالزمن الموحش " لحيدر حيدر ، و"أنت منذ اليوم " لتيسير سبول ، و" المتشائل " لإميل حبيبي ، وانتهاء" بـ جيمس جويس في أعماله الروائية على اختلاف مضامينها وإشكالها الحداثية (٣) ٠ فهذه الأعمال تعتبر بحق بروزات ومعالم واضحة في طريقة تناول الرزاز لعمله الروائي ، إذ نرى أطيافا" ترتسم في الأفق الأدبي بخاصة ٠ فعلى صعيد العمل الروائي الأردني ، فقد بدأ سبول من حيث انتهت الرواية العربية ، وكذلك يفعل الرزاز في " أحياء " إذ يبدأ الكتابة من مرحلة ما انتهت إليه الرواية العربية والعالمية المعاصرة وما حققته من نضج ٠ ولذلك ، يعد عملهما الروائيان علامتين بارزتين في تاريخ الرواية الأردنية المعاصرة ومحطة يصعب المرور عنها دون توقّف ٠

---

١٠ نزيه أبو نضال ، رواية الثمانينات ، ص ٧٤ ٠

٢٠ غسان عبدالخالق ، الزمان ، المكان ، النص ، ص ١٥ ٠

٣٠ فخري صالح ، وهم البدايات ، ص ٨٧ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذلك ، تتخذ " أحياء " ملمحا" أسلوبيا" متفرّدا" ، فكلما بلغ السرد أعلى ذرى التوتر والانقباض اندفعت نحو مواطن الحلم بحثا" عن منفلت إلى حياة جديدة ورؤى مضيئة (١) .

لقد استخدم الرزاز في روايته تقنيات كثيرة مثل تيار الشعور ، والقطع السينمائي ، وتقنية الفيلم باستخدام أسلوب المزج وهو إدخال مشاهد خلفية في مشهد مباشر وأمامي ، فبينما نكون نتأمل عنادا" ومثقالا" يتجولان ثم يهاجمان من خمسة أشخاص ، في أثناء هذا المشهد تبرز مريم ويتحدثون عن هبوط بحري . كما يلجأ إلى الاسترجاع وهو تعدد اللقطات في نفس اللحظة (٢) .

يقول مؤنس الرزاز (٣) : أحياء في البحر الميت شهادة حية ومن الداخل عن قيام مرحلة وانهيارها ، إذ تصور الحياة في المدينة التي ترجّل فيها الحلم من البال إلى الواقع ، وانتقلت المعارضة التي تحمل أحلاما" نبيلة إلى السلطة ... فإذا بها تتحول من ضحية نتعاطف معها إلى جلاد بشع ... فإذا ببناء الرواية يتخذ شكل الانهيار والتشظي والتداعي والاختلاط وكرّ الوعي ثم فرّه ، وظهور اليقظة ثم غيابها . إننا نلاحظ حدة الخطاب السياسي وعلو وتيرته في هذا العمل وعبر شهادة الرزاز ، فهي شاهدة على عصر التشظي وانهزام الأمة أمام الاجتياح الإسرائيلي لبيروت في زمن ترجّل فيه الفرسان ، وتزاحم كراسي السلطة على الساحات الداخلية ، وغياب الوعي القومي الشامل .

ولعل الرزاز في إدانته للواقع الذي يعيشه تابع تيسير سبول في " أنت منذ اليوم " ، وحيدر حيدر في " الزمن الموحش " وذلك في بحثه السيزيفي الدائب

---

١. مصطفى الكيلاني ، وعي الموت والكتابة التجريبية ، مجلة أفكار ، العدد ١١٧ ، ١٩٧٤ ، ص ٥٦ .

٢. إبراهيم خليل ، الرواية في الأردن في ربع قرن ، ص ٢٤ .

٣. مؤنس الرزاز ، تجربتي الروائية ، المجلة الثقافية ، الجامعة الأردنية ، العدد ١٨ ، ١٩٨٩ ، ص ١٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن المُثُل والقيم الإنسانية السامية ، ومقارعة الطامعين والانتهازيين • ولذا ، تنتهي حياة أبطاله إما بالجنون أو الانتحار (الرائد ، وعناد الشاهد) ، ولذلك نجده يبحث عن أفراد جدد محاولا" البدء من جديد •

وأخيرا" ، أعتقد أن " أحياء في البحر الميت " تركت أثرا" واضحا" في مسيرة الرواية الأردنية بما تضمنته من خطاب وتقنيات حديثة ، تتواءم مع النضج الذي حققته الرواية الجديدة أو رواية الحداثة •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعترافات كاتم صـــوت :

الدراسة الفنيـــــة :

تقدم هذه الرواية محورا" رئيسيا" يتناول مقولة القمع السياسي الذي بات يمارس في الوطن العربي المتمثل بقمع الدولة – قمع الحركة ضد كل من يرفض الطاعة دون اعتراض أو نقاش – إذ يتعرض الدكتور مراد وعائلته إلى الإقامة الجبرية ، ثم تجري تصفية ابنه أحمد جسديا" بعد هروبه من بلد الاقامة الجبرية على يدي يوسف (كاتم الصوت) ، وتذهب الأم ضحية في حادث سيارة مدبر ، وتنتهي الأخت الصغيرة سناء في عالمها الخاص الملىء بالهذايانات والقلق والانغلاق على الذات وتعاطي الفاليوم والأقراص المنومة ، وتعكف على قراءاتها الصوفية ، ثم يأتي جيل مراد الصغير محاولا" بعث الحركة من جديد مع جماعة اتخذوا من المادية الجدلية طرحا" للخروج من مأزق القومية وفشلها المتكرر وتسلطها الجائر المستند إلى انطوائها على قواعد غير قابلة للانفتاح على الخارج.

يجسّد الرزاز في " اعترافات كاتم الصوت " لحظة نوعية من لحظات الوجود الإنساني عبر ثالوث جدلي فاعل يتمثل في الزمان والمكان والإنسان ، إذ يختزل الرزاز المكان إلى منزل يقيم فيه ثلاثة أشخاص (الدكتور مراد وزوجته وابنته) ضمن شرط الإقامة الجبرية ، والزمان مكثفا" في يوم الخميس ؛ موعد انتظارهم المكالمة الهاتفية من إبنهم أحمد ، إذ يتفجر في هذا اليوم وعي الثلاثة عبر سيالات الذاكرة والتداعي والحلم (١) .

كما استطاع الرزاز أن يقدم في روايته شخصية أنموذجية للشخصية المركبة ذات الأوجه المتعددة ، التي تحتاج إلى دراية وفهم بأساليب التطور النفسي للشخصية الإنسانية ، ولكن المتتبع لهذه الشخصيات يلاحظ أن جل هذه الشخصيات شخصيات مأزومة سلبية تكتفي بالنظر دون المشاركة في قضايا مجتمعها فعليا" ، وتكتفي بالتنظير والتطلع نحو الذات . فلم يحاول الدكتور مراد التخلص من هذه العزلة بل اكتفى بالكتابة والتطلع نحو القرن الحادي والعشرين ومن دون أن يبذل أي جهد للخروج من هذا السجن القاتل .وقد فعل ذلك " عربي " في" أنت منذ اليوم " وشخصيات "أحياء في البحر الميت " و " المتميز " . كما لا نلحظ أي تطـــــــــور

---

١. غسان عبدالخالق ، الزمان والمكان والنص ، ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فني يذكر على الشخصيات ، فلا يظهر ماض للدكتور مراد ، إذ نراه طبيبا" دون طفولة أو شباب ، وكذلك لا نعرف شيئا" عن زوجته التي تعرفنا إليها في الإقامة الجبرية وحسب ٠

تعد شخصية يوسف كاتم الصوت شخصية أنموذجية شديدة التعقيد ، إنه نتاج مرحلة من الصراع السياسي التي مرت بها تجربة العمل السياسي العربي، إنه نتاج طفولة معذبة ، فهو ابن أم متهمة في سلوكها الأخلاقي ، وهو لا يعرف أباه ، وهو مضطهد في علاقته مع أسرته ومع مجتمع الرفاق :

" أنا ياسيدتي ضد المشاع ، ومع الملكية الخاصة ، هل تعلمين أن زوج أمي كان يتهمها بانها مشاع لكل رجال البلدة ؟ كان يسكر ويتهمها بصوت مرتفع يسمعه كل الجيران ، ثم ينتحب فجأة ، ويقول : إنه يرغب في أن تكون ملكا" له وحده "(١) ٠ ويقول يوسف : " أريد أن ألوذ بصدر أمي ، لكن صدر أمي محجوز"(٢) ٠ إن الحاج محمود ليس والده ، وإنما زوج أمه ، وإنه كان يتكلم مع يوسف بالحذاء ، كان لسانه حذاءه ، وكلماته ركلات ، وأذن يوسف مؤخرته(٣). إنها طفولة مقموعة في مجتمع مليء بالتسلّط نحو يوسف مما سيشكّل منه مركبا" معقدا" فيما بعد ٠ وستشكف عن قوى مذخورة مستقبلا" ٠

وفي مرحلة الشباب ، انضم يوسف إلى مجموعة متزمته أصولية ، ولكنهم فصلوه ؛ لأنه يسكر ؛ ولأنه يُفشي أسرارهم ، ساعتئذ ، شعر أنه فصل من الحياة ، ثم انضم إلى مجموعة الدكتور مراد ، وسرعان ما فصلوه ؛ لأنه اعترف على أفراد عصبته ثم أستنكر أفعالها ٠

لقد أفرزت كل هذه الأحداث المؤلمة في الطفولة والشباب شخصية معقدة ومركبة فنيا" ، وهي مدانة على الصعيد الواقعي اليومي ، فقد ولّدت هذه الشخصية المقموعة والمضطهدة في الطفولة شابا" يمارس قمعا" واضطهادا" أشد

---

٠١ الرزاز ، اعترافات كاتم صوت ، ص ٦٣ ٠

٠٢ الرزاز ، اعترافات كاتم صوت ، ص ٦٤ ٠

٠٣ الرزاز ، اعترافات كاتم صوت ، ص ١٣٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضد الآخرين ، وسرعان ما أصبح أداة للقمع ومحترفا" يمتهن القتل وسيلة للعيش لدى كل من يعرفون كيفية إدارته كقاتل مأجور ٠ وهذه الشخصية من الشخصيات النادرة على صعيد الرواية العربية ، إذ لا نكاد نجد رواية ترتكز على مثل هذه الشخصية المحورية وما تحمله من مواصفات وظروف مشابهة ٠ فقد عالج الرزاز شخصية يوسف بطريقة مقنعة نفسيا" وفنيا" ، إذ لم نجد لهذه الشخصية موازيا" في أعمال أخرى ، فاذا كانت رواية " تلك الأيام " لفتحي غانم تقدم شخصية " عمر النجار " ككاتم صوت ، فإن هناك اختلافا" كبيرا" بين هاتين الروايتين وإن كانت المحصلة أن القتل يصبح لديهما في النهاية نابعا" من الذات ومحققا" لوجودها وإرادتها واتصالها المباشر (١) ٠

وأما شخصية الدكتور مراد ، فهي كذلك شخصية أنموذجية إيجابية ، ولكنها انكفأت على نفسها ، وحاولت التطلع إلى القرن الحادي والعشرين من خلال انشغاله بالكتابة على الرغم من معرفته بأن السلطة سوف تصادرها ٠

ولعل الثغرة الوحيدة في الرواية – على صعيد الشخصيات – هي شخصية سناء من الناحية الفنية ، إذ لم يتجاوز سنها المراهقة ، فنجدها تعبر عن شخصيتها سلوكا" ولغة بمستوى أكبر مما يجب أن تكون عليه هذه الطفلة ؛ إذ يجب أن يتواءم سلوكها وعمرها الحقيقيين حتى تقنعنا فنيا" ٠ ونلحظ ذلك من خلال المقتطفات التالية :

ننتظر نقاب الظلام ، والظلام ستارة ، إزار ، ثوب ، ولا يجللنا إلا الليل ، أحس بالعراء ، حتى خواطري ٠٠٠ أحسها عارية مستباحة"(٢) و يعن لي أن أولي مدبرة إلى ملجأي الظليل إلى النفري أو ابن عربي أو الغزالي " (٣) ٠

إن هذا الخطاب يشير إلى عدم اتساق القول مع القائل / الطفلة إلا إذا حمل الروائي / الراوي فكره ورؤاه ولغته لهذه الفتاة ، وهذا ما لا يجوز فنيا" ، إذ لا بد أن يترك الشخصية تنمو بكل حرية وفق ظروف النص ٠

---

١٠ نبيل حداد ، الرواية في الأردن ، مرجع سابق ، ص ٨٩ ٠

٢٠ الرزاز ، اعترافات كاتم صوت ، ص ٩ ٠

٣٠ الرزاز ، اعترافات كاتم صوت ، ص ٢٠٤ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثمة شخصيات أخرى لم تترك أثرا" في الخطاب الروائي لا على صعيد المضمون ولا على صعيد البناء الفني ، بل دخلت العمل وخرجت منه دون أن يدري بها أحد كما هو الحال عند أحمد وغيره من الشخوص في أسرة سناء من أمها – بيت الخال – فهؤلاء شخصيات مسطّحة انتهت كما بدأت دونما تطور ، والشيء نفسه حدث مع سيليفيا كذلك .

يقدم الرزاز في الغالب وصفا" دقيقا" لأدق خصوصيات شخصياته وانفعالاتهم وذلك بلغة جميلة تعتمد الجملة الفعلية ، ولعل وصف مشاعر الكبت والغليان التي يعيشها وهو يتفرس صورة في ألبوم الصور " خفق قلب الملازم خفقات متلاحقة ، وداهمه شعور زاوج بين الخوف واللذة ، وراح يتأمل هذا الجسد البض ، يمسح مسحا" بعينيه المبحلقتين ، بدأ بأصابع القدمين ، ثم لحست نظراته النهمة هذا الاتساق الباهر الذاهب نحو الورك ، بإيقاع يجسّد كمال الضراوة الأليفة، حدق إلى الساق المترددة بين الرقود والانحناء ، ثم مسحت عيناه البطن ، ولمست هشاشة حليبية ، ثم مس بنظراته الجائعة نهدين يكادان أن يفرا من غطائهما الضيق ، أحسهما كأنهما يتأهبان ، يستنفران ، يتواطآن على جاذبية الجسد ويحاولان فرارا" "(١) .

إن هذا الوصف الدقيق ، والذي يفوق في إتقانه وفي قدرته تجسيد الحالة الإنسانية ببعديها الجسدي المادي والنفسي ، يفوق أدوات التصوير ذاتها ؛ لأن اللغة تعطينا وصفا" لأكثر من بعد واحد وهو بعد اللون (٢) .

يستخدم الرزاز التداعي عبر لغة مؤثرة يحيل فيها مكان الإقامة الجبرية إلى عالم يطبق الصمت عليه ، وكذلك يوسف عندما يتذكر ماضيه ينكر الزمن ، ويكثف لحظاته في آنية إحباطات الماضي ، فتجد لها تجسيدا" في الحاضر(٣) .

---

١. الرزاز ، اعترافات كاتم صوت ، ص ٩١ .

٢. عبدالله رضوان ، أسئلة الرواية ، ص ص ٨٤ – ٨٥ .

٣. عبدالرزاق عيد ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعد الرزاز من الروائيين الذين يهتمون كثيرا" بلغتهم ، فهو لا يعمد إلى لغة يكون هدفها توصيل الفكرة فحسب ، بل إنه يقدم لغة تمتلك جمالياتها الخاصة بما يخدم الفكرة ، فهو يكثر من الاستخدام الشعري للغة ، فيكثف اللحظة ويختزل الزمن، ويصبح الحوار قصيرا" مكثفا" . ونجده يكثر من استخدام أدوات العطف في جمله أو مقاطعه السردية ، يقول : ذهبت مع وجيه كان يعتبرني ذراعه الأيمن ... كالعادة مشيت في ظله ... ورددت الكلمات التي رددها وجلست إلى جانبه التفت إلى اليمين تارة وإلى اليسار تارة أخرى بحجة الحيطة والحذر . وكنت أعرف أن لا أحد في هذه الدنيا تراوده فكرة اغتيال هذا الوجيه ، وكان هو يعرف تلك الحقيقة أيضا" ، ويأسف لها ... لأنها تقلل من شأنه طبعا" ... وعلى الرغم من ذلك ... ونظراتي ...(١) . وأحيانا" يلجأ إلى اللغة التراثية المعجمية التي تتميز بجزالة اللفظ وغرابته بل وندرته أحيانا" أخرى .

ويستخدم الرزاز في مقطع " الدائرة" في الرواية خاصية أسلوبية تذكرنا بالمقامات عندما يقول : حدثني عيسى بن هشام ... إذ يستخدم في هذا المقطع المجازات والمفردات التي تبدو غريبة غير مألوفة في الاستخدام الحديث "دلفت إلى .. دخل في عباءته ... الركن الكابي ... تناقشنا فطال النقاش وتجادلنا فأمعنا في الجدال ، واشتجرت آراؤنا ... وتدور الكؤوس والرؤوس ... كأني أبدد عمري في حراثة البحر ... دخلت في معطفي الثقيل "(٢) .

فهذه اللغة لغة تراثية توافق المقام ، وقد نجح بدمجها في النص الروائي، ولعل ما ساعده في ذلك فكرته المركزية القائمة على إدانة نضال المثقفين المتمثلة في الشجار والنقاش ووضع الحلول في أثناء جلسة " سكر" ليلية يأتي النهار فيمحوها.

يؤدي الحوار وظيفة مهمة للغاية في هذا العمل – اعترافات كاتم صوت – لا سيما أن هذه الرواية من الروايات التي تتسم بسيطرة الشخوص ، إذ يعد الشخوص البطل الأول في الرواية ، وهذا يتطلب أن يكون القارىء فاعلا

---

١. الرزاز ، اعترافات كاتم صوت ، ص ٦١ .

٢. الرزاز ، اعترافات كاتم صوت ، ص ص ١١٥ – ١١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحاضرا" ومشاركا" لتكتمل الصورة لديه ، إذ يتيح الحوار إمكانية كشف الجوانب الخارجية والسمات الداخلية للشخوص ، يقول :

لعلنا نحـــــلم
قلت : أنت تكون ما تقول
قال : لعلها حرب أهلية
قلت : بين حركة أمل والفلسطينيين في المخيمات
قال : وبين الحزب التقدمي الاشتراكي والكتائب
قلت : أو بين أمريكا ونيكاراغوا
قال : أنا أقول هذا انفجار في كورنيش المرزعة ، أو في جنوب لبنان
قلت : أو في جنوب السودان
قال : أو في طائرة تسللت اليها حقيبة ملغومة (١) .

فهذا الحوار يعكس جانبا" مهما" مما يعيشه الشخوص ضمن واقعهم اليومي الملىء بالسلبية ، وتراجع واقعهم الإيجابي ، وهو يعمّق بذلك دلالة المعاني التي يطرحها الخطاب ؛ إذ إن الواقع المتخلف يفرخ سلطة وأجهزة قمع وبنى فكرية متداعية تشكل حالة حصار تتمثل في ضرورة قاسية تغلب الانسان وتشيئه(٢) .

ولعل الرزاز تأثر بآراء الماركوزية * التي تمارس النضال وتطالب باستمراره، والتي سيقودها الشباب والمثقفون من جيل مراد الصغير ورفاقه بعيدا" عن الجماهير التي أصبحت رصيدا" قمعيا" في يد الفئات المتسلطة التي ترفض أي تحذير للطبقات ، وذلك لإحداث شلل وعطب في وعيها الكامن . وهو الطرح

---

١. الرزاز ، اعترافات كاتم صوت ، ص ص ٣٠ - ٣١ .
٢. عبدالرزاق عيد ، دراسات نقدية في الرواية والقصة ، ص ٩٤ .
* نسبة إلى ماركوزهربرت الذي يدعو إلى الثورة الثقافية على كل أعداء الفكر والعقل ويدعو إلى استغلال التفكير وإلى تحرير الوعي بدلا" من التحرر الجنسي . يقول : لا ثورة من دون تحرر فردي ، لكن لا تحرر فرديا" كذلك من دون تحرر المجتمع . ومن كتبه : الثورة ، الثورة المضادة ، وفلسفة النفي ، والبعد الاجتماعي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفسه الذي طرحه جمال الغيطاني من قبله ، فهم الذين يملكون تمردا" غريزيا" لم يدجّن ؛ فالتمرد الغريزي يصبح وعيا" جمعيا" ليشكل بدوره تمردا" سياسيا" ٠

لقد حملت الرواية في ثناياها قوى صيانية (١) تتمثل في الأسرة (الختيار وزوجته وسناء) ، وقوى تدميرية (المكان وما يمثله من إقامة جبرية ، الملازم ، يوسف الطويل ، مانعو مراد من السفر لإحضار مذكرات الصغيرة ، ومسودات كتابات الدكتور مراد) ، فقد بدأت القوى الصيانية في بداية الرواية حيث الإقامة الجبرية للأسرة وصمود الدكتور مراد وعدم انهياره ، وانتظار الزوجة لمهاتفة ابنها أحمد ، وحلم سناء بالسفر إلى الأمازون وكتابة المذكرات والقراءة ، ثم بدأ التدمير في ربط الخطاب الروائي والذي يمثله الملازم ويوسف في تدميره الذاتي المرضي واغتياله أحمد ، ثم التدمير الذاتي السلبي لدى أحمد ٠٠٠ وسرعان ما تنفتح الرواية في نهايتها نحو الصيانية من خلال مراد الصغير وتشكيل عصبة جديدة من الشباب ووجود سناء الصغيرة / الكبيرة ، إذ يمثل هذا الاتجاه الذي يؤمن بالجدلية العلمية انفتاحا" واستمرارا" لفكر العصبة وآمالها التي ناضل من أجلها الدكتور مراد وتطلعه إلى القرن الحادي والعشرين ٠

يقول مؤنس الرزاز : إن رواية " اعترافات كاتم صوت " تصور حياة " أسرة ضحّت في سبيل إنجاز حلم مشروع سياسي حضاري ، ولما انتقل رب هذه الأسرة من موقع المعارضة إلى موقع السلطة ، يفرض رفاق الأمس الإقامة الجبرية عليه – الدكتور مراد – وعلى أسرته (٢) . ففي هذه الرواية يصور الرزاز آلية القمع والاضطهاد والاستبداد وتأثيرها على حياة البشر ٠ وفي هذا السياق ، يؤكد الرزاز روائية هذا العمل وإن كانت السيرة الذاتية جزءا" مهما" في هذا العمل ، إضافة إلى أن الرواية مشهد عبثي للواقع السياسي التاريخي في الوطن العربي ٠

---

١٠ لمزيد من التفاصيل عن الصيانية والتدمير ، أنظر ياسين النصير، الأسرة بوصفها بنية صيانية ، مجلة راية مؤتة ، المجلد الثاني ، العدد الثاني، ١٩٩٣ ، ص ص ١٦٢ – ١٧٤ ٠

٢٠ مؤنس الرزاز ، تجربتي الروائية ، المجلة الثقافية ، الجامعة الأردنية ، العدد ١٨ ، ١٩٨٩ ، ص ١٥١ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن رواية " اعترافات " من الروايات الأردنية التي تمتلك خصوصية على صعيدي اللغة والخطاب الروائي ، وقدرتها على تصوير شخصيات أنموذجية قادرة على التعبير عن فئة أو طبقة فتحمل همومها وإشكالاتها وتطلعاتها ، وقد تفردت بطرح مقولة القمع وتأثير ذلك على نفسية القامع والمقموع على حد سواء مما يجعلها رائدة في هذا المجال • ومع ذلك ، فثمة تناقض أيدولوجي في النص يتعلق بالمزاوجة ما بين المادية الجدلية والقومية مع أن لكل واحدة خصوصيتها المركزية ، ثم تحميل جيل مراد الصغير للفكر العلماني كطرح بديل وهو ابن طبقة برجوازية ترفض هذا الفكر ابتداء" ، وموقف الزوجة " مريم القيمري " غير المسوّغ عند تحولها المفاجيء من قضية النضال • ولكن هذا لا يقلل من قيمة النص وريادته على مستوى الرواية الأردنية شكلا" ومضمونا" • وبذلك يضع الرزاز لبنة أخرى في مسار الرواية الأردنية الجديدة ، كما نرى الخطاب السياسي واضحا" وبيّننا" من خلال أطروحة القمع والاستبداد على مختلف المستويات ، وغياب الحرية والديمقراطية أو انعدامها، وتشكل أزمة المثقف أينما كان على امتداد هذا الوطن ، ووجود حالة من التنافر والتناحر مع السلطة المركزية التي لا ترى إلا مصالحها وحسب •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متاهة الأعراب في ناطحات السراب :

الدراســة الفنيــة :

تجيء رواية مؤنس الرزاز " متاهة الأعراب " بحق متاهة وبيداء مترامية الأطراف نظرا" لبنيتها المعقدة ، وما تطرحه من قيم ومقولات مركبة تزخر بأحداث وأفكار متراكمة • ولذلك ، فنحن لا نتعامل مع رواية كلاسيكية تقليدية عادية ، كما انها تجيء انعطافا" حادا" عن روايتيه السابقتين " أحياء في البحر الميت " و " اعترافات كاتم صوت " ؛ إنها منظومة فكرية سياسية اجتماعية واقتصادية عبر استخدام تقنيات حديثة تتناسب والواقع الذي نتعامل معه ، كما يلجأ إلى أستخدام الترميز كثيرا" بلغة شعرية غاية في الجمال •

كما يعد الرزاز من الروائيين التجريبيين الذين يلجأون الى استخدام أساليب روائية جديدة ، إذ تعد " متاهة الأعراب " من رواية الأفكار الجديدة التي استخدمها جويس وبيكيت وكربيه ، والتي تعد فيها الأفكار اكثر أهمية من الشخوص والحبكات أو المشاهد والأماكن ، فهي قريبة كثيرا" من الحالة الذهنية (١)•

تنطلق الرواية من واقع اجتماعي / سياسي جغرافي محدد هو الأردن ضمن تركيبة اجتماعية تتكون من الشوام والفلسطينيين والبدو وسكان الريف والشيشان والشركس والأرمن والأقليات العربية الأخرى ، لتحمل بذلك حلم القومية العربية ولتكوّن مجتمعا" أردنيا" يحمل هما" عربيا" قوميا" ، فينقلنا عبر الزمان وعبر المكان في غير الزمان والمكان المحددين سابقا" في إطار فانتازي من خلال انبعاث حسنين الشبح •

تقدم " متاهة الأعراب " صورة لواقع الانهيار والتفتت في عالمنا العربي المعاصر ، إذ نلمح أثر طبقات الوعي الجمعي السحيقة على الحياة العربية المعاصرة ، كما نلمح تصورات " يونغ " حول اللاشعور الجمعي وطبقاته المتراكمة عبر الحديث عن وعي حسنين المنفصم •

١• وليام فان اكونور ، أشكال الرواية الحديثة ، ص ٢٣٢ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذا ، نتلمس الأطروحة المتمثلة بتأثير الثقافة والتقاليد والأعراف العربية الغابرة على تشكيل الحياة العربية المعاصرة والحد من تطورها (١) .

يقول مؤنس الرزاز في شهادته الروائية (٢) : في المتاهة حاولت أيضا" أن أُصوّر انفصام الشخصية العربية بين الموروث والقادم من المستقبل عبر اختلاف اللغة ومن خلال وقائع محددة مستعينا" بالتحليل النفسي .

إن اهتمام الرزاز بعلم النفس التحليلي واضح في عملية " الكوما " أو الغيبوبة التي يعيشها حسنين ، وهذا ما يوصله إلى حالة الشيزوفرانيا وانفصام الشخصية ، وهذا بدوره يؤكد معرفة الرزاز واتكؤه على مقولات علم النفس الفرويدي واليونغي .

فالبطل في الرواية – حسنين – هو الحالم العربي المهزوم ، والمكان هو العالم العربي ، والزمن يبني ملامحه من ابتذال ثقافي معلن وهوس استهلاكي بذيء، وتأمرك يائس ، وتسفّل في العادات والقيم ، وحلم التحرر العربي شبح لا أكثر ، لا يعرفه أحد ولا يتعرف عليه ، فكل ما جاء به زمن التحرر انطوى تاركا" شعبا" بلا ذاكرة ، ومكانا" فلكلوريا" لا هوية له (٣) .

أنها رؤية حدسية للواقع العربي المشظى ؛ فالزمان عام ، والمكان عام لا تنطبق على خصوصية المكان المرتبط بعمان ، نظرا" لخصوصية الرؤية الشاملة التي يتبناها الرزاز في طروحاته ومفردات أيدولوجيته .

فقد وظّف الرزاز قصصا" تراثية كثيرة أراد من خلالها تعميق الخطاب الروائي ، وقد استخدمها بشكل معكوس ومغاير في الدلالة تأكيدا" منه على لا معقولية الواقع العربي المتردي والمشظى ؛ فسيدنا يوسف يصبح قاتلا" ، والخضر

---

١. فخري صالح ، وهم البدايات ، ص ١١ .
٢. غسان عبدالخالق ، مرجع سابق ، ص ص ٩٩ – ١٠٠ .
٣. فيصل دراج ، الرواية والمجتمع المدني ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يبقي شهودا" ، وذياب الأول قاتل عروة يطالب بدم القتيل ، مشيرا" بذلك إلى القصص القرآني في سورة يوسف وقصة الخضر ، وقصة قميص عثمان التراثية التي أثارت جدلا" كبيرا" ، وحكايات ألف ليلة وليلة ٠

لقد لجأ في هذه الرواية إلى مخزون عربي تراثي هائل يمتد في بعض رموزه إلى الحضارات السامية القديمة ، مشيرا" إلى حالة الفصام التي يعاني منها الإنسان العربي فيما يتعلق بمسألتي التراث/المعاصرة من حيث طرحه لمستويين لغويين ، اللغة الفصيحة واللغة العامية ، وتقسيم الرواية إلى ليل ونهار ، الأمر الذي جعل المعمار الفني في العمل يأتي على شكل طبقات أو على شكل مكعبات يستطيع القارىء / الناقد فكّها وتركيبها مرة أخرى (١) ٠

تتيح تقنية التداعي للكاتب استحضار الماضي بهدف تأكيد مقولة يريد أن يؤكدها ، فتراه يرجع في الزمن البعيد إلى حمورابي ونبوخذ نصّر وعروة والصعاليك وعلي بن أبي طالب والسلطان عبد الحميد وعبدالناصر والسادات وفرج الله الحلو وبريجنسكي ، فهي رموز إنسانية أدت عبر التاريخ دورا" سلبيا" أو ايجابيا" ، وفي كثير من هذه الرموز يريد تأكيد مقولة القمع والظلم الممتدة عبر التاريخ ٠

ولذا ، ينظر إلى تجربة الرزاز على أنها المؤشّر الحاسم على تحطّم بنية الرواية التقليدية في الأردن ، لأن تجربة الرزاز السياسية التي عاشها عبر ثلاثة عقود كانت المشكل الأساسي في همه الروائي ٠ ولذا ، فقد كان المشكل السياسي خلال هذه المدة هو السبيل الذي تستمد منه الرواية سبب إبداعها ومبرر وجودها ٠

حسنين هو الشخصية المركزية في الرواية ، والأكثر تعقدا" وتطورا" ، إنه مجموعة شخوص في واحد : إن حسن الأول (الحالة الحضارية) وحسن الثاني (الحالة التراثية الموروثة) يُعبّران عن حالة الازدواج التي يعيشها المثقف العربي بعامة ،وما يعانيه من عدم القدرة على التكيف ما بين الموروث والحداثي /

---

١٠ مؤنس الرزاز ، تجربتي الروائية ، مرجع سابق ، ص ١٥٠ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعاصر " سمّوه حسنين ، فهو توأمان في غلام واحد ، وليس توأمين في غلامين كما تنبأت من قبل " ؛ (١) إنه تعبير عن شخصية روائية تمارس طقوسها الاجتماعية فيحب ويتزوج وينجب بنتا" مشوهة دلالة على عدم قدرته على العطاء، فهو حسن الأول الحضاري الحداثي الذي يستمع لـ " باخ " ٠ وهو حسن الثاني التراثي الذي يحب أمرأ القيس ، ويتحدث اللغة الفصحى ، ويخاف من الكمبيوتر ورنين الهاتف والتعاويذ وكواتم الصوت ، إنه يتقن عملية التوحّد والتماهي في الزمان والمكان باعتباره بؤرة الحدث ٠ فهي بحق شخصية مركبة ومعقدة ونامية منذ الطفولة في بداية العمل وفي أثنائه وحتى نهايته ٠

كما تدخل شخصية " أبو التوت " دائرة الرمز والحلم الفانتازي ، إذ يتذكر أبو التوت أنه عاش أيام حمورابي وتوت عنخ آمون وطسم وجديس وأيام عشتروت وعلي بن أبي طالب والسلطن عبدالحميد (٢) . شهد الثورة ضد العثمانيين أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ، كما انه يمارس طقوسا" شيعية في العبادة ، وهو بذلك يجسد الواقع العربي عبر هذه الفترة، وما تتسم به من اضطراب وقلق ٠ ولكن الشيء اللافت للنظر هو اختفاء شخصية أبي التوت فجأة على الرغم من أننا تلمسنا قلق هذه الشخصية حتى أصبح مدمنا" على شرب الكازوزة الملغومة ، ولكن اختفاء أبي التوت وتقدم الصعاليك للحلول مكانه في التمرد غير مقنع فنيا" لا سيما انهم يحتلون مكانا" ورمزا" للتمرد في التاريخ العربي٠

ومن الشخصيات المتطورة والمركبة " شعلان " ، ذلك القومي السابق الذي يتحول عن فكره ويصبح تاجرا" في كل شيء حتى المبادىء التي ناضل من أجلها ، وهي شخصية سلبية " ٠ " وفزاع " الشخصية الإيجابية الوحيدة يحاول أن يبقى محافظا" على مبادئه القومية على الرغم من معاناته من عقدة الكبت الجنسي والسياسي الحاد إلا أنه احتفظ بتوازنه وقيمه ٠ وبلقيس الشخصية النسائية تتطور شخصيتها منذ الطفولة وحبها الأول لحسنين الطفل ، ثم مرحلة الشباب وإنجابها

---

٠١ الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ١٢ ٠

٠٢ الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ١٦ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طفلا" سِفاحا" من حسنين ، وانضمامها للعصبة ، ومعاقرتها الخمرة ، ولجونها إلى وسائل التسلية الحديثة ، ثم اللجوء إلى الحل الديني ، ولكنها لا تستطيع التأقلم فتلجأ إلى الانتحار حرقا" ؛ إنها دلالة على الواقع العربي ، إذ تصيح بلقيس معادلا" موضوعيا" لهذا الواقع غير المعقول والمُدان على جميع الصعد ، وبالتالي كأنها تحقق شروط الشخصية المكتملة فنيا" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغـــــــة :

تعد لغة " متاهة الأعراب " محورا" رئيسيا" وبؤرة مركزية في النص الروائي ، إذ لا يكتفي الرزاز بوظيفتها الإخبارية الناقلة للحدث ولمقولته الفكرية ؛ بل تصبح نغما" جماليا" وكانها غاية في حد ذاتها يسعى إليها الكاتب ، مما يجعلها رواية لغوية ضمن نص فني متميز قادر على ايصال المقولات المعرفية التي يريدها ، الأمر الذي جعل الرواية تترامى وتمتد كثيرا" (١) .

نلاحظ أن النص ينتظمه مستويان لغويان ، مستوى تراثي يمتاز بما تمتاز به اللغة الكلاسيكية من جزالة اللفظ وغرابة المعاني وندرة استخدامها وقوة إيقاعها ، لغة حسن الثاني " علونا على ظهور الجياد ، وسرنا بالخيل، ثم انحدرنا كالسيل ، وانعطفنا متسابقين ، ورمحنا متلاحقين ، وتناوبنا في النزال ، واندفعنا كالجبال ، وسقنا في الفجاج ، وأثرنا العجاج ، ولعبنا بالرماح وتقابلنا بالصفاح ، وانفجرت الهيازع ، واهتزت الزعازع (الشدائد) ، فكم سبيت أحرار، وقهرت أخيار ، وبينما أنا أطارد على جوادي ، وأطلق النار من عتادي ... فكنت كمن انتقل من غفوة بيضاء إلى يقظة سوداء .."(٢).

إنها قصة حسن الثاني في حكاية الجب لدى خروجه مع الصعاليك وذؤبان العرب في غارة على قافلة من التجار ، إذ نلاحظ أن لغة السرد تناسب الفكرة والحدث الذي وجدت من أجله من جزالة وتناوب ، كما انها اعتمدت أفعالا" ذات سمة حركية مرتبطة بواو العطف الدالة على تقريب الصورة وتتابع الحدث ، وغرابة الألفاظ وجزالتها وقوة تأثيرها .

وثمة مستوى آخر للغة ، وهي اللغة السردية اليومية التي تناسب الواقع الاجتماعي والثقافي السائدين والحياة المعاصرة لتعبر عن الزمان والمكان المعاشين ، وهذه اللغة هي لغة حسن الأول المعاصر الحداثي التي يتحدثها نهارا"، إذ تتضمن مصطلحات علمية وتاريخية وألفاظا" عامية قريبة من المجتمع، إذ

---

١. عبدالله رضوان ، أسئلة الرواية ، ص ١٦٦ .
٢. الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ص ١٢١ - ١٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتحدث عن الإعلام والسياسة والممثلين وأعلام التاريخ العربي والإسلامي والإنساني، فهي لغة عادية وبسيطة ومفهومة تناسب حالة الاستلاب التي يعيشها حسن الأول ، وتعبر عن دواخله ونوازعه النفسية وحواره الجواني ٠

وثمة ملاحظة تتعلق بمستويي اللغة وارتباطهما بالمكان والزمان عبر السياق الخارجي لهما مما جعلهما يخدمان البناء الفني فلا تبدو بذلك طارئة أو مقحمة على النص الروائي ، وانما تلتحم به التحاما" ، وهذا دليل على امتلاك الرزاز لأدواته الفنية واللغوية وعلى عمق رؤيته ومعايشته للفكرة التي يرغب في إيصالها ؛

ويلجأ الرزاز إلى توظيف لغة القرآن الكريم ليعمق جماليات اللغة المستخدمة، فيوظّف قصة مريم على صعيد واقع اجتماعي مغاير ، ولكنه في الوقت نفسه يثري النص لغة وقولا" ٠ تقول بلقيس :" رحماك يا رب ! ما هذا الذي يخبئه لي القدر ، وما تكنه الليالي ، وأنا من أسرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ولم يكن أبي أمرا" سوء ، وما كانت أمي بغيا" ، ولكنني أحبه حبي للراعي بين السوسن ٠٠٠ لماذا لم يأذن أبي ٠٠٠ فأكون نسيا" منسيا" (١) ٠

وتقول : وألقيتُ جسدي ببستانه الذي فيه من كل فاكهة زوجان ٠٠ أنت الذي تمثلت لي بشرا" سويا" (٢) ٠ اعتقد أنه توظيف معاكس للفكرة أو تشبيه مقلوب للفكرة القرآنية ، فإذا كانت القصة تعمق جماليات اللغة ، فهي لا تقوي الفكرة التي أرادها الكاتب لاختلاف المواقف وتناقضها واقعيا" ٠

ونلاحظ دقة الوصف وعذوبته وجمالية اللغة السردية في أثناء لقاء حسنين ببلقيس عندما أُعتقل والده بسبب معتقداته ومبادئه القومية : " انهمرت دموعها ، وانهمر شعرها ، وهطل مطر خفيف ٠٠٠ ثم تساقط ضوء قمر شاهب، وقرصني البرد وشعور غريب مباغت باللذة ، فرحتُ أبالغ وأحكي لها عن عذاباته

---

١٠ الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ص ١٧٩ – ١٨٠ ٠

٢٠ الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ١٧٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في غيبته هذه وعن عذاباتي ، وعيناها تفيضان بالدموع ، وأنا استفيض وأبالغ ، والريح تعبث بشعرها الهمجي ، وأنا أعبثُ بمشاعرها بوحشية ٠ فاجأتني وهي أطيب من الجاتو ، ونحن نلعب قلت بخبث إنهم أخذوا والدي ولم يأخذوا والدها ٠ شعرت بالذنب ، وأخذت يدي بين يديها ، وأراحتها على خدها ، وكان خدها ناعما" ، وأحببت أن أقبله ، ولم أفعل (١) ٠

إن في هذا المقطع الجميل دقة في الوصف ودفئا" في المشاعر والجو الحميمي السائد من خلال استخدام الأفعال الدالة على التتابع في الحركة (انهمر، هطل، تساقط) ، واللغة الشعرية المكثفة تختزل الزمن فتفيض جرسا" موسيقيا" تجعل من الإطالة شيئا" محببا" ، كما يستخدم واو العطف وتكراره لتقريب الصورة وبث جو التواصل بينهما ، ولكنه لم يوفق فيما اعتقد بوصفها بأطيب من " الجاتو " لا سيما وهو القادر على استخدام مفردة أجمل وصفا" وأدق تعبيرا" ٠

كما يستخدم لغة ذات دلالات حسية تصور مشهد الحب بين بلقيس وحسنين ، فتنقل المشهد وكأنه على مرأى العين " وكلما نفرت دعوتني بفحيحك الفاتن ، وكلما حاولت نسيان أصابعي ، أشرت اليها بأنفاسك اللاهبة ٠٠٠ وأنا كنت وشعري الهمجي يتيه في يباب مراعيه ، وأبحث عن كلأ اللذة في مراعي الشهوة ٠٠٠ وبت بين ثوبي ٠٠٠ ضربت الوتد ، ونمت بين الكروم في خيمة الشهوة ، خيمتنا طائر ، والشهوة خضراء ، وانغرس شوكك في تفاحتي ، وأنا رقدت تحت ظل شجرة الوعر، فاتحة مسامي لالتقاط ثمره الحلو ، شماله تحت رأسي ، ويمينه تعانقني ٠٠٠ والظباء والأيائل تخترق حقولي وتحمل رائحة ، وتحمل راس عبدالخالق محجوب ٠٠٠ وكنت سارحة في سرحان بشارة سرحان ، وشاردة كذكرى مؤلمة " ٠(٢) إن الكاتب يستحضر عبر شخصية بلقيس شخصيات تعرضت للقمع والاضطهاد بسبب مواقفها النضالية وتطلعها للحرية والديمقراطية، وذلك من خلال التداعيات وسبر أعماق الماضي لخدمة الواقع المعاش ٠

---

١٠ الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ٢٣ ٠

٢٠ الرزاز ، متاهة الأعراب ، ص ص ١٧٨ - ١٧٩ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلاحظ في النص الإستخدام الحر للغة ، وهـو انبعـاث اللغـة مـن المتحدث دون أن يضبطها ناظم خارجي ، فتبدو للوهلة الأولى انها تقطع السرد ، ولكنهـا فـي الحقيقة تعمّق المعنى وتخدم المقولة ، يقول :

قالت امرأة تجر بعيرا" :

من خطف ابني ؟ من خطف النوم من عيني ؟

قال مواطن يسوق سيارة " مرسيدس بنز " :

- أغاروا ليلة أمس علي ...

مار آخـــر :

- دمروا النوم في عيني ...
- دمروا الحلم ...
- شوهوه .
- من ؟
- صبرا وشاتيلا ...
- خطفوها ...
- أحلامك ؟
- لا ... الطائـــرة ... وهي في الفضاء ... ورافقوها إلى قاعدة أمريكية في إيطاليا .
- فجروه ...
- مروا من فوق البحر الأبيض المتوسط ...
- كالومض ...
- تمثال عبدالناصر ...
- أين كانت صواريخ سام ؟
- لم أنم ... لم أنم ... لم أنم ... لم أحلم ...
- لا نـــوم ... لا مخيـــم ... لا مؤسسات ... لا أحذية ... لا خبز
- أين الظافر ؟ أين الممثل ؟
- وهـــم .
- أين القاهر ؟ هذا الديكور ... ديكور
- سراب " (١)

---

١. الرزاز ، متاهية الأعراب ، ص ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نلاحظ أن اللغة تتساب دون ضوابط ، ولكنها في الوقت نفسه هي تداعيات نفسية تعبر عن حالة القلق التي يعيشها حسنين ، أو المثقف العربي المهزوم بين عبء الموروث ، واصطدامه بالواقع الذاتي ٠

إن الرواية تزخر بالحوارات الطويلة ، لأن الحوار يقوم بعملية الكشف الأساسية عن سيكولوجية الشخصيات ومواقفها الاجتماعية والفكرية المختلفة (١) ، إذ نلاحظ مثلا" أهمية الحوارالذي جرى في غرفة حسنين بين اسكندر وجماعته (المرأة اللبنانية والرجل الخليجي والرجل العراقي) ودوره في الكشف عن جوانب مهمة من حياة المجتمع السائد ، فقد بدت الأوضاع سيئة من انحدار الأخلاق في ممارسات اسكندر وعلاء الدين المتمثلة بتجارة الرقيق الأبيض وتأجير الشقق واستخدامها لأغراض غير أخلاقية ، وانهيار القيم الاجتماعية ، وطغيان الحياة الاستهلاكية ، وتراجع الفكر الجاد والقيم النبيلة ٠

يستخدم الرزاز أسلوب القطع السينمائي حيث ينقلنا في أكثر من مكان وأكثر من زمان ، وبخاصة عند انبعاث حسنين الشبح في الجزء الثاني من الرواية، فتبدو الرواية متقطعة الأوصال ، ولكن استخدام البنية الفانتازية ، من شأنه تحرير طاقات الخيال وأسطرة الواقع لاستغوار الأفكار وأضاءتها بشكل جيد(٢) واستخدام أسلوب التداعي وبخاصة امام الدكتور النفساني يجعل وحدة العمل قائمة وحاضرة بقوة ٠

اننا لا نجد في هذه الحقبة الزمنية فيما تمثله الرواية لدى مؤنس الرزاز أدنى حالة وفاق مع الواقع ، بل إن هذا الواقع يستحيل إلى فسحة قمع ؛ فالشخصيات في خروج دائم على المجتمع أو حالة خروج منه ، وهو بالتالي يتحول إلى حالة تدهور ، وحالة حصار للذات (٣) ٠ إننا نلاحظ في مضامين أعمال الرزاز تلك الثنائية القائمة على الطاغية فيما تمثله السلطة أيا" كان شكلها أو

---

١٠ الياس خوري ، تجربة البحث عن أفق ، ص ٤٣ ٠

٢٠ كولن ولسن ، فن الرواية ، ص ٢٥٦

٣٠ ماجد السامرائي ، رواية الثمانينات : الرواية ومسارات التحول ، أوراق ملتقى عمان الثقافي الأول ، عمان ، ١٩٩٢ ، ص ١٧٤ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الضحية بغض النظر إن كان الشعب بعامة أو قطاع المتنورين المثقفين بخاصة ، أي اننا دوما" إزاء قطبين متنافرين ، مما دعاه إلى تفكيك العمل الروائي ، وتمزيق الواقع لإعادة ترتيبه من جديد كي يحقق المصالحة مع نفسه ٠

كما يستخدم الرزاز أسلوب السخرية كثيرا" في النص الروائي ، وهي وسيلة البطل لإبراز إشكاليته ، إذ تتعدد صور السخرية مثل إيراد أسماء : عبدالناصر ، عبدالله السلال ، عبدالخالق محجوب ، وما لهؤلاء من دور في السياسة ٠ وفي الوقت نفسه يورد أسماء : محمد عبدالمطلب ، عبدالحليم حافظ ، عبدالوهاب ٠ أو استخدام أسلوب السخرية في اللغة عن طريق زيادة سجعة في النص " وبعد أن أطحتَ بذيب الأول ، المجرم الذي زور إسمي ، انتهت الشرور، وانطوت سلبيات الأمور ، واختفت – حتى مشاكل – المرور " ٠ أو أسلوب التلاعب بالألفاظ (الظاهر : الماهر ، القاصر : القاهر) وهي أسماء صواريخ عوّل عبدالناصر عليها كثيرا" في حرب حزيران ١٩٦٧ مع العدو الإسرائيلي ٠

كما يلجأ الكاتب إلى استخدام أسلوب المفارقات الرامزة التي ترد في النص عرضا" ، ولكنها تتحول إلى رمز دال ؛ فوضع صورة زعيم دولة في بيت علاء الدين ، يفسره حسنين على انه تغير في موقف معين إزاء اتجاه معين (١)٠

إن توغّل مؤنس الرزاز في تاريخ العرب القديم ، واستحضار الصعاليك واستخدام " الذيابات " : ذيب الأول ، ذيب الثاني ٠٠٠ " ذيب " ٠٠ ، ووجود الجنرالات ، وحالة الكوما التي يعيشها حسنين ، واستخدام اللغة التراثية الموغلة في القدم كلها أساليب ترميزية يلجأ إليها الرزاز للتعبير عن رؤيته السياسية ، نظرا" لكبت الحريات وأساليب القمع والتصفية المتجذرة في المجتمعات العربية على مستوى القيادة ، فكان لا بد من اللجوء إلى هذه الأساليب كي يبتعد الرزاز عن المساءلة والمطاردة من قبل سلطات القمع والإبقاء على الهوة السحيقة بين المثقف والسلطة ، ولعل استخدام كلمة " ذيب " بحد ذاتها تدل على الافتراس والتعطش للدماء والمراوغة والفتك ٠

---

١٠ ابراهيم خليل ، الرواية في الأردن في ربع قرن ، ص ٣١ –٣٢ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول مؤنس الرزاز : " في حياتي قطبان : الأول تجربتي السياسية بكل ما انطوت عليه من اهتمامات مركزية وشمولية كبرى ، والثاني عما ن ٠٠٠ إذا كانت الروايات الثلاث الأولى تتحدث عن القطب الأول ، فإن الروايات الثلاث تتحدث عن عمان بكل ما تتضمنه من رموز وشخصيات هامشية وغير هامشية ٠ وإذا كانت القضايا التي تحوم من حول القطب الأول هي قضايا كبرى ، فإن القضايا التي تحوم حول القطب الثاني تقع في دائرة التفاصيل الجزئية والعلاقات الدقيقة (١) .

واعتقد أن الرزاز محق فيما طرحه ، إذ نلمس – بكل وضوح – خطأ سياسيا" بارزا" في أعماله الثلاثة ، كما نلحظ مدينة مسقط الرأس بادية للعيان بجبالها السبع وبكل تفاصيلها ٠

ومن النادر – بشكل عام – أن تخلو رواية أردنية وبخاصة رواية الثمانينات من السياسة ، فقد اختلطت السياسة بالخبز في البلاد العربية لا سيما دول المواجهة مع العدو الإسرائيلي ، مما نتج عنه تعاظم الدور السياسي في حياة الناس ، واعتماد الروائيين على الرؤى الواقعية ، وتخلصهم من رواسب الرومانسية الفردية (٢) .

وبعد ، لقد حملت " متاهة الأعراب " خطابا" سياسيا" وإدانة للواقع القمعي في تاريخ الأمة العربية ماضيها وحاضرها ، إذ تجاوز بذلك الطرح الذي تناوله في روايتيْه (أحياء في البحر الميت ، واعترافات كاتم صوت) ٠ وما طرحه تيسير سبول في " أنت منذ اليوم " ، وما أدانه عبدالرحمن منيف في الأشجار واغتيال مرزوق " ، وما أبدعه إبراهيم نصرالله والياس فركوح وغيرهم٠ وهي بذلك تعد بحق من الروايات العربية المتقدمة على صعيد المضمون والبناء الفني ٠ فقد استخدم الرزاز تقنيات حديثة من أدوات الرواية الحديثة من تداعٍ وقطع سينمائي وحلم وكابوس وأسطورة ولغة شعرية وتشظٍ وهذيانات وأساليب علم النفس التحليلي كما الحال في الرواية الحديثة عند سارتر وكافكا وجويس وكامو ٠ وعلى الرغم من ذلك ، فإن أفضل الأشكال للرواية هو

---

١٠ غسان عبدالخالق ، الزمان والمكان والنص ، ص ١٠٠ – ١٠١ ٠

٢٠ نبيل حداد ، الرواية في الأردن ، ص ٨٤ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يستخدم مادته أفضل استخدام وليس هناك تعريف آخر للشكل في الرواية ؛ فالكتاب أو الرواية المحكمة هو الذي يتحد فيه الشكل بالمضمون بحيث يصعب تمييز أحدهما عن الآخر (١) .

---

١. بيرسي لوبوك ، صنعة الرواية ، ترجمة عبد الستار جواد ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جمعة القفاري : يوميات نكرة :

الدراسة الفنية :

تتمركز الرواية حول يوميات جمعة القفاري ، ذلك الفارس في زمن ترجّل فيه الفرسان عن صهوات خيولهم ، وتصور هذه الرواية حالة الاستلاب التي يعيشها جمعة ، إذ لا يمكن أن يكون شيخ قبيلة ؛ لأنه لا يشبه " أنطوني كوين" مع أن " أنطوني كوين " مجرد صورة للأصل عمر المختار .

يعيش جمعة القفاري حالة ضدية ما بينه وبين الواقع ، إذ لا يستطيع جمعة التصالح مع نفسه أو مع المجتمع الذي يعيش فيه ، ولا يستطيع التكيف مع الواقع الراهن ، فهو يفكر بالموبقات كالزنا وشرب الخمر ، وهو في الوقت نفسه رجل نبيل زاهد في تفاصيل هذه الدنيا الحقيرة " إنني عاجز عن التكيّف والتأقلم لأسباب عصية على الفهم ، إنني لا أنسجم مع ذاتي ، فكيف أنسجم مع المحيط"(١).

وتمثل شخصية " جمعة القفاري " شخصية إشكالية ، إذ يستطيع اكتشاف تناقضه مع العالم من حوله ، ولكنه لا يستطيع التغلب على مشكلاته ، فهو إنسان قلق لا يحسن التأقلم ، والتكيف مع نفسه أو مع محيطه (٢) .

إن جمعة أشبه ما يكون بـ دون كيشوت ؛ يجير المظلوم ، ويفزع إلى نجدة الضعيف ، لكنه يهمل نفسه ، ولا يلتفت إليها ، الأمر الذي أوقعه في كثير من المشكلات والمصاعب ، فلم تشهد شخصية جمعة أي تطور فني فبدت شخصية مسطحة انتهت كما بدأت . ولعل دون كيشوت بدأ فعلا" بالمحاكاة الساخرة ومن ثم دُفع إلى الوهم وأُقحِم من خلال المواجهة مع الواقع بأشكاله الأكثر تماسكا" وسخفا" في آن واحد (٣) .

---

١. الرزاز ، جمعة القفاري ، ص ٧ .

٢. إبراهيم خليل ، الرواية في الأردن في ربع قرن ، ص ٤٦ .

٣. مورس شرودر وآخرون، نظرية الرواية ، ترجمة محسن جاسم الموسوي ، منشورات مكتبة التحرير ، بغداد ، ص ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تحفل الرواية بأية " شخصيات نموذجية ، فقد كانت معظم الشخصيات تدور في فلك جمعة القفاري بطل الرواية ، وقد حافظ على " شعرة معاوية [١]"مع ابن عمه فاضل القفاري ، تلك الشخصية الانتهازية التي تستطيع أن تتملّق المسؤول فتصل إلى مناصب رفيعة ، ولكن سرعان ما دارت عليه الدائرة ، وفُصِل من عمله .

وتبقى شخصية عائشة "أخت جمعة "من أكثر الشخصيات إيجابية وثباتا" ، فهي إمراة عملية وصاحبة قرار وتجربة ، تعرف تفاصيل الحياة ومفرداتها اليومية. لقد كان جمعة يشعر بضآلته أمامها ، وبأنها هي رجل البيت : كانت عائشة كبيرة منذ الولادة ، لم تكن صغيرة أبدا" . كانت عائشة قوية في كل شيء، لا يدخل إليها الضعف أبدا" ، وكانت جريئة بصورة تدهش الآخرين ، فتتحدث عن الممنوعات الاجتماعية دون حرج ، فهي معجبة بجرأة الجنسويات ، ولكنها لم تكن منهن .

وثمة شخصيات ثانوية أخرى في العمل لم تترك أثرا" يذكر مثل الحاج مصطفى القفاري (والد جمعة) ذلك السياسي السابق الذي توفي أثر حادث انفجار مبنى رئاسة الوزراء في وسط عمان ، وزوج عائشة المناضل السابق المتردد وغير الملتزم بقضية محددة ، ووداد التي يقتلها الضجر فتبحث عن مغامرات كي تقتل وقت الفراغ ، ونانسي والنعمان وغيرهم .

يقول مؤنس الرزاز عن " جمعة القفاري " : إن الأدب العربي الحديث والمعاصر يفتقد شخصية النكرة ، ذلك الشخص الذي يعيش على هامش المجتمع في حالة اغتراب شديد ، وهو في الوقت نفسه بطل الرواية ، فلقد حاولت أن أصور هذه الشخصية في الأردن ، وجمعة القفاري يمثل حالة الاغتراب في الأردن ، ثمة فئة من الناس تعيش على هامش واقع البلد ولا تعرف الأردن المختصر لديها بعمان الغريبة ، إنها تجهل عمان الشرقية ، فمن هذه الفئة ثمة ضحايا وجمعة واحد من هذه الضحايا التي لم تستطع أن تكيّف نفسها مع المحيط ،

---

١. الرزاز ، جمعة القفاري ، ص ٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنه الصعلوك الذي لا يدري إن كان خرج على المجتمع بإرادته ، أم أن المجتمع قد خلعه خلعا" (١) .

تأتي رواية الرزاز إنعطافة حادة نحو الالتفات إلى هموم الفرد الصغيرة والذاتية بعد أن استغرقت الجهود الروائية طيلة ثلاثة عقود خلت – وبخاصة جهود مؤنس الرزاز – الهم القومي / العام ، فكان لا بد من العودة إلى الفرد / الخاص ، والاهتمام بخصوصياته أيا" كانت درجة أهميتها أو بساطتها .

إن استخدام الرزاز أسلوب اليوميات يضفي على العمل – شكليا"– سمة التشتت وعدم التمركز حول فكرة واحدة رئيسية أو عدم انتظامها خيطا" روائيا" من البداية وحتى النهاية ، لكن عندما جعل الرزاز جمعة يسوق كل تلك اليوميات والمذكرات ترابطت أقسام العمل على كثرتها أو تعدد لوحاتها المشهدية لا سيما الشخصيات التي تدور ضمن مكان يكاد أن يكون واحدا" ألا وهو الأردن بعامة أو عمان بأزقتها وحاراتها ومقاهيها وحاناتها بخاصة ؛ فالقارىء يشتم نكهة هذا المكان (عمان) ، وكذلك الزمن الممتد عبر ستينات هذا القرن ، إثر انفجار مبنى رئاسة الوزراء في عمان ومقتل رئيس الوزراء بداخلها ، وقد شهدت تلك الفترة من تاريخ الأردن اضطرابات سياسية ، وصراعات متعددة تدخلت فيها الدول الأخرى عبر تنظيمات تابعة لها موجودة على الساحة الأردنية . وقد منعت الحكومة في تلك الفترة أي نشاط حزبي أو إقامة أحزاب سياسية تعمل بحرية نظرا" للظروف الدقيقة آنذاك ، وزيادة الضغط العسكري على الحدود الأردنية والحدود العربية من جانب إسرائيل .

استخدم الرزاز في يوميات جمعة أوتلك اللوحات المتعددة تقنيات حديثة كي تستطيع حمل هموم عمله الروائي من خلال القطع السينماني أو تقطيع المشاهد والانتقال عبر أكثر من مكان وأكثر من زمان دون تواصل زمني صاعد له بداية وله نهاية أي تكثيف اللحظة الزمنية ، كما يمزج ما بين السرد والحوار والتداعي والاسترجاع والتذكر .

---

١. عبدالخالق ، الزمان والمكان والنص ، ص ١٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت لغة الرواية أو مذكرات النعمان في عمان لغة عادية تمتزج ما بين لغة العامة وفصحى المثقفين ، لأن الشخصيات تمثّل شريحة عادية من الناس غير معروفين على الصعيد الثقافي أو الفكري أو الاجتماعي أو السياسي . وفي هذا الصدد لم نلحظ شخصيات نموذجية أو نامية فنيا" ، بل جاءت شخصيات الرواية عادية وبسيطة من الناحية الفنية ؛ فقد بدأ جمعة رحلته وانتهت وهو يعتمد على غيره سوى أخته أو من هم حوله ، كما لم نلحظ أية تطورات داخلية أو نوازع ذاتية ، فقد ولدت عائشة كبيرة وبقيت طوال الرواية كذلك ، ولم نلحظ تطورات حادة في شخصيتها .

ولعل القارىء لهذه الرواية يرى أنها رواية عدد لا رواية عدة إذا ما نظرنا في سجل مؤنس الروائي ، فلم تكمل هذه اليوميات مسيرته الروائية التي بدأها بقوة في " أحياء " وعزّزها بـ " اعترافات " وتوّجها بـ " متاهة الأعراب " وما تحمله هذه الروايات من مضامين ، وما حققته من نجاحات على صعيد البناء الفني .وأيا" كان الأمر ، فإن كل ذلك لا يقلل من أهميّة وجودته شكلا" فنيا" ومضمونا" .

وأعتقد أن هذه الرواية تأتي ضمن ما يسمى بـ " استراحة المحارب"، فمؤنس الرزاز مثقل بالهم القومي والمشروع النهضوي الوحدوي تجربة وفكرا" وإبداعا" ، ولا ضير من التفاتة إلى الهم الخاص ، وما يعزز قولنا هذا – الهم القومي والإغراق فيه – عودة الرزاز ثانية في أعماله التالية إلى الهم القومي العام .

ومن الجدير بالذكر أن رواية " جمعة القفاري " جاءت في وقت سمحت فيه الحكومة بحرية العمل الحزبي وتأسيس الأحزاب وممارسة الديمقراطية . فقد قالت " زهرة " زوجة فاضل الغلباوي إنه ليس ديمقراطيا" وإنه ضد الديمقراطية ، إذ يتحدث الناس عن الفساد الإداري والتراجع الاقتصادي ، ويتحدثون عن السياسة الإعلامية والهجمة التي يشنها أصحاب الأموال ضد الناس من أمثال محسن المحسن مدير شركة الاستثمارات المالية والرشاوى التي يقدمها لتمرير صفقاته وتنفيذ أعماله .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلاصـــة

إن القارىء / الناقد لروايات مؤنس الرزاز الثلاث (أحياء في البحر الميت ، واعترافات كاتم صوت ، ومتاهة الأعراب ٠٠٠) يلاحظ بوضوح حدة الخطاب السياسي وعلوّ وتيرته في هذه الأعمال ؛ فالشكل السياسي هو السبيل الذي تستمد منه هذه الأعمال سبب إبداعها ومبرر وجودها ٠ وهذا ما أكده الرزاز نفسه حينما قال : في حياتي قطبان ، تجربتي السياسية وعمان ، ورواياتي الثلاث الأولى تتحدث عن القطب الأول ، أي تجربته السياسية ٠ ولذا ، فإن السياسة تشكل ميزة عامة من ميزات الخطاب الروائي لديه ٠

أدرك الرزاز أن الشكل الروائي التقليدي لا يستطيع إستيعاب مقولته السياسية وما تتضمنه من طروحات مثل القمع السياسي المنظم ، وكبت الحرية ، وغياب الديمقراطية ٠ فكان لا بد من شكل روائي جديد يمكّنه من إعادة إنتاج الصراع القائم بين المثقف والسياسي ، وذلك باستخدام تقنيات فنية حديثة وتكنيك جديد من حيث استخدام أسلوب القطع السينمائي وتعدد اللقطات ، والأسطورة ، والتداعي ، والكوابيس والأحلام ، والتشظي ٠ وقد أضحت الروايات روايات أشخاص وأفكار ؛ فجاءت الشخصيات مسطّحة لا سيما الشخصيات الرئيسية ؛ فعناد الشاهد في رواية " أحياء ٠٠٠" لم نعرف شيئا" عن طفولته خلا اشارة سريعة تدل على انتمائه لأسرة برجوازية صغيرة ٠ ولم نلحظ تطورا" صاعدا" للزمن ٠ وكان المكان عاما" غير محدد ولم ينتظمها خيط روائي نام ٠

أما رواية " اعترافات كاتم صوت " فلم تتطور شخصية الدكتور مراد ، ولم نعرف شيئا" عن طفولته وشبابه وكذلك الحال مع زوجته " مريم القيمري " وابنتهما " سناء " وبقي الزمان ثابتا" والمكان مغلقا" ٠ في المقابل ، تطورت شخصية يوسف الطويل ، ونمت نموا" طبيعيا" ومبررا" فنيا" منذ سن الطفولة وحتى سن الشباب ٠

كما جاءت رواية " متاهة الأعراب ٠٠٠" حافلة بالشخصيات النامية (حسنين ، وبلقيس ، وشعلان ، وعلاء الدين) وغير النامية (أبو التوت ، فزاع ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اسكندر)٠ وكان الزمان ضاربا" وموغلا" في التاريخ منذ حمورابي وتوت عنخ آمون مرورا" بعصور الجاهلية والإسلام وحتى عصر الأقمار الصناعية والثورة التكنو الكترونية ٠ وامتد المكان / الأمكنة من صحراء صعاليك العرب وذؤبانهم إلى بيروت وعمان والقاهرة ودمشق وبغداد ، وإلى لندن وباريس ونيويورك ٠ هذا التنوع والتنقل دعاه إلى استخدام لغة تراثية حينا" وعامية حينا" آخر ٠

وفي ضوء ذلك ، فقد اعترى البناء الفني شيء من التفكك وفقدان العناصر الفنية المهمة ؛ لأن الرزاز استحضر ، ومنذ اللحظة الأولى ، ثيمة سياسية أبطالها شخوص حقيقيون ؛ لأن السيرة الذاتية كانت محورا" رئيسيا" فيها ، فجاءت الشخصيات (الأبطال) نماذج جاهزة ومعدة إعدادا" جيدا" قبل الشروع في عملية الإبداع الفني ، ولم تتح لها حرية النمو الطبيعي ، بل تحركت وفق رؤى الكاتب ، وليس وفق شروط عملية التكنيك الفني ٠ وما يقال عن الشخصيات يمكن أن يقال عن الزمان أو المكان أو الحبكة ٠

وأيا" كان الأمر ، فقد حقق الرزاز رواية تجريبية ناجحة ، وقدم أعمالا" إبداعية ناضجة وجيدة استحقت الدراسة والاهتمام ،ورسمت خطا" بيانيا" صاعدا" في مسار الرواية الأردنية ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــة

لقد لعبت العوامل السياسية دورا" مهما" وبارزا" في تشكيل الرؤية الفنية لدى الروائيين الأردنيين على صعيدي الشكل والمضمون ، وبخاصة لدى أولئك النفر من الشباب المتحمس الذي انطلق أساسا" من عالم السياسة إلى عالم الفن والإبداع ، إذ لم يعد الخطاب السياسي قادرا" على إيصال مقولاتهم الفكرية من جانب ، وإغلاق المنابر السياسية ، وإلغاء الأحزاب السياسية والعمل الحزبي ، وتدهور النظام العربي، وشراسة الهجمة الإستعمارية الجديدة على مقدرات الأمة، واحتلال الأرض العربية من جوانب أخرى ٠

فقد جاءت روايات تيسير سبول وجمال ناجي ومؤنس الرزاز – بصورة متفاوتة – صرخة مدوّية لإماطة اللثام عن الاهتراء العربي وهيمنة الزمر القيادية التي تسوم شعوبها سوء العذاب ، فكان الانكسار والهزيمة والخسران ، فالشعب في واد والسلطة في واد آخر ، الأمر الذي جعل الخطاب الروائي سبيلا" لمخاطبة الجماهير ، وإنارة الطريق أمامها ٠

تأثرت الرواية الأردنية ومنذ بواكير نشأتها حديثا" بقضية الأمة المركزية – قضية فلسطين – إذ لا يكاد أن يخلو عمل روائي من إرهاصات احتلال الوطن ، وتشرد الشعب الفلسطيني ، فجاءت جراح جديدة بروايات جديدة ، وسرعان ما فجعت الأمة بحرب تشرين وما ولدته من انتصارات إعلامية رنانة فجرت مشاعر الخيبة والانكسار وفجرت رأس تيسير سبول ٠

ولما فشلت الطروحات القومية النهضوية ، وانهارت المؤسسات الحزبية على نفسها ضاع حلم الوحدة العربية ، فبدأ هذا الهاجس بقلق المبدعين والمثقفين، وأصبح كابوسا" يضغط على النفس ، فتشظّى الإنسان العربي ، ولجأ إلى الأحلام للتعبير عن هذا الواقع ، وانتقل من الوعي إلى اللاوعي ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجراء هذه الانكسارات والهزائم ، عاش النازحون في المخيمات ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، فلجأوا إلى السفر بحثا" عن فرصة وبريق أمل يكفل لهم حياة كريمة بانتظار العودة إلى الأرض فجاءت " الطريق إلى بلحارث " تجربة صعبة وقاسية ، فكان لا بد من " وقت " بحثا" عن الذات داخل المخيم / الواقع ومعاناته أو إعادة هندسة المكان وبناء مكان جديد / مؤقت يلجأ إليه هؤلاء الناس البائسون ، فما خلفت إلا الزوابع ٠

وأطلت صورة جمال ناجي من بين سراديب الواقع لتنقلنا إلى إبداع مؤنس الرزاز " وأحيائه " في هذا الوطن العربي / البحر الميت لتصورٌ هذا الواقع الممزق والمشظى المشحون بالانكسار وخيبات الأمل ، ومصادرة الحرية والديمقراطية ، واجتياح مدينة الفعل والحلم / بيروت ؛ عاصمة الكفاح المسلح وملجأ الأحرار والمثقفين الهاربين من سلطة القمع وبطش السلطة ، والاقتتال الدامي بين اليمين واليسار والميليشات ، وفي الوقت نفسه مواجهة العدو الإسرائيلي (الغزاوي ومريم) ٠ ثم ظهور نظام كواتم الصوت وإنهاء الحياة عن طريق التصفية الجسدية المأجورة ، التي أصبحت سوقا" رائجة من كل الأطراف٠

لقد أثقل النيه العربي ، والإنهزام العربي ، وانهيار المشروع القومي كاهل مؤنس الرزاز وغيره من المثقفين إزاء حالة (التأمرك) المرسومة والمقصودة عبر التكنولوجيا الحديثة ، وإغراق المجتمع العربي في سوق إستهلاكية وتفريغه من كل طاقاته وأيدولوجياته وقيمه ، فكان واقعنا متاهة ، وكان وجودنا إزاء الأحداث سرابا"، فأصبح الإنسان العربي مجرد ذكرى تراثية ، وكانت رموزه مجرد نكرات .

إننا نلمس أثر العوامل السياسية على العمل الروائي الأردني الذي يحمل في ثناياه الهم العربي بشكل واضح ، فلم ينسلخ المثقف أو الأديب الأردني عن عالمه العربي والتراث الإنساني ٠ وقد أثر ذلك في شخصيات الأعمال الروائية وعلى رؤيتهم للحياة وقضاياها ، فكشفت عن جوانبها النفسية العميقة في أثناء نموها وتطورها وحركتها في المكان والزمان الروائيّن ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي ضوء هذه المعطيات والرؤى ، لم يستطع الشكل الروائي التقليدي حمل هذه الهموم نظرا" لتغير المرحلة وزيادة تأزمها ، فكان لا بد من شكل روائي جديد يستطيع استيعاب هذه الرؤى والتطورات فكانت الرواية الجديدة أو رواية الحداثة إطارا" ينتظم هذه الأعمال الروائية التي بدأها تيسير سبول كمحاولة أولى جديدة ، ثم تعمقت وأصبحت لها جذور في أعمال مؤنس الرزاز وإبراهيم نصر الله وإلياس فركوح ويوسف ضمرة • واستخدمت تقنيات فنية جديدة مثل المنولوج الداخلي والتداعي والأسطورة والقطع السينمائي وتيار الوعي وسيطرة الأحلام والكوابيس •

كما احتل الجنس مكانا" بارزا" في الرواية الحديثة ؛ لانه الملاذ الأخير عوضا" عن خيبة الأبطال وتراجعهم نحو الذات والانغلاق ، إذ نرى ذلك في روايات تيسير سبول وجمال ناجي ومؤنس الرزاز وإبراهيم نصر الله وإلياس فركوح •

تميز معظم أبطال الروايات الجديدة / الحداثية بالتأزم والقلق والانكفاء نحو الداخل نظرا" لمعاناتهم وعدم قدرتهم على اختراق جدار الواقع الملىء بالإنكسارات وخيبات الأمل والهزائم (عربي ، عناد الشاهد ، يوسف الطويل)•

كما تميز الروائيون بمستوى ثقافي متقدم وبمواقف أيدولوجية معلنة مسبقا" ، وهذا أثر بصورة مباشرة على ابطال الروايات وتحريكهم وفق رؤاهم – الروائيين – وقد لا يسمح لهؤلاء الأبطال بالنمو الطبيعي داخل حركة العمل الروائي وتطوره فنيا" ، فأصبحوا نماذج جاهزة مسبقا" تقتضيها ثيمة الموضوع •

ولعل المتتبع للأعمال الروائية الحديثة يلاحظ بوضوح استيعاب الروائيين لأكثر من فن أدبي واحد يظهر أثره بجلاء في عمله الروائي من شعر ورسم وقصة ومسرح ، ولذلك لم تعد موضوعة الفن من أجل الفن هدفا" ولا مطلبا" ينشد ، لا سيما في ضوء الإنكسارات التي لحقت بالأمة عقب هزيمة ١٩٦٧ ، أو الحرب الأهلية ، أو حرب تشرين ١٩٧٣ ، أو تصدّع الديمقراطية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومصادرة الحريات ٠ فكان لزاماً على هؤلاء الروائيين الكتابة بلغة وأسلوب جديدين لتتوائم إبداعاتهم وقلق المرحلة وتغيّر الظروف ٠ ولا أدلّ على ذلك من استلام فن الرواية زمام المبادرة وحلولها مكان الشعر الذي كان يحتل المرتبة الأولى في مجال الأنواع الأدبية في مراحل سابقة ٠

وبعد ، فإن السياسة جزء رئيسي من حياتنا المعاصرة ، لا يمكن الإستغناء عنها أو تجاوزها كالهواء والماء ٠ ولما كانت الرواية شاهداً مهماً على العصر نظراً لقدرتها على استيعاب الواقع الاجتماعي والفكري والسياسي والإقتصادي كان لزاماً عليها أن تتأثر بصورة مباشرة ؛ فتصنع عالماً وقائعياً أو متخيلاً يحمل في ثناياه الهم الجماهيري عن طريق إقامة شبكة علاقات إنسانية وتحركها في المكان والزمان في إطار فن الواقع وليس قول الواقع ؛ إذ إن الفن وهم وخيال كما يقول " ويليك " وليس شهادة تاريخية أو أجتماعية فحسب ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

- إبراهيم خليل ، في الأدب والنقد ، ط١ ، دمشق ، ١٩٨٠ .
- إبراهيم خليل ، الرواية في الأردن في ربع قرن ١٩٦٨ -١٩٩٣ ، ط١، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٤ .
- إبراهيم السعافين ، الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ١٨٧٠ -١٩٦٧ ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠ .
- أرنولد كيتل ، مدخل إلى الرواية الانجليزية ، ترجمة هاني الراهب ، المجلد الأول ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٧ .
- أمينة العدوان ، مقالات في الرواية العربية المعاصرة ، مطابع المؤسسة الصحيفة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٦ .
- إلياس خوري ، تجربة البحث عن أفق ، مقدمة لدراسة الرواية العربية بعد الهزيمة ، مركز الأبحاث ، بيروت ، ١٩٧٤ .
- بيتر غيل وجيفري يونتون ، مقدمة في علم السياسة ، ترجمة محمد مصالحه ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٩١ .
- بيرسي لوبوك ، صنعة الرواية ، ترجمة عبدالستار جواد ، منشوارت وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨١ .
- تشارلز جونستون ، الأردن على الحافة ، ترجمة فهمي شما ، وزارة الثقافة والإعلام ، عمان ، بدون تاريخ .
- تيسير سبول ، أنت منذ اليوم : الأعمال الكاملة الرواية والقصة والشعر ، ط١ ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- ثقافتنا في خمسين عاما" ، منشورات دائرة الثقافة والفنون ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٧٢ .
- جان ريكاردو ، قضايا الرواية الحديثة ، ترجمة صياح الجهيم ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٧ .
- غلوب باشا ، جندي مع العرب ، ترجمة نخبة من الجامعيين ، دار النشر للجامعيين ، ط٢ ، ١٩٦٣ .
- جمال ناجي ، الطريق إلى بلحارث ، ط١ ، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين ، عمان ، ١٩٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- جمال ناجي ، وقـــــت ، ط١ ، دار ابن رشد ، عمان ، ١٩٨٤ .
- جمـــال ناجـــي ، مخلفات الزوابع الأخيرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- حسني فريز ، حب من الفيحاء ، مطبعة الشرق ومكتبتها ، عمان ، ١٩٧٢
- خالد الكركي ، الرواية في الأردن ، شقير وعكشة ، عمان ، ١٩٨٦ .
- رنـاد الخطيب عياد ، التيارات السياسية في الأردن ، الجزء الثاني ، ط١ ، عمان ، ١٩٩٢ .
- الروايـــة الأردنيـــة وموقعهـــا مـــن خريطـــة الروايـــة العربيـــة ، مجموعة كتّاب ، أوراق ملتقى عمـــان الثقافي الأول ٢٢ - ١٩٩٢/٨/٢٤ ، ط١ ، منشورات وزارة الثقافة ، عمان ، ١٩٩٤ .
- رولان بارت ، درجـــة الصفر للكتابـــة ، ترجمة محمد برادة ، ط١ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- سمير قطامـــي ، الحركـــة الأدبيـــة في الأردن ١٩٤٨ - ١٩٦٧ ، ط١ ، وزارة الثقافة والتراث القومي ، عمان ، ١٩٨٩ .
- شكـــري عزيـــز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية ، ط١، بيروت ، ١٩٧٨ .
- عبـــدالرحمن ياغـــي ، الجهـــود الروائية من سليم البستاني إلـــى نجيب محفوظ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢ .
- عبدالرزاق عيد ، دراسات نقدية في الرواية والقصة ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٨٠ .
- عبـــدالله رضوان ، أسئلـــة الرواية الأردنية ، منشورات وزارة الثقافة ، عمان ، ١٩٩١ .
- عبدالله نقـرش ، التجربـــة الحزبيـة في الأردن ، منشورات لجنة تاريخ الاردن ، ط٢ ، عمان ، ١٩٩٢ .
- غالـــب هلسا ، أدباء علموني - أدباء عرفتهم ، دار التنوير العلمي للنشر والتوزيع ، عمان (تحت الطبع) .
- غســـان عبدالخالق ، الزمان والمكان والنص ، اتجاهات في الرواية العربية المعاصـــرة فـــي الأردن ١٩٨٠ - ١٩٩٠ ، ط١ ، دار الينابيـــع للنشـــر والتوزيع والإعلان ، عمان ، ١٩٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- كولن ولسن ، فن الرواية ، ترجمة محمد درويش ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- فايز محمود ، تيسير سبول العربي الغريب ، ط١ ، دار الكرمل ، عمان ، ١٩٨٤ .
- فخري صالح ، وهم البدايات ، الخطاب الروائي في الأردن ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- كامل ملكاوي ، من زوايا العدم ، الشركة الصناعية للوراقة والقرطاسية ، عمان ، ١٩٦٠ .
- الكتاب الأبيض ، الأردن وأزمة الخليج ، عمان ، ١٩٩١ .
- محمد عطيات ، القصة الطويلة في الأدب الأردني من بدء الإمارة ١٩٢١-١٩٧٧ ، منشورات دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، ١٩٨٥ .
- محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ط٣ ، دار طابع الشعب ، ١٩٦٤ .
- منيب الماضي وسليمان موسى ، تاريخ الأردن في القرن العشرين ، بدون تاريخ ، ط١ ، ١٩٥٩ .
- مورس شرودر وآخرون ، نظرية الرواية ، ترجمة محسن جاسم الموسوي ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- مؤنس الرزاز ، أحياء في البحر الميت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢ .
- مؤنس الرزاز ، اعترافات كاتم صوت ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٦ .
- مؤنس الرزاز ، متاهة الأعراب في ناطحات السراب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- مؤنس الرزاز ، جمعة القفاري ، يوميات نكرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٠ .
- وليام فان اكونور ، أشكال الرواية الحديثة ، ترجمة نجيب المانع ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجلات والدوريات :

٤٤٦٧٧٧

١. مجلة أفكار ، العدد ٩ ، ١٩٦٧ .
٢. مجلة افكار ، العدد ٤٠ ، ١٩٧٨ .
٣. مجلة أفكار ، العدد ٤١ ، ١٩٧٨ .
٤. مجلة أفكار ، العدد ٥٥ ، ١٩٨٢ .
٥. مجلة أفكار ، العدد ٧٤ ، ١٩٨٥ .
٦. مجلة أفكار ، العدد ٧٦ ، ١٩٨٥ .
٧. مجلة أفكار ، العدد ١١٧ ، ١٩٩٤ .
٨. مجلة راية مؤتة ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ١٩٩٣ .
٩. مجلة أبحاث اليرموك ، المجلد السابع ، العدد الثاني ، ١٩٨٩ .
١٠. المجلة الثقافية ، العدد ١٨ ، ١٩٨٩ .
١١. عالم المعرفة ، العدد ١٧٧ ، ١٩٩٣
١٢. مجلة عمان ، العدد الخامس ، ١٩٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

Politics and Its Influence on the Novels of Taisir Al-Siboul, Jamal Naji and Mo'nis Al-Razzaz

Awni Sobhi Al-Fa'ouri
Supervised by
Dr. Samir Quttami

The aim of this research is the study of politics and its effects on the novels of Taisir Al-Sboul, Jamal Naji and Mo'nis Al-Razzaz during the period 1967-1992. It also includes the study of the authors and their artistic forms.

The research consists of an introduction, three chapters and a conclusion. In the introduction, I discussed the level of the Jordanian novel, from the point of view of its establishment, how it was influenced by the movement of translation, the media and Arab and international novels. But at the same time maintaining its traditional form.

The first chapter consists of two main parts: in the first part I have discussed the concept of politics and the system of its discussion, the main areas of the Jordanian political movement since the independence of the Hashemite Kingdom of Jordan in 1946, until the enactment of the Law of Political Parties in 1990, and the effect of all the above in the development of the novel in terms of the rise of newspapers of political parties, and the advancement of many politicians into creative writing, which is noticed in their speeches. In the second part, I dealt with the political elements that influenced the novel, such as the 1967 war, the Arab-Israeli Conflict, the October 1973 war, the invasion of Beirut in 1982, the absence of freedom and democracy, as well as alienation and the national unitary project.

In the second chapter, I discussed through the text, the subject of the novel and the conceptual presentations and ideological thought, as well as visions expressing the realities in the following novels: "Anta Montho Al-Yaom", "Al-Tareeq Ela Al-Balhareth", "Waqt", "Mokhalafat Al-Zawabe' Al-Akheerah", "Ahya' Fee Al-Bahr Al-Mayet", "I'tirafat Katem Sowt", "Matahet Al-Arab Fee Natihat Al-Sarab", and "Juma'a Al-Kafari. The Political line is clear in the above novels, their context, and moving their personalities, especially by Taisir Al-Sboul and Mo'nis Al-Razzaz.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

In the third chapter, an artistic study of the above mentioned novels is presented in terms of personalities, interrelation and its interaction with language, time and place, thus indicating the development of the Jordanian novel in comparison with the Arab and international novel.

In the conclusion, I indicated how much the Jordanian novel is interwoven with politics and public concern, because the traditional form of the novel is unable to express the full speech. A matter that made it search for a new form benefiting at the same time from modern artistic technologies such as: cinemas techniques , association of ideas, stream of consciousness, dreams and nightmares, hence achieving apparent artistic maturity and an advanced narrative speech through the clear influence of the works of James Joyce, Kafka, Kamo, Sarter and the origin of psychology in Alder Young.

There is no doubt that the Jordanian novel, especially during the 1980's and 1990's has achieved a presence that cannot be under estimated, for it became impossible to over look the Jordanian creative movement especially in the field of creative writing through Arab creative surroundings.

* * *

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit